



الجمهورية العربية السورية
جامعة دمشق
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
قسم التاريخ/عرب وإسلام

دراسة لحوارد ومنهج المسعودي

(٢٨٧-٣٤٦هـ / ٩٠٠-٩٥٧م)

في كتابه التنبيه والإشراف

مرسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في تاريخ العرب والإسلام

إعداد الطالب

كنان ياسر الشاطر

إشراف

أ.د. شكران خربوطلي

١٤٣٩هـ / ٢٠١٨م

إهداء

إلى أرض المحبة وعفتوان الزمان

إلى لحن الشرف والعزة وأنشودة السلام

إلى بلدي الغالي

سوريا الحبيبة

إلى من علمني كيف أخوض الحياة بشموخه

إلى من أخذ بيدي وأوصلني إلى القمم بعزته

إلى يد سمراء امرتوت من مياه القدر وآلامه لتنت في قلبي غراس محبة العلم ودروبه

إلى أغلى إنسان على قلبي

أبي

إلى طاقتي الإيجابية في الحياة

إلى من عطرت مروحي بعطرها

إلى من حمّني من غدر الزمان وأحزانه بحضنها

إلى من سكبت في حياتي خمرة الفرح والأمل بضحكتها

إلى أطهر البشر وأغلاها

أمي

إلى مزهرة نرّنت بعيرها حدائق قلبي

إلى من ساندتني ومرافقتني ونرّنت بوجودها دربي

أختي

إلى أخ لم تلده أمي

إلى صديق ساندني في طريقي

إلى حام من حماة الوطن

زوج أختي شاهر

إلى من هومر تفتحوا في ربيع حياتي

إلى من شامركوني همومي وأخزاني وضحكاتي

إلى من تطيب الأيام برقتهم وتحلو بوجودهم أوقاتي

أصدقائي

شكر وتقدير

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير المرسلين

قل في الشعر:

قم للمعلم وفه التبجيلا كاد المعلم أن يكون رسولا

فها هو قلبي يعجز عن الكتابة والتعبير، يرتجف بين يدي لشدة عجزه، وعدم قدرته على الوصف والشكر والتقدير منحياً أمام عطاء لا يقدر بثمن عطاء من ساندتني وأخذت بيدي لأصل إلى نهاية الدرب، قادتني إلى بستان العلم لأفطف ثمار النور والمعرفة، فكانت نجمة من نجوم السماء أنارت دربي ووجهتني لأكمل بحثي ويخرج إليكم بأفضل صورة، فزنت مربعي بأنرها علمها وعلمتني العطاء بسخاء عطائها.

أتقدم بشكري وتقديري للأستاذة الدكتورة (شكران خربوطلي)

آمل أن الله أن يطيل بعمرها ويبقي نورها متألقاً لتتبرك طرق الأجيال القادمة.

كما أنني أتوجه بالشكر الجزيل إلى الأساتذة الكرام الذين أُرشدوني في هذا البحث وأخص بالذكر والعرفان أعضاء اللجنة الكرام الذين كانوا عوناً وتكيدوا عناء قراءة بحثي وتصويب ما فيه فقد كنتم شمساً ساطعة وخير معلمين وبناءة حقيقيين.

الأستاذ الدكتور سهيل زكار

الأستاذة الدكتورة شكران خربوطلي

الأستاذة الدكتورة سميحة أبو الفضل

وكل الشكر لكل صاحب مساهمة أو جهد في إنجاز هذا العمل الذي أصبوا أن يكون خطوة مراحلة على طريق

التحصيل العلمي كي يعود بالفائدة على وطني وشعبي.

والشكر لله العلي القدير الذي من علي بالصبر والتوفيق لإتمام هذه الدراسة.

فهرس المحتويات

	الإهداء
	شكر وتقدير
	فهرس المحتويات
	الرموز
	الملخص باللغة العربية
١	المقدمة
٤	دراسة لأهم المصادر والمراجع
٨	الفصل الأول - عصر المسعودي.
٩	أولاً-الأوضاع السياسية.
١٤	ثانياً-الأوضاع الثقافية والفكرية.
١٨	ثالثاً-الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية.
٢٤	الفصل الثاني - حياة المسعودي.
٢٥	أولاً-ولادته ونسبته ونشأته.
٢٦	ثانياً-شخصية المسعودي.
٢٦	ثالثاً-شيوخه.
٣٠	رابعاً-رحلاته وأثرها.
٣٢	أ-رحلات المسعودي الأولى
٣٧	ب-رحلات المسعودي الثانية
٤٠	ج-بين الشام ومصر
٤٢	خامساً-المسعودي كمؤرخ.
٤٥	سادساً-آثاره العلمية ومؤلفاته.
٨٦	سابعاً-في فن التاريخ بين المسعودي وابن خلدون
٨٩	ثامناً-وفاته.

٩٠	الفصل الثالث - كتاب التنبيه والإشراف ومنهجية وأسلوب المسعودي فيه.
٩١	أولاً-وصفه ومحتواه.
٩٤	ثانياً-منهجية وأسلوب المسعودي في عرض المادة التاريخية في الكتاب.
٩٤	أ-تقسيم التاريخ حسب الموضوعات
٩٤	ب-الإيجاز والاختصار والتركيز
٩٦	ج-الاستفتاح في ذكره لأي موضوع بما عرضه سابقاً
٩٧	د-التعليل والمقارنة للأحداث التاريخية
٩٩	هـ - العقلية والحس التاريخي النادر
٩٩	و-تفسير الكلمات الأعجمية إلى اللغة العربية
١٠٠	ز-توضيح معاني الكلمات والمصطلحات العربية
١٠١	ح-مزج المعلومات التاريخية بالجغرافيا
١٠٨	ط-تأثير البيئة والفلك على الإنسان وغيره
١١٣	ثالثاً-النقد للمادة التاريخية عند المسعودي في الكتاب.
١١٨	الفصل الرابع - موارد ومواضيع الكتاب-الجانب الحضاري والتمهيد لبعض العلوم عند المسعودي
١١٩	أولاً-موارد المسعودي في كتابه التنبيه والإشراف
١١٩	١-كتبه ومؤلفاته.
١٢٠	٢-الشعر العربي
١٢٣	٣-الكتب السماوية المقدسة
١٢٣	آ-القرآن الكريم
١٢٤	ب-التوراة
١٢٤	ج-الإنجيل
١٢٥	٤-الحديث النبوي الشريف
١٢٦	٥-كتب ومؤلفات متفرقة
١٢٧	آ-كتب الفلاسفة اليونانيين

دراسة لموارد ومنهج المسعودي (٢٨٧-٣٤٦هـ / ٩٠٠-٩٥٧م) في كتابه الشيم والإشراف

١٣١	ب-كتب الهيئة (الفلك) والجغرافيا العربية
١٣٧	ج-كتب الإخباريين والمؤرخين
١٤٧	ثانيا-الجانب الحضاري في تاريخ المسعودي
١٥٣	ثالثا-تمهيد المسعودي لبعض العلوم الاجتماعية
١٥٨	الخاتمة
	الملاحق
	قائمة المصادر والمراجع
	الملخص باللغة الانكليزية

الرموز المستخدمة في البحث

ص	صفحة
ج	جزء
تح	تحقيق
تر	ترجمة
ق	قسم
ت	توفي
م	ميلادي
هـ	هجري
" "	حصرت بينها الاقتباسات
()	حصرت بينها أسماء الكتب
{ }	حصرت بينها الآيات القرآنية
ط	طبعة
د.ت	دون تاريخ نشر
د.م	دون مكان نشر
مج	مجلد

ملخص الموضوع

شهد الفكر التاريخي نقلة نوعية كبيرة عند المسعودي مزج فيه بين الدراسات التاريخية والجغرافية وفتح آفاقاً جديدة في الدراسات الاجتماعية والدينية، حيث كان له أسلوبه في التعامل مع قضايا المجتمع والقضايا التاريخية بشكل عام، ورغم الصراعات السياسية التي كانت دائرة في العصر العباسي الثاني إلا أنه عد عصر النهضة العربية والإسلامية، فقد برز في القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي الكثير من العلماء والنوابغ الذين أغنوا تاريخ الأمة بمؤلفاتهم النوعية والتي وصلت حد الإبداع في منهجها وقدرة مؤلفيها على تطوير العلوم السالفة والابتكار، فقد عدت هذه الكتب مصدراً رئيساً لكثير من العلماء والمفكرين وأساساً لعلوم جديدة ظهرت لاحقاً، ومن هذه المؤلفات كتاب التنبيه والإشراف محور هذه الدراسة وآخر مؤلفات المسعودي والذي كان مختصراً لجميع مؤلفاته السالفة.

وقسمت هذه الدراسة لأربعة فصول، سبقتها مقدمة ودراسة لأهم المصادر والمراجع، وتناول الفصل الأول العصر العباسي الثاني في جوانبه السياسية الفكرية الاقتصادية والاجتماعية، فيما تحدث الفصل الثاني عن حياة المؤلف ونسبه ورحلاته ومؤلفاته وآراء بعض المؤرخين العرب والأجانب فيه، وكان الفصل الثالث للحديث عن كتاب التنبيه والإشراف وشرح وتحليل ما جاء فيه ومنهج وأسلوب المسعودي في كتابته وهو أسلوبه الذي ينطبق على كل كتبه، وأما الفصل الأخير من هذه الدراسة تناول الموارد التي استقى منها المسعودي كتاباته في تأليف كتاب التنبيه والإشراف والجوانب الحضارية في كتابة المؤلف للتاريخ وما أضافه إلى العلم من جديد.

وقد ترك المسعودي بصمة كبيرة في التاريخ العربي والإسلامي لا يزال أثرها باقياً حتى اليوم وهذا ما وجب الإضاءة عليه وهو هدف الدراسة الأساسي.

المقدمة

شهد العصر العباسي الثاني نهضة فكرية رغم الخلافات السياسية والنزاعات القومية والدينية والضعف في مركز الخلافة والانفصالات التي حدثت في الدولة إلا أن الحياة الفكرية والعلمية كانت مختلفة كثيراً عن الحياة السياسية، فقد كانت متقدمة في جميع المجالات من ترجمة وتأليف وطب وفلك وغيرها من المجالات وقد وصف هذا العصر بأنه عصر النهضة العربية الأزهى والأكثر إشراقاً فقد تطور فن التأريخ في مضمونه ومنهجه وتشهد العديد من الكتب على ذلك، ومن هذه الكتابات كتاب التنبيه والإشراف الذي عد قفزة في علم التأريخ في منهجه ومضمونه، والتنبيه والإشراف هو أحد الكتب المميزة التي أنجزها المؤرخ المسعودي، والذي يتضمن عرض موجز لما سلف له من تأليف وجاء اختيار هذا العنوان للكتاب للتنبيه والتذكير لما تقدم في مؤلفات المسعودي وقد كتبه المؤلف بأسلوب سهل ومختصر وواضح مستخدماً اللغة التي يسهل على القارئ فهمها.

وأبو الحسن بن علي المسعودي مؤرخ ورحالة شهير عاش في القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي أي عصر النهضة الحضارية العربية الإسلامية وأرخ في هذا الكتاب من بدء الخليقة حتى عصر المطيع لله العباسي ومنهجه المبدع لقب في أيامنا هذه بهيرودوت العرب لتمييزه في التأريخ وابتكاره لطرائق مطورة عن تقدموه من المؤرخين العرب والمسلمين.

يعد البحث في موارد المسعودي في كتابه التنبيه والإشراف من المواضيع الهامة من خلال الاطلاع على نصوصه ورواياته الواردة في هذا الكتاب وهو يهدف إلى استقراء النص واستنتاج هدف صاحبه منه وإبراز أهميته وأهمية المسعودي كمؤرخ عربي ومن هذا المنطلق سوف تأتي هذه الدراسة، وأيضاً تكمن أهمية هذه الدراسة في عظمة المسعودي كمؤلف وجغرافي ولما لكتاب التنبيه والإشراف من شهرة ومكانة حيث إن ثلثة من المؤرخين والرحالة اتبعوا منهج المسعودي في كتابه هذا، إضافة إلى أنه لا توجد دراسة متقدمة حول موارد المسعودي في كتابه التنبيه والإشراف، مع أن المعلومات الواردة في الكتاب تدل على ثقافة عالية للمؤلف ومشاهدة واسعة وموضوعية كبيرة فقد نشط المسعودي في رحلاته من مكان لآخر مبكراً واصفاً ما شاهد وسمع ومن دون أي سلطة تفرض عليه فهو من أصحاب الفكر

الحر البعيد عن السلطة وهذا ما يرجح كتاباته ومصادره عن غيره من الكتب، ويمكن رصد بعض الدراسات الحديثة العامة عن حياة المسعودي ومنها دراسة عبد الرحمن العزاوي الذي بحث في حياة المسعودي كمؤرخ وتناول الباحث هادي حمود دراسة عن مؤلفات المسعودي في الأديان والعقائد.

هذا وقد واجه البحث بعض الصعوبات التي منها عدم إسهاب المسعودي في الحديث عن بعض الأحداث التاريخية لأن كتابه موجز لمؤلفاته التي يعد معظمها مفقودا وهذا يتطلب دراسة متأنية للروايات والنصوص التاريخية في المصادر المختلفة، ومقارنتها مع موارد المسعودي لاستنباط رؤيته الخاصة.

وقسم البحث إلى أربعة فصول سبقتها مقدمة ودراسة للمصادر والمراجع **الفصل الأول** كان للحدث عن العصر العباسي الثاني أي العصر الذي عاش فيه المسعودي وتوضيح جوانبه السياسية والاجتماعية والاقتصادية والمدى الثقافي الذي وصل إليه العصر وإيضاح الجوانب السلبية التي قد تكون لها أي تأثير على الحياة العلمية آنذاك، وكان لنشوء التيارات السياسية والقومية والدينية آنذاك دافعا لأصحابها للتزود بالعلم للدفاع عن مذاهبهم، وفي **الفصل الثاني** تعريف بالمسعودي ونسبه ونشأته والتحدث عن شخصيته وشيوخه ورحلاته ووصفه كمؤرخ وأيضا ما ألفه من كتب خلال مسيرته العلمية والفكرية ما هو موجود منها حتى الآن وما فقد، ووفاة المسعودي، وتناول **الفصل الثالث** تعريف بكتابه التنبيه والإشراف ووصفه ومنهجية المسعودي التي سار عليها في تأليفه الكتاب وأيضا أسلوبه الذي كتب فيه والذي كان جديدا مبتكرا تقدم فيه المسعودي على علماء عصره وتناول **الفصل الثالث** النقاط المهمة في الكتاب التي جعلت منه أفضل من غيره من المؤلفين والتي أهمها كان نقد المؤرخين والمادة التاريخية في الكتاب فقد نقد المسعودي الروايات السالفة وأثبت بالبراهين والمشاهدة صحة أو عدم صحة أي رواية كانت قد وردت عند غيره هذا بالإضافة إلى عقد المقارنة بين الروايات وتفضيل الأصح، وأما **الفصل الرابع** فقد كان لذكر الموارد التي أخذ عنها المسعودي مادته والتي كانت كتبه في المقام الأول والكتب السماوية والحديث الشريف بالإضافة إلى رحلاته ومشاهداته بالإضافة إلى الكتب الإغريقية والشعر العربي الذي كان مميذا في الأخذ منه فقد كان يضع القليل الوافي من الشعر بحيث يكفي للدلالة

على ما يريد، وعن مواضيع الكتاب كما أوردها المسعودي والتي كانت على أن يضع
المسعودي عنوانا عريضا ويتحدث عنه بإيجاز بليغ .
وقد ساعد في إنجاز هذه الرسالة الدكتور شكران خربوطلي المشرفة عليها، والتي لم
تخل بمد يد العون وتقديم المصادر والمراجع المطلوبة والمتابعة الدقيقة والحرص على
الإنجاز بكل ما يستلزم فلها مني جزيل الشكر والامتنان.

دراسة لأهم المصادر والمراجع :

١-اليقوبي:أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح (ت٢٨٤هـ/٨٩٧م) مؤرخ وجغرافي له كتاب حمل اسم (تاريخ اليعقوبي) ، وقد قسم كتابه إلى قسمين رئيسيين، واتخذ من الدول وعهود الحكام أساسا لتنظيم تاريخه، ولذلك عد من أبرز التواريخ التي وضعت بحسب هذا المنهج، واستعرض فيه المدة الزمنية لكل خليفة، وأفاد القسم الثاني من الكتاب في معرفة أخبار الرسول صلى الله عليه وسلم، وأخبار الخلفاء من بعده، وقدم معلومات غزيرة عن قادة الفتح، وعن أحداث فتوح الشام، ولليقوبي كتاب (البلدان) أيضا اهتم بالجغرافية السكانية أكثر من اهتمامه بالأخبار التاريخية.

٢-الطبري:أبو جعفر محمد بن جرير (ت٣١٠هـ/٩٢٢م)، صاحب كتاب (تاريخ الرسل والملوك)، والذي تألف من عدة أجزاء، اعتمد فيه الجمع المفصل والشامل للروايات المختلفة عن الخلافة بصورة عامة، وتألف تاريخ الطبري من قسمين تناول القسم الأول بدء الخليقة وتواريخ الأنبياء ثم تناول تواريخ الأمم وأجداد الرسول صلى الله عليه وسلم، وأما القسم الثاني فتناول تاريخ الإسلام منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وجعله على ترتيب السنين، وأكثر من اعتماده على ابن اسحاق والواقدي والمدائني وسيف بن عمر وغيرهم، وقدم مادة تاريخية وفرغ منه سنة ٣٠٣هـ/٩١٥م.

٣-المسعودي: أبو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت٣٤٦هـ/٩٥٧م) كان اعتماده على أسلوب الحوليات، وقد صنف عدة كتب منها:

كتابه (مروج الذهب ومعادن الجوهر)، وهو كتاب جغرافي تاريخي بدأه بذكر الخليقة، ثم تناول أخبار الملوك والأمراء قبل الإسلام في أنحاء المعمورة، ثم ناقش سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم الخلفاء الراشدين، ومن ثم تحدث عن تاريخ الدولتين الأموية والعباسية حتى سنة ٣٣٦هـ/٩٤٧م، وقدم معلومات وافرة عن فتوحات الشام، ومعلومات متفرقة عن أجناد الشام.

وكتابه (التنبيه والإشراف) وهو مختصر لجميع كتبه سألقة التأليف تحدث فيه عن كل ما جمع من مادة تاريخية وجغرافية باختصار شديد، وقد كان آخر مؤلفاته ومن جزء واحد. وإن أهم مصادر هذه الرسالة هي كتب المسعودي نفسه ويعد كتابيه التنبيه والإشراف ومروج

الذهب وهما الكتابان الوحيدان اللذان صحت نسبتها للمسعودي المصدر الأساسي الذي بنيت عليه هذه الرسالة فمنهما كانت استخراج المعلومات، واستخلاص النتائج، واستنباط الأفكار وبناء الأحكام والملاحظات ولذلك سيلاحظ تردد اسميهما في كل فصل من فصول الرسالة بشكل مستمر، ومن حسن الحظ أنه قد أولى المسعودي هذين الكتابين عناية خاصة وأهتم بهما اهتماما كبيرا وذلك بقيامه بتنقيحهما ومراجعتهما والزيادة فيما بعد تأليفهما، ولذلك يعبر كلا الكتابان أصدق تعبير عن فكر المسعودي

٤- النديم: محمد بن اسحق بن يعقوب (ت ٣٨٥هـ/٩٩٠م) وقد أخذ البحث من كتابه الفهرست الذي أحصى فيه وجمع المقالات والكتب العربية في زمنه والتي منها كتب الأديان والفقه وعن مشاهير الملوك والشعراء والعلماء والمفكرين. وقد أفاد كتاب الفهرست للنديم هذا البحث خير إفادة فقد كشف عن تراجم أعداد كبيرة العلماء والمؤلفين وتعد الترجمة عن المسعودي في هذا الكتاب من أقدم التراجم التي كتبت عن المسعودي.

٥- مسكويه: أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب (ت ٤٢١هـ/١٠٣٠م)، أهم كتبه (تجارب الأمم وتعاقب الهمم) وهو كتاب يغطي معظم العصور الوسطى ربط فيه الحياة السياسية بالاجتماعية بطريقة سلسلة.

٦- الصابي: أبو الحسن الهلال بن محسن الصابي (ت ٤٤٨هـ/١٠٦٥م) وله العديد من المؤلفات وأهمها ما أخذ منه في البحث كتاب (الوزراء أو تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء) والذي تحدث فيه عن وزراء الدولة العباسية.

٧- ياقوت الحموي: ياقوت بن عبد الله (ت ٦٢٦هـ/١٢٢٩م) صاحب العديد من الكتب وأهم ما أفاد البحث كتابين (إرشاد الأريب) الذي سيشار إليه ب(معجم الأدباء) و(معجم البلدان) وذلك نظراً لما ورد فيهما من معلومات تاريخية وجغرافية وسياسية واقتصادية واجتماعية، ووصل في هذين الكتابين إلى حقبة تاريخية متأخرة، واختلف عن المصادر الأخرى أنه أخضع مادته للنقد والتمحيص.

٨- ابن الأثير: عز الدين أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني (ت ٦٣٠هـ/١٢٣٢م)، اشتهر بكتابه (الكامل في التاريخ)، ألفه ضمن مجموعة من الأجزاء، رتبها كالطبري واعتمد عليه، وأخذ بنظام الحوليات، وبدأه بالتحدث

عن تاريخ البشرية منذ أول الزمان حتى عام ٦٢٨هـ/١٢٣٠م، وانتهى في حديثه عن كل سنة بخلاصة لكل الأحداث، واعتماده بشكل كبير على الطبري شكل مادة داعمة لما ورد في البحث من خلال عرضه لأحداث الفتوح مرتبة حسب السنين.

٩- ابن كثير: أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي (ت ٧٤٧هـ/١٣٤٦م)، كتابه (السيرة النبوية) تحدث فيه عن سيرة النبي صلى الله عليه وسلم، وتاريخ دعوته حتى وفاته، وقد ذكر الرواية بالأسانيد، وامتاز بنقده لبعض الأسانيد عندما يكون المتن غريباً. وأما كتابه الثاني البداية والنهاية فقد شمل حقبة واسعة من التاريخ الإسلامي ورجاله وقد أفاد البحث في كثير من الحديث عن العصر العباسي الثاني.

١٠- الذهبي: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن عبد الله الذهبي (ت ٧٤٨هـ/١٣٤٧م)، صاحب كثير من الكتب، وأهمها (سير أعلام النبلاء) وتضمن تراجم المشهورين في كل ناحية من نواحي الحياة وذلك بترتيب السنين، و(تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام) والذي تناول فيه تاريخ الإسلام من بدء الهجرة حتى سنة ٧٠٠هـ/١٣٠٠م وأيضاً تراجم للمشهورين، فقدم للبحث مادة غزيرة نادرة عن أعلام البحث وغيرها من نقاط البحث.

١١- السيوطي: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١هـ/١٥٠٥م) كان غزير الإنتاج، موسوعي الأداء، اعتمد البحث على كتابه (تاريخ الخلفاء) في الحديث عن العصر العباسي الثاني.

وأما أهم المراجع التي أخذ منها البحث والتي أغنت فصوله فقد كانت كالآتي:

١- كتاب هادي حمود منهج المسعودي الذي تحدث فيه عن أهمية الأسلوب والمنهج الذي اتبعه المسعودي والتطور في فن كتابة التاريخ على يديه.

٢- وبحث علي حسن الخربوطلي (المسعودي سلسلة نوابع الفكر العربي)

٣- روزنثال فرانس (علم التاريخ عند المسلمين) وكان مرجعاً مهماً وذلك لمعرفة رأي المستشرقين الأجانب بالعلماء العرب وعقد المقارنات فيما بين المراجع العربية وبينه عن المؤرخين .

- ٤- نقولاً زيادة (الجغرافية والرحلات عند العرب) وقد أفاد البحث في التعرف على أهمية الرحلة في طلب العلم عند المؤرخين المسلمين القدماء والذين من بينهم المسعودي.
- ٥- عبد الرحمن حسين العزاوي (المسعودي مؤرخاً) وقد كشف الباحث في هذا الكتاب عن نتائج مهمة وجديدة عن تطور أسلوب المسعودي وتقدمه على غيره من المؤرخين.

الفصل الأول - عصر المسعودي

أولاً-الأوضاع السياسية.

ثانياً-الأوضاع الثقافية والفكرية.

ثالثاً-الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية.

أولاً-الأوضاع السياسية:

عاش المسعودي في العصر العباسي الثاني وتميز هذا العصر بسيطرة الأمراء والأتراك والبويهيين على الخلافة العباسية (٢٣٢-٣٣٦هـ / ٨٤٦-٩٤٧م)، وبشكل عام تعاضم نفوذ القوى غير عربية في الدولة وقد واجهت الدولة العباسية خلال هذا العصر تحديات الضعف والانحلال السياسي والإداري نتيجة ازدياد نفوذ الأتراك واستبدادهم بالسلطة^(١)، وقد ساهم الأتراك في إضعاف سلطة الخليفة والسيطرة على مركز الدولة، كما كان للجند الدور الأكبر في تنصيب الخليفة وعزله، ومارسوا ضده القتل أو سمل العيون^(٢)، وأدى ضعف الخلافة العباسية وظهور اتجاهات انفصالية إلى قيام دويلات مستقلة، وبلغ الضعف في الدولة أن كل مقاطعة كانت قادرة على الانفصال دون أي رادع فانفرد ابن رائق^(٣) في البصرة، واستقل علي بن بويه الديلمي وأخوه أبو الحسن^(٤) في حكم فارس وأصبهان والري، ومحمد بن الياس^(٥) في حكم كرمان، فيما استقل الحمدانيون في حلب والموصل، والدولة السامانية (٢٦١هـ / ٨٧٤م) في خراسان، والدولة الأخشيديّة (٣٢٣هـ / ٩٣٤م) في مصر والشام، وأما البحرين واليمامة وهجر فبيد القرامطة، وذهب الفاطميون في المغرب وإفريقيا بعيداً مشكلين خلافة مستقلة لا تذكر اسم الخليفة العباسي على المنابر، ولم يبق للدولة العباسية إلا بغداد وما حولها^(٦).

وتميزت الحالة السياسية في هذا العصر بازدياد نفوذ النساء في قصر الخلافة وتدخلهن في شؤون الدولة، ومن ذلك جلوسهن للنظر في المظالم الخاصة والعامة في عصر الخليفة المقتدر (٢٩٥-٣٢٠هـ / ٩٠٧-٩٣٢م) الذي خضع لتأثير الحرم والنساء وبالتحديد أمه حيث أفسدت ابنها بتشجيعه على اللهو والملذات والتبذير^(٧)، ووصف المسعودي خلافته قائلاً: "أفضت

(١)- المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين: مروج الذهب ومعادن الجوهر، بيروت، دار الفكر، ١٩٨٩، ج ٤، ص ٢٦٢.

(٢)- المسعودي، مروج، ج ٤، ص ٣١٥. ابن الأثير، عز الدين أبي الحسن، الكامل في التاريخ، دار صادر، د.ط، بيروت، ١٩٧٩، ج ٦، ص ٣١٥.

(٣)- ابن رائق: هو محمد بن رائق ابن قائد شرطة المعتضد وأول شخص استلم منصب أمير الأمراء في الدولة العباسية استغل ضعف الخلافة ومركزه وانفصل في جنوب بلاد الرافدين. الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان: سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة، بيروت، د.ط، ١٤٢٢هـ، ج ١٥، ص ٣٢٦.

(٤)- عماد الدولة وركن الدولة قواد في جيش الخلافة العباسية ومؤسسي الدولة البويهية في أصبهان وما حولها. الذهبي، سير أعلام، ج ١٧، ص ٦١٣.

(٥)- محمد بن الياس: أحد قادة الدولة العباسية استقل في حكم كرمان. ابن الأثير، الكامل، ص ٣١٩.

(٦)- المسعودي، مروج، ص ٢٢٧، (٢٣٨-٢٣٩). ابن خلكان، شمس الدين أحمد بن خلكان: وفیات الأعيان وأنبياء أبناء

الزمان، تحقيق: د. احسان عباس، دار الثقافة، ط ١، بيروت، د.ت، ج ١، ص ١٧٤.

(٧)- المسعودي، التنبيه والإشراف، ليدن، ط ١، ١٩٨٣، ص ٣٢٨.

الخلافة إليه وهو صغير السن وغلب على الأمر النساء والخدم وغيرهم، فأداه إلى سفك دمه وزال كثير من رسوم الخلافة^(١).

وتمكن الوزراء والكتاب من ممارسة السلطة الفعلية في الدولة العباسية بدلاً من الخلفاء وشغلوا دوراً أساسياً في توجيه الدولة وتحديد سياستها واستمدوا الإرشادات والتوجيهات من الحرس والحاشية، الأمر الذي أفسح المجال لتدخل الجيش في إدارة الدولة^(٢)، وهكذا تبدلت أحوال الخلافة، فعوضاً عن تقديم القواد الطاعة والولاء للخليفة أصبح الخليفة هو الذي يحلف لهم على صدق نواياه تجاههم^(٣).

وتراجعت سلطة الخليفة واستحدث منصب "أمير الأمراء"^(٤) وهو حيلة من الجند الترك للسيطرة على الدولة بكل مفاصلها، فالأترك غير قادرين على تولي منصب الخلافة ولولا الخوف من الشارع العربي لخلعوا العباسيين وجلسوا على عرش الخلافة العربية، فأخذ الأمير ما تبقى من سلطة الخليفة الفعلية والتنفيذية وجعل الخليفة موظفاً يتقاضى راتباً معيناً منه، وعجز الخلفاء عن مباشرة أعمالهم فاستأثر الأمير بالسلطة وعلت مكانة الأمير على مكانة الوزراء، مما دفع الخلفاء إلى الانصراف إلى حياتهم الخاصة، وساعد ذلك على انتشار الفوضى والاضطرابات في بغداد نتيجة تنافس الأمراء ونزاعهم فيما بينهم على هذا المنصب^(٥).

وقد عاصر المسعودي هذه الأوضاع منذ طفولته في أواخر عهد الخليفة العباسي "المعتضد بالله" (٢٧٩-٢٨٩هـ / ٨٩٢-٩٠١م)، ووصف خلافته بالحزم والشدة وكان سفاكاً للدماء ولذا تمكن من القضاء على الاضطرابات الداخلية وتحديداً ثورة الخوارج (٢٨٣هـ / ٨٩٦م)

(١)- المسعودي، التنبيه، ص ٣٢٨.

(٢)- المسعودي، مروج، ج ٤، ص (٢٠٢-٢٠٣)، (٢٠٨-٢١٠).

أنظر أيضاً: متز، آدم، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، تر: عبد الهادي أبو ريده، دار الكتاب العربي، ط ١٩٦٧، ج ١، ص ١١. إبراهيم، عدنان: تاريخ الإسلام، دار المعرفة، بيروت، د.ب، ٢٠٠٤م، ج ٣ ص ٣٣١. الدوري، عبد العزيز، العصر العباسي الأول، د.م، د.ب، ١٩٤٥م، ص ٢٢.

(٣)- المسعودي، التنبيه، ص (٣٣٥-٣٣٦). اليعقوبي، أحمد بن يعقوب: تاريخ اليعقوبي، دار صادر، بيروت، ج ٢، ص ٤٦٥.

(٤)- أمير الأمراء: ظهر هذا المنصب في العصر العباسي الثاني ليحل محل سلطة الخليفة نتيجة ضعف الخلافة العباسية أنظر عنه: السامرائي، حسام الدين: المؤسسات الإدارية في الدولة العباسية، دار الفكر العربي، بيروت، د.ب، ٢٠١٤م، ص ٨١.

(٥)- المسعودي، مروج، ص ٣٢٠ والتنبيه، ص (٣٤٢-٣٤٤).

ووصف حقبة خلافته قائلاً "إذ أفضت الخلافة إلى المعتضد بالله فسكنت الفتن وصلحت البلدان وارتفعت الحروب، ورخصت الأسعار وسالمة كل مخالف"^(١).

واستغل خطر القرامطة^(٢) في عصر الخليفة المكتفي بالله (٢٨٩-٢٩٥هـ / ٩٠١-٩٠٧م) في بغداد والبصرة وشمال الشام، وشكلوا خطراً على مركز الخلافة العباسية حيث أثاروا مخاوف أهالي هذه البلاد، وهاجموا قوافل الحج فقد خرج "أبو القاسم القرمطي أحمد بن علي (ت ٢٩٤هـ / ٩٠٦م)^(٣) من الشام متجهاً نحو بغداد وتمكن المكتفي من القضاء عليه وصلبه في الجانب الشرقي من بغداد"^(٤)، وامتد خطر القرامطة في عهد الخليفة القاهر بالله (٣٢٠-٣٢٢هـ / ٩٣٢-٩٣٣م) بتهديد مركز الخلافة واعتراض قوافل الحج^(٥).

فقد خرج القرمطي (سليمان بن الحسن بن سعيد الجنابي) سنة (٣٢٢هـ / ٩٣٣م) من البحرين واتخذ من الدولة لتأسيس مجتمع عادل وتحقيق المساواة الاجتماعية التي كانت شعاراً لثورته^(٦).

وشهد عصر المكتفي ازدياد النفوذ الساماني من خلال تأسيس دولتهم على يد نصر بن أحمد بن أسد بن سامان (ت ٢٧٩هـ / ٨٩٢م) سنة (٢٦١هـ / ٨٧٤م) في مناطق خراسان وبلاد فارس حيث وجه إسماعيل بن أحمد الساماني (ت ٢٩٥هـ / ٩٠٧م) الخلع والهدايا على مناطق الري^(٧).

(١)- المسعودي، مروج، ج ٤، ص (٢٦٠-٢٦١).

(٢)- ظهرت حركة القرامطة في العراق سنة (٢٦١هـ / ٨٧٤م) وبدأت أول حركة ملحّة لها سنة (٢٧٨هـ / ٨٩١م)، ثم تراجعت بعد هذه السنة على أثر اختفاء داعيها حمدان قرمطي في السنة نفسها وتم إخماد هذه الحركة بعد فشلها العسكري سنة (٢٩٥هـ / ٩٠٧م) إلا أن تم القضاء عليهم سنة (٣١٦هـ / ٩٢٨م) وتأثرت الحركة القرمطية بالنواحي السياسية والاجتماعية والاقتصادية بالوضع المحلي في العراق وانتشرت الدعوة بين الفلاحين وأهل الحرف وعوام المدن الذين عانوا من جشع الحياة واستغلال الملاكين. الطبري، أبو جعفر مجمل بن جرير: تاريخ الرسل والملوك، تحقيق أبو الفضل إبراهيم، مصر، دار المعارف، ط ٢، ج ١٩ ص ٣٣٣. الدوري، تاريخ العراق، ص (٩٥-٩٦).

(٣)- ويعد من أشهر قادة ودعاة القرامطة، أنظر عنه: الزركلي، خير الدين: الاعلام، دار العلم للملايين، ط ٤، بيروت، ١٩٩٩، ج ١، ص ١٢٥.

(٤)- المسعودي، مروج، ج ٤، ص ٣١٤. القلقشندي، أبو العباس شهاب الدين: صبح الأعشى في صناعة الإنشئ، وزارة الثقافة والإرشاد، ط ٢، القاهرة، د.ت، ج ٤ ص ٢٦٨.

(٥)- المسعودي، التنبيه، ص (٣٣٦-٣٣٧).

(٦)- المسعودي، التنبيه، ص (٣٣٧-٣٣٨). الدوري، تاريخ، ص (٩٥-٩٦).

(٧)- المسعودي، مروج، ج ٤، ص ٣٢٧.

وانتقد المسعودي خلفاء العصر العباسي الثاني على حالة الضعف والتراجع التي وصلوا إليها مقارنة بالعصر الأول الذي امتاز بالقوة والهيبة أمام الرعية، فقد وصف الحالة السيئة التي وصل إليها الخلفاء في تردي أوضاعهم وضعف سيطرتهم على أمور الدولة ويتضح ذلك من خلال عصر الخليفة المقتدر الذي عين وعزل ثم خلع من منصبه مرات عدة^(١)، وجددت له البيعة وأجبروه على خلع نفسه من منصب الخلافة، كما طالبوه بالاعتراف بعجزه عن ممارسة سلطته، فكتب ذلك بخط يده وأشهدوا على نفسه سنة (٣٢٠هـ / ٩٣٢م) إلى أن قتل في السنة نفسها^(٢).

وامتاز عهد الخليفة القاهر بالله (٣٢٠ - ٣٢٢هـ / ٩٣٢ - ٩٣٣م) بالفوضى والاضطرابات السياسية، وامتد خطر القرامطة في عهده وهددوا مركز الخلافة واعترضوا قوافل الحج^(٣)، وسادت الفتن في بغداد، واشتهر القاهر بالقسوة وسرعة الإقدام، ووصفه المسعودي قائلاً "كان شديد الإقدام على سفك الدماء، أهوج، محباً لجمع المال، غير مفكر في عواقب أموره، قليل الرغبة في اصطناع الرجال"^(٤)، مما أثار الجند عليه وخلعوه وسلمت عيناه، ثم وضع في السجن إلى أن مات سنة (٣٣٩هـ / ٩٥٠م)^(٥).

ولم يكن حال الخليفة "المتقي لله" (٣٢٩ - ٣٣٣هـ / ٩٤٠ - ٩٤٤م) "بأفضل من سابقه فقد اشتد خطر البريديين^(٦) في عهده وسيطروا على البصرة وتوجه أبو الحسين البريدي جعفر بن محمد البريدي (ت ٣٣٦هـ / ٩٤٧م) على رأس جيش تعداده عشرة آلاف مقاتل سنة (٣٣٠هـ / ٩٤١م) إلى بغداد فترك المتقي دار ملكه وانتهدب دار الخلافة وانتهدك عرض الحريم والخدم وقتل الكثير من أتباعه، ثم خلع وسلمت عيناه، كما تمكن أبو الحسن أحمد بن بويه الديلمي الملقب بمعز الدولة من السيطرة على حياة الخليفة المستكفي بالله (٣٣٣ - ٣٣٤هـ / ٩٤٤ - ٩٤٥م)

(١)- المسعودي، التنبيه، ص ٣٢٦.

(٢)- المسعودي، مروج، ج ٤، ص ٣٢٨.

(٣)- المسعودي، التنبيه، ص (٣٣٦ - ٣٣٧).

(٤)- المسعودي، التنبيه، ص ٣٥١. أنظر للمقارنة: الطبري، تاريخ، ج ١٠ ص ٤١١.

(٥)- المسعودي، التنبيه، ص ٣٣٦.

(٦)- البريديون: لقب أطلق على ثلاث إخوة هم أبو عبدالله، أحمد بن محمد البريدي، وأبو يوسف يعقوب بن محمد، وأبو الحسين جعفر بن محمد البريدي وكان لهم شأن ومكانة في البلاط العباسي خلال حقبة الضعف في عهد الخليفة المقتدر العباسي وخلفائه، وترأس هذه الأسرة أبو عبدالله واستطاع جمع الأموال بطرق مختلفة في عهد الخليفة الراضي وتمكن من السيطرة على بغداد في عهد الخليفة المتقي واستولى على البصرة إلا أن جيش الخليفة أخرجه منها، وتمكن جعفر البريدي من السيطرة على بغداد والاستيلاء على خزينة الخلافة، الموسوعة العربية، سوريا، ١٩٩٨م، مجلد ٣ ص ٢٩.

حتى قبض عليه وسملت عيناه، وهو ما يدل على سيطرة البويهيين على مركز الخلافة العباسية^(١) ويظهر ذلك بوضوح في عهد الخليفة المطيع لله فقد استبد أحمد بن بويه بالحكم، وكان الغالب على أمر المطيع والقائم بتدبير أموره فطبق المذهب الشيعي مخالفاً بذلك أهل السنة، الذين كانوا يقولون أن العباسيين مغتصبين للسلطة فتكروا للخلافة العباسية واعتدوا على أملاك الخلفاء وزاحموهم في المظاهر والألقاب والخطبة ووصل بهم الأمر إلى نقش أسمائهم على الدنانير^(٢)، وفي عهد المطيع زالت رسوم الخلافة ويذكر قائلاً: "وغلِبَ على الأمر بني بويه والمطيع لا أمر ولا نهى ولا خلافة"^(٣).

وهذا ما دعا المسعودي إلى عدم الإسهاب في الحديث عن أيام وأخلاق وصفات خلفاء الحقبة الأخيرة من عصر الدولة العباسية بقوله: "ولم نرض لوصف أخلاق المتقي والمستكفي والمطيع ومذاهبهم إذ كانوا كالمولى عليهم لا أمر ولا طاعة تنفذ لهم"^(٤)، وحز في نفس المسعودي حال الخلفاء والدولة والانقسام الذي حل بها فشبه حال المسلمين في ذلك الوقت بحال ملوك الطوائف بعد قتل الاسكندر المقدوني ملك بابل فيقول: "وأما بالحضرة فتقرّد بالأمر غيرهم فصاروا مقهورين خائفين قد قنعوا باسم الخلافة ورضوا بالسلامة وما أشبه أمور الناس في الوقت إلا بما كانت عليه ملوك الطوائف^٥ بعد قتل الاسكندر بن فيلبس داريوش وهو دارا بن دارا ملك بابل، ظهور أردشيين بابك الملك، كل قد غلب على صفعه يحامي عنه ويطلب الازدياد إليه مع قلة العمارة وانقطاع السبل وخراب كثير في البلاد وذهاب الأطراف وغلبة الروم وغيرهم من الممالك على كثير من ثغور الإسلام ومدنه"^(٦)

(١) - المسعودي، مروج، ج ٤، ص ٤١٩. أنظر للمقارنة: الصابي، أبو الحسن الهلال بن المحسن: تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء، دار الأفاق العربية، د. ط، القاهرة، ٢٠٠٣، ص ٣٤٦.

(٢) - ابن الأثير، الكامل، ج ٨، ص ١٦. انظر أيضاً القلقشندي، صبح الأعشى، ج ٤، ص ٢٦٩.

(٣) - المسعودي، مروج، ج ٤، ص ٤٢١. المسعودي، التنبيه، ص ٣٤٥.

(٤) - المسعودي، مروج، ج ٤، ص ٣٠٥ - ٣٠٦، المسعودي، التنبيه ص ٤٠٠. الطبري، تاريخ، ج ٥، ص ٦١٥.

٥ - ملوك الطوائف: يقصد بهم المسعودي خلفاء الاسكندر الأكبر من قادة وأقارب وأصدقاء الذين تصارعوا للوصول إلى الحكم بعد وفاته. المسعودي، مروج، ج ١، ص ٣٤٤.

(٦) - المسعودي، التنبيه، ص ٤٠٠.

ثانياً-الأوضاع الثقافية والفكرية:

امتازت العراق في عصر المسعودي بنهضة علمية ونشاط ثقافي بارز، فقد نبغ الفقهاء والعلماء والأدباء وتقدمت الحركة العلمية في مصر والشام مما ساعد المسعودي على تلقي علومه وثقافته على الرغم من حالة الضعف والتراجع السياسي الذي ألم بالدولة العباسية في هذا العصر^(١).

وتعود أسباب ازدهار الثقافة الإسلامية خلال القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي لعدة أسباب وأهمها نضوج الفكر العربي عن طريق الترجمة من اللغات الأجنبية، وخاصة اليونانية وعلمائها مثل أفلاطون وأرسطاطاليس^(٢)، وأيضا الفارسية والهندية إلى العربية ساهمت بدورها في البحث والتأليف وانتشار العلوم المختلفة عند العرب^(٣)، فقد صُهرت حضارات البحر المتوسط والهندية والصينية واليونانية والإيرانية والفارسية في بوتقة الإسلام، ومع اتساع رقعة الدولة الإسلامية ووفرة خيراتها ورواج تجارتها وإقبال الناس على طلب العلم انطلق معظم العلماء في رحلات علمية واسعة مبتعدين عن أرض المولد حتى صار أكثر العلماء يختلف في أصلهم ومنهم المسعودي فصاروا ينتمون إلى المكان الذي ظهر فيه، هذا وتميزوا بموسوعيتهم وعدم قصر اهتمامهم على علم دون آخر^(٤)، إضافة إلى أن الناس تشبعوا بروح الأمة العربية والإسلامية وابتعدوا عن التعصب^(٥)، ففي العراق احتفظت البصرة بمكانتها العلمية والأدبية وبرز فيها نشاط ثقافي ضخم حتى القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي فكثر بمساجدها حلقات العلماء والأدباء وكما نشطت فيها دراسة الفلسفة متمثلة في جماعة إخوان الصفا^(٦) الذين اتخذوا من البصرة مركزا لنشاطهم العلمي، أما بغداد فقد اشتغل علماءها بالنقل والترجمة وإنتاج العلوم الدينية واللغوية، كما

(١) - المسعودي، مروج، ج٤، ص٣٢٩-٣٦٦، مسكويه، أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب: تجارب الأمم وتعاقب الهمم، مطبعة التمدن، د.ط، القاهرة، ١٩١٤، ج٦، ص (٨٤-٨٥).

(٢) المسعودي، المروج، ج٢ ص٩. التنبيه، ص٨.

(٣) أوليري، دي لاس: الفكر العربي ومركزه في التاريخ، ترجمة: إسماعيل بيطار، دار الكتاب اللبناني الجديد، بيروت، ط١، ١٩٧٢، ص٩٦.

(٤) أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل: المختصر في أخبار البشر، دار المعرفة، بيروت، د.ط، د.ت، ج١ ص٨٤.

(٥) الخربوطلي، علي: المسعودي سلسلة نوابغ الفكر العربي، دار المعارف، القاهرة، ط٢، ص١٧ وما بعدها.

(٦) إخوان الصفا: جماعة سرية ذات ميول شيعية نشأت في القرن الرابع الهجري العاشر الميلادي وقالوا أن الشريعة قد دنست ولا سبيل لتطهيرها إلا بالفلسفة، وأنهم وجدوا الطريق إلى الله تعالى، وأنه إذا امتزجت الشريعة العربية بالفلسفة اليونانية حصل الكمال. أمين، أحمد، الزين، أحمد: الامتاع والموانسة، دار مكتبة الحياة، بيروت، د.ت، ج٢ ص٥.

ساهمت الدويلات الإسلامية المستقلة عن الدولة العباسية بنصيب كبير في النهضة العلمية والثقافية وبناء الحضارة الإسلامية^(١).

وانتشرت في القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي المذاهب الإسلامية الأربعة فظهر مذهب أبي حنيفة النعمان (ت ١٥٠هـ / ٧٦٧م)^(٢) والمذهب المالكي لمالك بن أنس مؤلف كتاب "الموطأ" (ت ١٧٠هـ / ٧٨٦م)^(٣) والمذهب الشافعي لمحمد بن إدريس بن شافع (ت ٢٠٤هـ / ٨١٩م)^(٤) ومذهب الإمام أحمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ / ٨٥٥م)^(٥) المعروف بالمذهب الحنبلي وتتميز هذا العهد باختلاف العلماء والفقهاء من أهل السنة والشيعة في مختلف القضايا الدينية والفقهية^(٦).

وظهر الاهتمام بعلوم الحديث وجمع الصحيح منها في كتب خاصة واشتهر في ذلك البخاري (محمد بن إسماعيل ت ٢٥٦هـ / ٨٦٩م)^(٧) ومسلم (أبو الحسين مسلم بن الحجاج ت ٢٦١هـ / ٨٧٤م)^(٨) في كتابيهما الصحيحان^(٩)، وقد أخرجت كل من بخاري وسمرقند فئة كبيرة من رجال الحديث والفقهاء، وقد زارها المسعودي وتلقى علومه فيها، وظهر علم الجرح والتعديل الذي يبحث في صحة رجال الحديث ورواياته، وبرز في هذا المجال "الرازي عبد الرحمن ابن أبي حاتم (ت ٣٢٧هـ / ٩٣٨م) في كتابه "الجرح والتعديل"^(١٠).

وازدادت النهضة الثقافية والعلمية بظهور الفرق والملل الإسلامية من خلال طروحاتها وآرائها إضافة إلى عقدها للمناظرات وحلقات العلم، فكان لظهور فرقة المعتزلة الأثر الواضح في الحقبة ما بين (٢٣٢ - ٣٣٠هـ / ٨٤٦ - ٩٤١م) بظهور الفلاسفة الذين أنشأوا فكرة الاعتزال

(١)- المسعودي، مروج، ج ٤، ص ٢٢٢، ٢٣١، ٢٣٧. الطبري، تاريخ، ج ٥، ص ٦٢٢.
(٢)- أنظر عنه: الرازي، أبو محمد عبد الرحمن ابن أبي حاتم: الجرح والتعديل، دار إحياء التراث العربي، ط ١، بيروت، ١٩٥٣، ج ٣، ص ١٦.
(٣)- الرازي، الجرح، ج ٧، ص ٣١.
(٤)- السبكي، تاج الدين عبد الوهاب بن علي: طبقات الشافعية الكبرى، دار المعرفة، ط ٢، بيروت، د.ت، ج ٢، ص ٧٣.
(٥)- الرازي، الجرح، ج ١، ص ٢٧.
(٦)- المسعودي، مروج، ج ٤، ص (١٣٢-١٣٣).
(٧)- الحموي، شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الحموي: معجم الأدباء، مطبعة دار المأمون، ط الأخيرة، بيروت، د.ت، ج ١، ص ٧٦.
(٨)- السبكي، طبقات، ج ٥، ص ٩١.
(٩)- المسعودي، مروج، ج ٤، ص (٣٢٥-٣٢٦).
(١٠)- النديم، محمد بن اسحق ابن أبي يعقوب: الفهرست، دار المعرفة، ط ٢، بيروت، د.ت، ص (٣٢٠-٣٢١).

وطرحوا رؤيتهم الدينية حول مسألة القضاء والقدر والكفر والإيمان والتقوى والعدل^(١)، وقد اشتهر منهم: أبو علي الجبائي (ت ٣٠٣هـ / ٩١٥م)^(٢) وأبو زيد البلخي (ت ٣٢٢هـ / ٩٣٤م)^(٣) وأبو الحسن الأشعري (ت ٣٢٤هـ / ٩٣٥م)، وانتشرت علومهم بانتقال طلابهم في بلاد الشام والعراق^(٤)، وظهر في هذه الحقبة التصوف وانتشر علماء الصوفية واتخذوا من التقشف والزهد في الدنيا والتقوى والورع شعاراً لهم للوصول إلى أعلى مراتب الإيمان والإخلاص للدين.

وكان لعلماء الشيعة دور بارز في فتح باب الاجتهاد في القضايا الدينية والفقهية ومن أشهرهم: أبو جعفر الكليني محمد بن يعقوب (ت ٣٢٨هـ / ٩٣٩م)^(٥)، وكتابة الأصول، ومؤلفات محمد بن بابويه القمي (ت ٣٨١هـ / ٩٩١م) من أهمها: كتابه: "من لا يحضره الفقيه"^(٦).

وتميز هذا العصر بامتزاج الثقافات وتنوع العلوم والمعارف بفضل الترجمة والاطلاع على الثقافة اليونانية والفارسية واقتبس العلماء المسلمون من الفلسفة اليونانية مما أدى إلى دراسة علوم الرياضيات والفلك والطبيعات والطب والصيدلة وعلوم الأدب واللغة والشعر^(٧).

ومن أشهر العلماء والأدباء والشعراء في ذلك العصر ابن أبي الدنيا (٢٨١هـ / ٨٩٤م) مثقف الخليفة المكتفي، والبحثري (٢٨٤هـ / ٨٩٧م) شاعر الخلفاء، والمبرد (ت ٢٨٦هـ / ٨٩٩م)، وابن نفطويه (ت ٣٢٣هـ / ٩٣٤م)، وثابت بن قرة الحراني (ت ٢٨٧هـ / ٩٠٠م)، والرازي (ت ٢٣٢ - ٣٢٠هـ / ٨٤٦ - ٩٣٢م)، وابن سينا (ت ٤٢٨هـ / ١٠٣٦م)^(٨).

(١)- المسعودي، مروج، ج ٣، ص ٢٦٩ - ٢٧٠.

(٢)- أبو علي الجبائي: محمد بن عبد الوهاب بن سلام، من معتلة البصرة، ولد سنة (٢٣٥هـ / ٨٤٩م)، وتوفي سنة (٣٠٣هـ / ٩١٥م)، تكلم بالمعتزلة مع البصريين، وترأسهم ثم ارتحل إلى بغداد. النديم، الفهرست، ص ١٨٩.

(٣)- أبو زيد البلخي: أحمد بن سهل، أحد الكبار جمع بين الفلسفة والأدب والفن، ولد في إحدى قرى بلخ، أول من استعمل رسم الأرض في كتابه "صور الأقاليم الإسلامية" وله عدة مؤلفات منها: أقسام العلوم، شرائع الأديان، وينسب إليه كتاب البدء والتاريخ. الحموي، معجم الأنباء، ج ٣، ص (٦٥ - ٦٦).

(٤)- المسعودي، مروج، ج ٣، ص ٢٣٥.

(٥)- الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ١٥، ص ١٦١.

(٦)- الحموي، معجم الأدباء، ج ١١، ص ٢٠٦.

(٧)- المسعودي، مروج، ج ١، ص (٧ - ١٠). أنظر للمقارنة: مسكويه، تجارب، ج ٢، ص (٨٥ - ٨٧).

(٨)- المسعودي، مروج، ج ١، ص (٦ - ١٠). أنظر أيضاً: عبد العزيز، بحث ص (٤٣ - ٤٤)، ص ٤٥، سالم، عبد العزيز: التاريخ والمؤرخون العرب، مؤسسة شباب الجامعة، د. ط، الاسكندرية، ١٩٩٩، ص ٩١ - ٩٣. زيدان، جرجي: تاريخ آداب اللغة العربية، مطبعة الهلال، د. ط، القاهرة، د. ط، ج ٢، ص (٣١٣ - ٣١٤)، عاصي، حسن: المسعودي، دار الكتب العلمية، ط ١، بيروت، ١٩٩٣، ص ١٠٥.

وتطورت الدراسات التاريخية لعلم التاريخ في هذا العصر خلال القرن الرابع الهجري العاشر الميلادي ويتضح ذلك من خلال الدراسة المنهجية للبحث التاريخي واستقلالية علم التاريخ عن غيره من العلوم، وتخصص المؤرخون في دراسة التاريخ بوصفه علماً قائماً على تحليل الأحداث والروايات، وقد بدأ التدوين التاريخي في هذا القرن وأسهم المؤرخون في جمع مادتهم التاريخية وتدوينها حيث شكلت لهذا العرض المدارس التاريخية الخاصة في المادة والتنظيم، وكان لبغداد الدور الأكبر في استقطاب تلك المدارس^(١)، وأخذت تجذب إليها العلماء وبرز المؤرخون في التأليف، وقد تباينوا في وجهات نظرهم حسب الميول والحقبة الزمنية التي واكبوها فكان منهم: ابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ / ٨٨٩م) وكتابه المعارف، وأبو حنيفة الدينوري (أحمد بن داود ت ٢٨٢هـ / ٨٩٥م) وكتابه الأخبار الطوال، واليعقوبي (ت ٢٩٢هـ / ٩٠٤م) وكتابه تاريخ اليعقوبي، وفي عصر الخليفة المقتدر (٢٩٥ - ٣٢٠هـ / ٩٠٧ - ٩٣٢م) برز العديد من المؤرخين المعاصرين للمسعودي منهم: ابن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ / ٩٢٢م)، وأبو بكر محمد ابن يحيى الصولي (ت ٣٣٥هـ / ٩٤٦م)^(٢)، وقدامة بن جعفر الكاتب (ت ٣٣٧هـ / ٩٤٨م)^(٣) الأديب المؤرخ.

وتمكن العديد من العلماء الجمع بين التاريخ والجغرافية في التأليف، وكان المسعودي من أشهرهم فقد وصف بالمؤرخ والجغرافي والرحالة، وكان من أبرز الجغرافيين أبو القاسم "أحمد بن حوقل البغدادي" (ت ٣٠٥هـ / ٩١٧م) وكتابه صورة الأرض^(٤)، وأبو إسحق الاصطخري (ت ٣٤٦هـ - ٩٥٧م)^(٥) ومن أشهر مؤلفي التراجم في ذلك العصر النديم محمد بن أبي يعقوب (ت ٣٢٠هـ / ٩٣٢م) وكتابه الشهير الفهرست^(٦).

(١) - المسعودي، مروج، ج ١، ص ٨.

(٢) - أبو بكر الصولي: محمد بن يحيى بن عبدالله الصولي نسب إلى جده "صول"، يعرف بالشطرنجي، من اكابر علماء الأدب، نادم ثلاثة من خلفاء بني العباس "الراضي، المكتفي، المقتدر" وله تصانيف منها: الأوراق، أشعار أولاد الخلفاء، أخبار الراضي والمتقي، أخبار القرامطة، توفي بالبصرة، ابن خلكان: وفيات الاعيان، ج ١ ص ٥٠٨.

(٣) - قدامة بن جعفر: أبو الفرج، قدامة بن جعفر بن قدامة بن زياد البغدادي، كاتب من البلغاء والفصحاء المتقدمين في علم المنطق والفلسفة أسلم على يد الخليفة المكتفي بالله العباسي وتوفي ببغداد، ضرب به المثل في البلاغة، له كتب منها: علم المنطق والفلسفة، أسلم على يد الخليفة المكتفي بالله العباسي وتوفي ببغداد، ضرب به المثل في البلاغة، له كتب منها: الخراج، نقد الشعر، البلدان. النديم، الفهرست، ص ١٣٠.

(٤) - الحموي، معجم الأدباء، ج ٢، ص (٧٦ - ٧٧).

(٥) - الاصطخري، أبو إسحاق، إبراهيم بن محمد الفارسي، يقال له الكرخي، جغرافي ورحالة، من اهل اصطخر بإيران، تنقل في بلاد العرب وبلاد الهند، له كتاب المسالك والممالك. الحموي، معجم الادباء، ج ٦، ص (٧١ - ٧٢).

(٦) - المسعودي، مروج، ج ١، ص (٧ - ٨).

وهكذا رصد المسعودي الموقف المتناقض بين ضعف الخلافة العباسية وتردي الأوضاع السياسية وما رافق ذلك من نشاط الحياة العلمية والأدبية والثقافية، الأمر الذي دفع المسعودي إلى التأليف والكتابة معتمداً على المصادر الثقافية المختلفة وعلى رحلاته للوقوف على حقيقة الحدث، ومشاهدة الأماكن والمواقع بنفسه لتسجيل تاريخه ومعلوماته، وانتشرت في عصره حلقات العلم والمعرفة وظهر الجدل والنقاش والحوار بين الأديان والعقائد وتكلم أصحاب الفرق في أمور الدين والدولة والإمامة وبينوا مواقفهم منها^(١).

ثالثاً- الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية:

ينقسم المجتمع العباسي من الناحية الاقتصادية خلال القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي إلى ثلاث طبقات:

١. طبقة العامة: وتشمل الفلاحين وأهل الحرف، والصناع، والباعة والمتجولين.
 ٢. الطبقة الوسطى: تشمل عامة التجار والموظفين وأصحاب الملكيات الصغيرة من الأراضي.
 ٣. الطبقة الحاكمة: وعلى رأسها الخليفة وعائلته وأقربائه ويدخل فيها كبار الموظفين كالوزراء ورؤساء الكتاب وكبار التجار^(٢).
- اعتمد الاقتصاد بالدرجة الأولى على الأرض التي تعد أهم حقل في الإنتاج الزراعي، فقد كانت أراضي الخلافة منتشرة في مختلف أنحاء العراق وتوسعت تدريجياً إلى مناطق أخرى بالشراء والمصادرة^(٣)، وكان الخليفة يمنح الإقطاعات من أراضيه الخاصة فيذكر المسعودي ذلك بقوله: "بأن يقطع السلطان رجلاً أرضاً فتصبح له رقبته"^(٤)، أي أن الأرض تصبح ملكاً لصاحب الإقطاع.

وقد قسمت الإقطاعات إلى عدة أنواع منها الإقطاعات المدنية، وهي التي تمنح للموظفين بدل الرواتب، والإقطاعات الخاصة وتمنح لأصحاب الخدمات الخاصة، كالشعراء

(١)- المسعودي، مروج، ج ١، ص (١١-١٢)، مسكويه، تجارب، ج ٥، ص (٣٧-٣٨). ابن الأثير، الكامل، ج ٧، ص ٧٢-٨٥. أنظر أيضاً: علي، علي: موارد تاريخ الطبري، المجمع العلمي العراقي، د.م، د.ط، ١٩٦١م، ص (١٧-١٨). العزاوي، عبد الرحمن حسين: المسعودي مؤرخاً، اتحاد المؤرخين العرب، القاهرة، ط ١٩٨٢، ٢م، ص (٢٦-٢٧). عاصي، المسعودي، ص (٢٩-٣١).

(٢)- المسعودي، التنبيه، ص ٣٣٦. المسعودي، مروج، ج ٤، ص ٢٦١.

(٣)- الصابي، الوزراء، ص ٣٣٨.

(٤)- المسعودي، مروج، ج ٤، ص (٣١٥-٣١٦).

والمحدثين والأدباء ولهم حق توريث الإقطاع^(١)، وخلال ضعف الخلافة العباسية أصبح هناك إقطاع للخليفة خاص به وهو يشبه الإقطاع المدني^(٢).

وتراجعت الحالة الاقتصادية في العصر الثاني للدولة العباسية، بسبب تراجع الحالة السياسية^(٣)، إذ اجتمع عند الخليفة الفساد والضعف، وأنفقت أموال كثيرة على بذخ الخلفاء والوزراء والأمراء^(٤)، وأشار الصابي في كتابه الوزراء إلى حجم النفقات التي رصدت من ميزانية الدولة منها "أرزاق الغلمان وأرزاق الفرسان من الأحرار والمميزين وأرزاق الأنصار والحرس وأصحاب الأعلام والأخبار والمؤذنين والمنجمين .. الخ"^(٥).

وأبرز مسكويه في تجارب الأمم النفقات التي رصدت للحريم، ونفقات الخدم والطعام، والشراب، والكسوة، والخلع، والطيب، والهدايا، إضافة إلى الميزانية التي خصصت للأمراء وقادة الجند وهو ما يشير إلى فساد الإدارة المالية في عصر الخلافة الثاني، الأمر الذي ساهم في تدهور الحياة الاقتصادية^(٦).

وساهمت حقبة "أمة الأمراء" (٣٢٤ - ٣٣٤هـ / ٩٣٥ - ٩٤٥م) في الضائقة الاقتصادية التي أحكمت على بغداد، فلم يتمكن الخليفة من دفع أرزاق الجند، ولم يحصل على ما يكفي نفقات الخلافة لسيطرة الأمراء على حياتهم^(٧)، وازداد التنافس بين الأمراء على المناصب القيادية في الدولة مما ساعد على انتشار حالة الفوضى والاضطراب في بغداد، ونتج عن ذلك حالة الفقر والجوع، التي أدت بدورها إلى انتشار النهب والسلب، وهو ما دفع أهلها إلى اللجوء إلى البصرة بحثاً عن وضع أفضل يساهم في تأمين قوت يومهم^(٨).

وعلى الرغم من سوء الحالة التي مرت بها الخلافة إلا أن بعض الخلفاء حاول إصلاح الوضع الاقتصادي المتدهور، فقد اتخذ الخليفة المعتضد بالله سنة (٢٨٢هـ / ٨٩٥م) عدة

(١) - مسكويه، تجارب، ج ٢، ص ٢٤١، الصابي، الوزراء، ص ٣٤٠.

(٢) - مسكويه، تجارب، ج ٢، ص ٣٦٤. الطبري، تاريخ، ج ١٠، ص ٤٧.

(٣) - المسعودي، التنبيه، ص ٤٣٠. المسعودي، مروج، ج ٤، ص ٢٥٧. مسكويه، تجارب، ج ٤، ص ٧٢. الطبري، تاريخ، ج ١٠، ص ٥١. ابن الأثير، الكامل، ج ٤، ص ٣٥. أنظر أيضاً: الدوري، تاريخ، ث (٣٨ - ٣٩) ..

(٤) - المسعودي، مروج، ج ٤، ص ٣٥١.

(٥) - الصابي، الوزراء، ص (٢٣٨ - ٢٣٩). مسكويه، تجارب، ج ٢، ص (٩ - ١٠).

(٦) - مسكويه، تجارب، ج ١، ص (٢٥٣ - ٢٥٤).

(٧) - المسعودي، مروج، ج ٤، ص (٣٦٤ - ٣٦٥)، ٣٧٨، ٣٨٤.

(٨) - الصابي، الوزراء، ص (٢٣٨ - ٢٣٩). مسكويه، تجارب، ج ٢، ص (٩ - ١٠).

إصلاحات منها الاعتناء بالمزارعين، وتأخير موعد جباية الخراج، والعناية بحفظ نظام الري، كما قدم للفلاحين الأموال والمساعدات لشراء البذور ولوزم الزراعة^(١).

واتخذ الخليفة المقتدر (٢٩٥ - ٣٢٠هـ / ٩٠٧ - ٩٣٢م) عدة إصلاحات في شؤون الوزارة والدواوين، كما حاول الخليفة الراضي (٣٣٢ - ٣٣٩هـ / ٩٤٣ - ٩٥٠م) إدخال بعض الإصلاحات الاقتصادية والسياسية، للحد من الفوضى والتدبير ومحاسبة العمال والموظفين، وقد شغل الوزير "علي بن عيسى بن داود الجراح" (ت ٣٣٤هـ / ٩٤٥م)^(٢)، دوراً هاماً في سياسة الإصلاح في العصر الثاني^(٣)، وتقلد عدة مناصب منها في الوزارة والدواوين والاستشارة والإشراف، كما أسند إليه النظر في المظالم وكانت أول إشارة لوظائفه في عهد الخليفة المنتصر بالله (٢٧٩ - ٢٨٩هـ / ٨٩٢ - ٩٠١م)، فقد اشتهر بحسن إدارته وتدبيره^(٤)، كما لجأ الخليفة المكتفي بالله إلى توليته منصب الوزارة سنة (٢٩٠هـ / ٩٠٢م)، إلا أنه رفض ذلك وتقلد العمل بالدواوين المالية، ومن أهم الوظائف التي تقلدها في عهد الخليفة المقتدر بالله (٢٩٥ - ٣٢٠هـ / ٩٠٧ - ٩٣٢م) الكتابة ورئاسة الدواوين، ثم عين وزيراً ومشرفاً على النفقات المالية للدولة مما يدل على سياسته الناجحة في الإصلاح^(٥).

ويبدو أن الخليفة القاهر بالله (٣٢٠ - ٣٢٢هـ / ٩٣٢ - ٩٣٣م) قد أعجب به، ولهذا استدعاه وفوض إليه النظر والإشراف على أعمال الوزارة^(٦)، وجعله الخليفة الراضي مستشاراً في أمور الخلافة وأشار عليه بعدة إصلاحات لتغيير الوضع السيئ^(٧)، كما اهتم الخليفة المتقي لله (٣٢٩ - ٣٣٣هـ / ٩٤٠ - ٩٤٤م) بعلي بن عيسى ووطد علاقته به وقربه منه فأسند إليه النظر في نفقات الدولة^(٨).

(١)- المسعودي، مروج، ج٤، ص(٢٦١ - ٢٦٢). الطبري، تاريخ، ج١٠، ص ٥٤. الصابي، الوزراء، ص (١١٩ - ١٢١).

أنظر أيضاً: الدوري، تاريخ، ص ٥١. السامرائي: المؤسسات، ص (٤٥ - ٤٧).

(٢)- النديم، الفهرست، ص ٢٠٧.

(٣)- المسعودي، مروج، ج٤، ص ٢٦٢، (٢٧٩ - ٢٨١).

(٤)- الصابي، الوزراء، ص ١٤٣.

(٥)- الصابي، الوزراء، ص (٣٠٦ - ٣٠٧). ابن الأثير، الكامل، ج٨، ص ٦٢.

(٦)- ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، المؤسسة المصرية العامة، دط، القاهرة، دت، ج٣، ص ٢٣٩.

(٧)- مسكويه، تجارب، ج١، ص ٢٩٠.

(٨)- الصابي، الوزراء، ص ١٨٩.

والمفيد ذكره أن الوزير علي بن عيسى ساهم في تقديم المساعدات والقروض للمزارعين وكتب إلى عماله يوصيهم "بإنصاف الرعية والعدل بينهم"^(١)، على أن يلتزموا بدفع الضرائب المستحقة عليهم وأمرهم "بالجد والاجتهاد في إصلاح الأراضي الزراعية"^(٢)، واعتقد علي بأن حفظ نظام الري هو العامل الرئيسي في تقدم النشاط الزراعي فكان يدرك العلاقة الوثيقة بين دخل الدولة والزراعة^(٣)، وعمد الوزير إلى إصلاح الموارد المالية حيث أمر عماله بالاجتهاد في توفير الأموال قائلاً: "أمركم أن تحملوا المال إليه ليتوفر مقداره على أن يتم توفير مخصصات السلطات وتصحيحها"^(٤)، وطالب العمال بإيضاح الحقائق المتعلقة بالأوضاع المالية في ولاياتهم وأمرهم بالتوقف عن صرف الأموال دون أن تعرض عليه مؤكداً أهمية الرقابة المالية^(٥).

وأكد التزامه بشرعية الطرق في جلب الموارد المالية، وحرص على البضائع المنقولة في مكة خلال موسم الحج^(٦)، كما أقدم على إلغاء ضريبة التكملة وهي التي تفرض على الشجر في بلاد فارس^(٧)، وعمد إلى استرجاع الأراضي السلطانية وأعاد دخلها إلى بيت المال^(٨)، وأمر بإلغاء الرسوم أو مظالم القرطاس وهي التي تفرض على ثمن الورق الذي يكتب فيه الخراج^(٩).

وأشار ضيف الله الزهراني إلى مجموعة من الإصلاحات التي عمد إليها الوزير أجمعها في الإشراف على أموال الدولة، وتخفيض نفقات الخليفة، وتخفيض المؤن وإعادة النظر في رواتب الموظفين، واهتم بأموال المصادرات لكي تساعد في تخفيض الأزمات المالية، ولجأ إلى الاقتراض من التجار لسد عجز خزينة الدولة، واهتم بأمور الحسبة والتي تشرف على الأسواق والصناعات ومعاملات البيع ومراقبة الآداب والسلوك العام، كما أفرد لنفسه الإشراف على الرواتب الخاصة التي فرضت لأئمة المساجد والمؤذنين والفقراء والعاملين فيه^(١٠).

(١)- الصابي، الوزراء، ص ٣٣٦.

(٢)- الصابي، الوزراء، ص ٣٣٧.

(٣)- مسكويه، تجارب، ج ٢، ص ١٠٦. أنظر أيضاً: الدوري، تاريخ، ص (٥٢-٥٣). السامرائي، المؤسسات، ص ١٨٠.

(٤)- مسكويه، تجارب، ج ١، ص (٢٧-٢٨).

(٥)- الصابي، الوزراء، ص (١٤٤-١٤٥).

(٦)- الصابي، الوزراء، ص ٣١٠. ابن مسكويه، تجارب، ج ١، ص ٢٨.

(٧)- الصابي، الوزراء، ص ٣٧١.

(٨)- الصابي، الوزراء، ص ٣٠٦.

(٩)- الصابي، الوزراء، ص ٣٧٣. مسكويه، تجارب، ج ٢، ص ١٦٢. الطبري، تاريخ، ج ١١، ص (٨٦-٨٧).

(١٠)- الزهراني، ضيف الله: الوزير العباسي (علي بن عيسى بن داود الجراح)، مركز بحوث الدراسات الإسلامية، د. ط، مكة المكرمة، ١٩٩٤، ص (٧٢-٧٦).

ولجأ إلى إسقاط رواتب الفرسان والغلمان غير المقاتلة، كما ألغى رواتب الخدم والحشم والجلساء والندماء والمغنيين، وأوقف ما كان يقدم لهم من المنح والهدايا في المناسبات والأعياد^(١).

وتميزت حقبة ضعف الخلافة بظهور تحولات كبيرة تجلت في ظهور الإقطاع العسكري، فقد مر الإقطاع بمرحلة عسكرية خلال سيطرة البويهيين على أمر الخلافة العباسية (٣٣٤ هـ / ٩٤٥ م) إذ وزعت الأراضي على الجند بنطاق واسع وحصلت هذه التحولات نتيجة أزمة الخزينة التي مرت بها الدولة من جهة ونظرة البويهيين من جهة ثانية، وخلال القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي برزت الأزمة المالية نتيجة إسراف القصر وطمع الجند وسيطرتهم وتقلص أراضي الخلافة لصالحهم، وقد جرت عدة محاولات لمواجهة الأزمة لبيع ضياع الخلافة وعقد القروض، إلا أن البويهيين بخلفيتهم الإقطاعية ونظرتهم القبلية إلى الأرض كغنيمة اتخذوا هذه الخطوة الجديدة^(٢).

وتوسع العباسيون في منح الاقطاعات للقادة الأتراك بتأثير سيظرتهم، ولم تكن هذه الاقطاعات بدلاً عن الرواتب بل كانت امتيازات ومنح إضافية، ولجأت الخلافة إلى إتباع سياسة الضمان بإعطاء مناطق ومقاطعات يتولى الضامن بموجبها جباية الضرائب بمساعدة الحكومة، وقد يكون الضامن موظفاً أو قائداً أو تاجراً أو وزيراً وكان الدافع من إتباع هذه السياسة عجز الحكومة عن دفع رواتب الجند والموظفين ونفقات البلاط والحاشية^(٣).

واتجه الإقطاع العسكري ليكون البديل عن نظام الدواوين القديم (ديوان الجند)، وقد توسع الجند بالإقطاع واستولى على معظم أراضي بغداد واقطاعات الخليفة الخاصة وأراضي الخراج، وامتد الأمر ليصل إلى أراضي الوقف^(٤).

(١)- الصابي، الوزراء، ص ٢٣١، ٢٨٩، ٣١٦. مسكويه، تجارب، ج ١، ص ١٠٨. ابن الأثير، الكامل، ج ٨، ص (١٦٤-١٦٥).

أنظر أيضاً: الدوري، تاريخ، ص (٢٣٩-٢٤١)، ٢٤٤، ٢٦٤. السامرائي، المؤسسات، ص (٢٩٨-٣٠٠).

(٢)- الطبري، تاريخ، ج ١١، ص (٣٥٢-٣٥٣)، ٣٧٧. الصابي، الوزراء، ص (٩-١١). مسكويه، تجارب، ج ١، ص (٢٥-٢٦)، ٦٩، ٧٤.

(٣)- المسعودي، مروج، ج ٤، ص ٤٢٥.

(٤)- مسكويه، تجارب، ج ٢، ص (٩٦-٩٩)، ١٧٣، ٢٦٧. ابن الأثير، الكامل، ج ٦، ص (٣٣٢-٣٣٤)، ابن الجوزي، جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ط ١، بيروت، ١٩٩٢، ج ٨، ص (٦٠-٦١). وانظر بشأن الإقطاع الدوري، تاريخ، ص (٤٢-٤٥). السامرائي، المؤسسات، ص (٧٤-٧٧)، (١١٠-١١١). الدوري، مقدمة، ص (٨٧-٩١).

ونتيجة السيطرة على الأراضي الزراعية تراجع النشاط الزراعي وتردي وضع المزارعين مما دفعهم إلى إهمال الأرض وترك أعمالهم تجنباً لابتزازهم، وإرهاقهم في دفع الرسوم والضرائب الإضافية^(١)، وأدرك البويهيون ضرورة معالجة الأزمة الزراعية بإصلاح القنوات والسدود، وحاول معز الدولة البويهي إصلاح الأراضي بالسود، كما اهتم بمشكلة موعد جباية الخراج^(٢)، إلا أن العناية بالأرض تلاشت أمام سياسته التي لجأ إليها في حل مشكلة إعالة جيشه وفراغ خزينته^(٣)، مما يدل على أن مصلحة الزراعة قد أهملت في الحقبة (٣٣٤ - ٣٦٨هـ / ٩٤٥ - ٩٧٨م)، فشغلت الحكومة البويهية نفسها بسد حاجاتها المالية، الأمر الذي أدى إلى إهمال السود بفعل الفيضانات وجفاف بعض القنوات الأخرى^(٤).

وعمد عضد الدولة إلى إجراء إصلاحاته الزراعية بإصلاح نظام الري، وتحسين طرق الجباية، وحفر القنوات، وتنظيم السدود، وتأخير جباية الخراج، ليناسب موسم نضوج الغلات، كما استجاب لدعوات وشكاوى الفلاحين، وشجعهم على عرض مظالمهم حتى لو كانت ضد المقطعين العسكريين^(٥).

ولم تنته حقبة الإصلاح بوفاة عضد الدولة (ت ٣٧٢هـ / ٩٨٢م)، فقد اشتد النزاع بين الأمراء والبويهيين، ولم يكن لديهم القدرة على الاستمرار في سياسة الإصلاح بحماية الفلاح من ظلم رجال الجيش وشاع الإقطاع العسكري ليشمل أنواع الملكية الأخرى في العراق خلال السنوات العشر الأخيرة من القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي مما ساهم في تدني مستوى المعيشة وتقليص الخدمات الاجتماعية^(٦).

(١) - الصابي، الوزراء، ص (٣٣٨ - ٣٣٩). مسكويه، تجارب، ج ٢، ص ١٠٦.

(٢) - الصابي، الوزراء، ج ٢، ص ١٦١، ١٦٥.

(٣) - الصابي، الوزراء، ج ٢، ص ٩٦، ٢٠٩، ٢١٦.

(٤) - الصابي، الوزراء، ج ٢، ص (٤٠٥ - ٤٠٦). ابن الأثير، الكامل، ج ٨، ص (٥١٠ - ٥١١).

(٥) - مسكويه، تجارب، ج ٢، ص (٤٠٦ - ٤٠٧).

(٦) (٦) - الصابي، الوزراء، ص ٤٤٤. مسكويه، تجارب، ج ٢، ص ١٦٠. ابن الأثير، الكامل، ج ٩، ص ١٥٩. الدوري،

مقدمة، ص ٨٨ - ٩٣. السامرائي، المؤسسات، ص (١١٢ - ١١٣).

الفصل الثاني التعريف بالمسعودي

أولاً-ولادته ونسبته ونشأته.

ثانياً - شخصية المسعودي.

ثالثاً - شيوخه.

رابعاً - رحلاته وأثرها.

خامساً - المسعودي كمؤرخ.

سادساً - مؤلفاته.

سابعاً - في فن التاريخ بين المسعودي وابن خلدون

ثامناً - وفاته.

أولاً-ولادته ونسبه ونشأته:

هو أبو الحسن علي بن الحسين بن علي بن عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود^(١)، ويبدو أن لقبه أخذ من نسبه إلى الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود^(٢)، الذي لازم الرسول صلى الله عليه وسلم في سيرته وغزواته^(٣).

ولد المسعودي في منطقة بابل في العراق سنة ٢٨٧هـ / ٩٠٠م، وأشار إلى ذلك بقوله: "وأوسط الأقاليم الذي ولدنا به هو إقليم بابل، وولدت في قلوبنا الحنين إليه إذ كان وطننا ومسقطنا"^(٤).

ونكر الذهبي (ت ٧٤٨هـ / ١٣٤٧م)، والصفدي (ت ٧٦٤هـ / ١٣٦٢م) أنه ولد في بغداد^(٥) وقد كتب بحرارة عن حنينه لوطنه وحببه وشوقه للعراق الذي ولد ونشأ فيه "وإن من علامة وفاء المرء ودوام عهده حنينه إلى إخوانه وشوقه إلى أوطانه وبكاؤه على ما مضى من زمانه وإن من علامة الرشد إن تكون النفوس إلى مولدها مشتاقة وإلى مسقط رأسها تواقاً"^(٦).

وانفرد النديم (٣٨٠هـ / ٩٩٠م) بالقول أن المسعودي ولد في المغرب وقد وقع في السهو والخطأ عندما ذكر ذلك^(٧).

واستقرت أسرة عبد الله بن مسعود في الكوفة واهتمت بالعلم والأدب ولم تدخل في الأمور السياسية والصراعات التي شهدتها البلاد خلال العصرين الأموي والعباسي^(٨).

وقد اهتمت أسرة المسعودي بتعليم ابنها وتنقيفه وتنشئة نشأة علمية، وحرصت على تزويده بمختلف العلوم والمعارف، وكانت بغداد في عصره مركزاً من أهم مراكز العلم واشتهرت بمكتبتها

(١)- النديم، الفهرست، ص ٢١٩. ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد الظاهري الأندلسي، جمهرة أنساب العرب، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار المعارف، ط ٥، القاهرة، دت، ص ١٩٧. الحموي، معجم الأدباء، ج ١٣، ص ٩٠. الذهبي، سير الأعلام، ج ١٥، ص ٥٦٩. الصفدي، أبو الصفا خليل بن أبيك بن عبد الله الأديب صلاح الدين، الوافي والوفيات، دار صادر، ط ٢، بيروت، ١٩٩١، ج ٢١، ص ٥. السبكي، طبقات، ج ٢، ص ٣٠٧.

(٢)- عبد الله بن مسعود: كان من أوائل القراء (العلماء) في مكة، وتولى بيت المال في الكوفة في عهد عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وقدم إلى المدينة في خلافة عثمان وتوفي عام ٣٢هـ / ٦٥٢م. الحموي معجم الادباء، ج ٣، ص ٣٩.

(٣)- ابن سعد، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي: الطبقات الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٥، ١٩٩٠م، ج ٦، ص ١٣-١٤. ابن حزم، جمهرة، ص ١٩٧-١٩٨.

(٤)- المسعودي، مروج الذهب، ج ٢، ص ٣٣٤.

(٥)- الذهبي، سير الاعلام، ج ١٥، ص ٥٦٩. الذهبي، تاريخ الإسلام، ج ١٠، ص ٣٤٠. الصفدي، الوافي، ج ٢١، ص ٥.

(٦)- المسعودي، مروج، ج ٢، ص ٣٣٤.

(٧)- النديم، الفهرست، ص ٢١٩.

(٨)- النديم، الفهرست، ص ٢١٩. الحموي، معجم الأدباء، ج ١٣، ص ٩٠. الذهبي، سير الاعلام، ج ١٥، ص ٥٦٩. السبكي، طبقات، ج ٢، ص ٣٠٧.

الأدبية والتاريخية التي ضمت تراث العرب وقصدها العلماء والأدباء، وتلقى المسعودي علومه الأولى فيها^(١).

ثانياً- شخصية المسعودي.

أحاط المسعودي إحاطة تامة بالتراث الأدبي لعصره وبمختلف فروع العلم غير أن ميدانه الحقيقي كان الرحلات الواسعة والاتصال المباشر بممثلي مختلف الفئات^(٢)، ولعل شخصية المسعودي ككاتب يمكن أن تكون أكثر جلاء لو أن مؤلفاته الكبرى لم يمسه الضياع، وقد كان المسعودي ذو عقل منفتح ومحايداً وخالٍ من كل أثر من آثار التعصب^(٣).

وعلى الرغم من عدم وجود أي كتابة عن شخصية المسعودي في حياته اليومية ونفسيته وأخلاقه إلا أنه من الممكن استنتاج ذلك بين سطور كتاباته في كتابه التنبيه والإشراف ومروج الذهب، فالمسعودي كان رجلاً وطنياً مخلصاً فعلى الرغم من أنه أمضى أكثر من ثلاثين سنة في التجوال حتى أنه أصبح شخصية عالمية، فإنه لم ينس موطنه الأصلي حيث ولد^(٤)، وقد كان واثقاً في نفسه وبعلمه وبما وصل إليه من معرفة فقد قدر قيمة ما كتب ونهى عن التصرف فيها بأي شكل من الأشكال وسينزل غضب الله على من يفعل ذلك^(٥)، ومع ذلك فقد كان متواضعاً تواضع العلماء ويعتذر عما يكون في كتبه من سهو أو تغيرات وقعت من جانب الناسخين^(٦).

ثالثاً- شيوخه:

تلقى المسعودي أنواع عديدة من العلوم في الفقه والحديث والسير والأدب واللغة على أيدي علماء، ومن أبرز علماء اللغة في بغداد أبو العباس أحمد بن سريج (ت ٣٠٦هـ / ٩١٨م)^(٧)، ومن العلماء الذين تلقى منهم المسعودي محمد بن خلف بن حيان الملقب بوكيع (ت ٣٠٦هـ / ٩١٨م)^(٨).

(١)- ابن حزم، جمهرة، ص ١٩٧. الحموي، معجم الأدباء، ج ١٣، ص ٩٢. السبكي، طبقات، ج ٢، ص ٣٠٧-٣٠٨. علي: موارد المسعودي، ص ٥١٣.

(٢)- الحموي، معجم الأدباء، ج ١٣، ص ٩٢. السبكي، طبقات، ج ٢، ص ٣٠٧-٣٠٨.

(٣)- الذهبي، سير الأعلام، ج ١٥، ص ٥٧٠.

(٤)- المسعودي، مروج، ج ٢، ص ٧.

(٥)- المسعودي، مروج، ج ٢، ص ٨.

(٦)- المسعودي، مروج، ج ٢، ص ٨.

(٧)- أحمد بن عمر بن سريج القاضي، من علماء الشافعية، حضر المسعودي له جلسات من العلم والمناظرة توفي في بغداد عام ٣٠٦هـ / ٩١٨م، وله مصنفات عديدة، للمزيد أنظر: المسعودي، مروج، ج ٤، ص ٣٠٨، السبكي، طبقات الشافعية، ج ٢، ص ٨٧، ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر: البداية والنهاية، مكتبة المعارف، ط ١، بيروت، ١٩٦٦، ج ١١، ص ١٢٩.

(٨)- محمد بن خلف بن حيان بن صدقة الضبي، لقب بوكيع، قاضي وعالم الحديث والفقه والتاريخ (ت ٣٠٦هـ / ٩١٨م)، وله مصنفات عديدة، للمزيد أنظر: المسعودي، مروج، ج ١، ص ١٥. البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي الخطيب: تاريخ بغداد=

وكذلك أبو الحسن أحمد بن سعيد الدمشقي الأموي (ت ٣٠٧هـ / ٩١٩م)^(١). نقل عنه بعض المعلومات الخاصة بخلفاء بني أمية، ومن المحتمل أن المسعودي سمع من محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ / ٩٢٢م)، حيث نقل عنه مرة واحدة فقال: "حدثنا أبو جعفر محمد بن جرير الطبري"^(٢) وأخذ عنه بعض المسائل التي تتعلق بالسيرة وهو المؤرخ المتضلع وقد أثنى عليه في مقدمة كتابه "مروج الذهب"^(٣).

ومن أشهر العلماء الذين تنقل في حلقاتهم التدريسية أبي إسحاق الزجاج (ت ٣١١هـ / ٩٢٣م)^(٤)، وابن دريد (ت ٣٢١هـ / ٩٣٣م)^(٥)، قال عنه المسعودي: "إنه ممن برع في زماننا هذا في الشعر وأنفسها في اللغة.. وأورد أشياء من كتب المتقدمين"^(٦) لازمه المسعودي وروى عنه أخبار الدولة الأموية^(٧)، والدولة العباسية^(٨)، وشيئاً من أخبار الخيل وحلائبها^(٩).

ونقل عن نفطويه (ت ٣٢٣هـ / ٩٣٤م)^(١٠) بعض أخبار الخليفة العباسي المكتفي بالله (ت ٢٩٥هـ / ٩٠٧م)^(١١) وأخذ عن العالم الفقيه الناقد الأديب أبي القاسم جعفر بن حمدان الموصلي (ت

= دار الكتاب العربي، دط، بيروت، دت ج ٥، ص ٢٢٦. الذهبي، ميزان الاعتدال، ج ٣، ص ٥٣٨. ابن كثير، البداية، ج ١، ص ١٣٠. ابن حجر، أبو الفضل شهاب الدين أحمد بن علي، لسان الميزان، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ط ٢، بيروت، ١٩٧١، ج ٥، ص ١٦١.

(١) أحمد بن سعيد بن عبد الله الدمشقي الأموي، دمشقي الأصل سكن بغداد، كان راوياً للحديث والأخبار (ت ٣٠٧هـ / ٩١٩م). المسعودي، مروج، ج ١، ص ١٥، ج ٣، ص ١٢٧، ١٨١. للمزيد أنظر: المسعودي، التنبيه، ص ٢٧٦. الحموي، معجم الأدباء، ج ١، ص ٥٠٩-٥١٢.

(٢) المسعودي، التنبيه، ص ٢٤٨. مروج، ج ٣، ص ٧، ٢٣.

(٣) المسعودي، التنبيه، ص ٢٤٨. مروج، ج ١، ص ١٥.

(٤) إبراهيم بن السري بن سهد، أبو إسحاق الزجاج، من علماء النحو واللغة ولد في بغداد وتوفي فيها، كانت مجالسه تشهد المناظرات والمناقشات. للمزيد أنظر: المسعودي، مروج، ج ٤، ص ١١١، ٢٩٨، ج ٢، ص ٣٠٣. البغدادي، تاريخ بغداد، ج ٦، ص ٨٩-٩٣. الحموي، معجم الأدباء، ج ١، ص ١٣٠، ١٥١. الطنطاوي، محمد: نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة، دار المعارف، ط ٢، بيروت، ١٩٩٥م، ص ١٤٨.

(٥) محمد بن الحسن بن دريد الأزدي، من علماء اللغة والأدب، ولد في البصرة وارتحل إلى بلاد فارس، وعاد إلى بغداد وكان المسعودي أحد تلاميذه (ت ٣٢١هـ / ٩٣٣م). للمزيد أنظر الحموي، معجم الأدباء، ج ١٨، ص ١٢٧. السبكي، طبقات الشافعية، ج ٢، ص ١٤٥. ابن خلكان، وفيات، ج ٤، ص ٣٢٣.

(٦) المسعودي، مروج، ج ٤، ص ٣٢٠.

(٧) المسعودي، مروج، ج ٢، ص ١٦٣.

(٨) المسعودي، مروج، ج ١، ص ١٣٧، ٣٣٣.

(٩) المسعودي، مروج، ج ٢، ص ٢٢٨.

(١٠) إبراهيم بن محمد بن عرفة بن سليمان العتلي الأزدي النحوي، أبو عبد الله نفطوية، سكن بغداد (ت ٣٢٣هـ / ٩٣٤م). للمزيد أنظر: المسعودي، مروج، ج ١، ص ١٥، ج ٤، ص ٢٨٩. النديم، الفهرست، ص ١٣٠. الحموي، معجم الأدباء، ج ١، ص ٢٣٦-٢٤٩. الطنطاوي، نشأة النحو، ص ١٥٣.

(١١) المسعودي، مروج، ج ٤، ص ٢٨٩.

٣٢٣هـ / ٩٣٤م^(١)، التقاه المسعودي وروي عنه^(٢)، نقل عنه ما كان يدور في مجالس الأدباء والعلماء من نوادر ومناظرات^(٣)، وأخذ عن ابن الأنباري (ت ٣٢٨هـ / ٩٣٩م)^(٤) وكان المسعودي من رواد حلقاته^(٥)، وسمع من القاضي عبد الله بن زهير الدمشقي (ت ٣٢٩هـ / ٩٤٠م)^(٦) مباشرة دون واسطة^(٧).

ومن العلماء الذين اتصل بهم شخصياً، الصولي (ت ٣٣٥هـ / ٩٤٦م) ، استطاع المسعودي أن يحصل عن طريقه على صورة واضحة لما كان يدور في مجالس الخلفاء في بغداد^(٨) حيث أثنى عليه المسعودي^(٩)، ولما كان الصولي من الأشخاص المبرزين في لعب الشطرنج فقد نقل عنه أخباراً ووسائل تتعلق بها^(١٠)، وتقديراً من المسعودي لشيخه الصولي فإنه لم يذكر شيئاً يمسّه، ذلك أنه روى خبراً في أحقية الإمام علي رضي الله عنه حتى أنه خرج من بغداد بسبب مضايقة الخاصة والعامة له ومحاولتهم قتله^(١١)، وهذا من دلالات تشيعه. وأخذ المسعودي عن طاهر بن يحيى حسن بن جعفر بن عبد الله بن الحسين بن علي بن أبي طالب^(١٢)، وأبي الحسين الطوسي، فقد أخذ عنه أخبار تتعلق

(١) - جعفر بن محمد بن حمدان الموصلي، الشافعي، أديب وفقه وشاعر انتقل من الموصل إلى بغداد وهناك اتصل بالعلماء والوزراء في الدولة العباسية. النديم، الفهرست، ص ٢٤٠. الحموي، معجم الأدباء، ج ٣، ص ١١٤ - ١٢٣.

(٢) - المسعودي، مروج، ج ١، ص ٣٠٢، ج ٤، ص ٩٩، ٢٨٥.

(٣) - المسعودي، مروج، ج ٤، ص ٢٨٥.

(٤) - محمد بن القاسم بن محمد بن بشار الأنباري، من علماء اللغة والأدب وحفاظ الشعر و الاخبار، وكان مؤدباً لأولاد الخليفة الراضي. للمزيد أنظر: البغدادي، تاريخ بغداد، ج ٣، ص ١٨١ - ١٨٦. أبي يعلى، محمد بن الحسين، طبقات الحنابلة، مؤسسة الرسالة، ط ١، بيروت، ١٩٨٣، ج ٢، ص ٦٩ - ٧٢.

(٥) - المسعودي، مروج، ج ٢، ص ٦٩ - ٧٢.

(٦) - عبدالله بن أحمد بن ربيعة الدمشقي، قدم بغداد وحدث فيها ومات في مصر ٣٢٩هـ / ٩٤٠م. للمزيد أنظر: البغدادي، تاريخ بغداد، ج ٩، ص ٣٨٧. ابن العماد، عبد الحي بن أحمد، شذرات الذهب، تحقيق عبد القادر ارناؤوط، دار ابن كثير، دمشق، ١٩٨٦، ج ٢، ص ٣٢٣.

(٧) - المسعودي، مروج، ج ٤، ص ٤٢. السبكي، طبقات الشافعية، ج ٢، ص ٣٠٧.

(٨) - المسعودي، مروج، ج ٤، ص ٢٨٧، ٣٢٣، ٣٣٤، ٣٣٦.

(٩) - المسعودي، مروج، ج ١، ص ١٥.

(١٠) - المسعودي، ج ١، ص ٨١، ج ٤، ص ٣٢٣، ٣٢٤، ٢٨٧، ٢٨٨، ٣٢٣، ٣٣٤، ٣٣٦.

(١١) - ابن خلكان، وفيات، ج ٤، ص ٣٦٠.

(١٢) - له مصنفات في أنساب آل أبي طالب، قتل مسموماً. للمزيد أنظر: المسعودي، مروج، ج ٣، ص ٧٣، ٧٤. المسعودي، التنبيه، ص ٢٧٦. الأصفهاني، علي بن الحسين بن محمد الاموي القرشي: مقاتل الطالبين، تحقيق أحمد صقر، دار المعرفة، ط ٢، بيروت، دت، ص ٧٠٤.

ببني أمية^(١). والتقى في بغداد بأبي مسلم إبراهيم ابن عبد الله الكشي أو الكجي (ت ٢٩٢هـ / ٩٠٤م)^(٢).

ومن علماء البصرة الذين التقى بهم المسعودي، يموت بن المزرع (ت ٣٠٤هـ / ٩١٦م)^(٣) الذي تعلم على يديه فنون الأدب والشعر^(٤)، وكان الجاحظ خاله، ومن أعظم شيوخ البصرة الذين أخذ عنهم المسعودي، أبي خليفة الفضل بن حباب الجمحي (ت ٣٠٥هـ / ٩١٧م)^(٥)، أعجب به المسعودي وبعلمه وخاصة إحاطته بعلم الأنساب والأخبار^(٦)، وكذلك من علماء البصرة أبي إسحاق الجوهري^(٧).
وممن التقى بهم المسعودي وأخذ عنهم أيضاً، أحمد بن عبيد الله بن محمد بن عمار (ت ٣١٤هـ / ٩٢٦م) وهو أحد حفاظ الشيعة، حدث عن علي بن سليمان النوفلي أحداث مكة لابن الزبير^(٨).
والتقى بالرواية البصري أبي جعفر محمد بن سليمان المنقري، ونقل عنه أخبار برواية عن العتبي وغيره^(٩)، والتقى بمدينة أنطاكية الفقيه علي بن محمد الوراق الأنطاكي - الغنوي^(١٠)، وتبادل معه المعلومات^(١١).

والتقى في مصر أبا الحسن المهرابي المصري، وحدث عنه بحديثه عن عمر بن شبة^(١٢)، واجتمع بمحمد بن فرج الراجحي^(١٣) بمدينة جرجان وقص عليه بعض أخبار العلويين وآثارهم متصلة بالسند إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم^(١٤)، والتقى في حلب بالشاعر أبي الفتح محمد بن الحسين السندي

(١)- المسعودي، مروج، ج ٣، ص ١٢٧، ١٩٩. المسعودي، التنبيه، ص ٢٧٦.

(٢)- إبراهيم بن عبد الله بن مسلم الكشي أو الكجي، من حفاظ الحديث، مات في بغداد ونقل جثمانه إلى البصرة (ت ٢٩٢هـ / ٩٠٤م). للمزيد انظر: المسعودي، مروج، ج ٤، ص ٢٨٦. المسعودي، التنبيه، ص ٢٣٦. البغدادي، تاريخ بغداد، ج ٦، ص ١٢٠.

(٣)- يموت بن المزرع، أبو بكر ابن أخت الجاحظ، إخبارياً ادبياً، وصاحب ملح ونوادر، (ت ٣٠٤هـ / ٩١٦م). الحموي، معجم الأدباء، ج ٧، ص ٢٧٥. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ٣، ص ١٩١. ابن العماد، شذرات، ج ٢، ص ٢٤٣.

(٤)- المسعودي، مروج، ج ٣، ص ٣٥٤، ٣٦٦، ج ٤، ص ١٩٦.

(٥)- الفضل بن الحباب بن محمد بن شعيب بن صخر الجمحي، أبو خليفة، عالم من البصرة، راوي الأشعار والأخبار والأنساب، وهو ابن أخت محمد بن سلام الجمحي (ت ٣٠٥هـ / ٩١٧م). الحموي، معجم الأدباء، ج ٦، ص ١٥١ - ١٥٨.

(٦)- المسعودي، مروج، ج ٢، ص ٣٦٨، ٢٧٧، ج ٤، ص ١٩٦.

(٧)- ذكره المسعودي في مواضع كثيرة. المسعودي، مروج، ج ٢، ص ١٦٢، ج ٣، ص ١٥٠، ج ٤، ص ١٦.

(٨)- المسعودي، مروج، ج ٣، ص ٨٩.

(٩)- المسعودي، مروج، ج ١، ص ١٣، ج ٢، ص ١٦٨، ج ٣، ص ١١٦، ١٢٥، ١٣٢، ١٤٩، ١٥٨.

(١٠)- السعدي، مروج، ج ٤، ص ٢٧، ٢٩٧.

(١١)- المسعودي، مروج، ج ٤، ص ٢٩٧.

(١٢)- المسعودي، مروج، ج ٣، ص ٨٧ - ٨٩.

(١٣)- خدم عند الخليفة المتوكل مدة من الزمن، ثم غضب عليه وصادر أمواله. المسعودي، مروج، ج ٤، ص ١٠٢.

(١٤)- المسعودي، مروج، ج ٤، ص ١٠٢، ١٧١.

بن شاهك الكاتب^(١) وصفه المسعودي أنه: "من أهل العلم والدراية والمعرفة والأدب"^(٢) اخذ عنه الشعر وسجله وأخذ عنه أيضاً شعر غيره^(٣).

وهكذا التقى المسعودي بكثير من العلماء الذين وردت الإشارات عنهم في كتاب "مروج الذهب والتنبيه والإشراف"^(٤)، كذلك حدث عنه بصيغ مثل: أخبرني، وحدث عن الإخباريين ذوي المعرفة^(٥) وذكر ذوي العناية بأخبار من تقدم من الأمم^(٦)، وذكر عن جماعة من أهل الدرايات^(٧)، واهتم بأنساب آل أبي طالب وأخذها عن ذوي المعرفة بأنسابهم^(٨).

رابعاً-رحلاته وأثرها:

كانت الرحلة لطلب العلم في العصر الذي عاش فيه المسعودي من المكونات الحقيقية لطالب العلم، إذ لا يستطيع أن يلم بمختلف الفنون والثقافات وهو ثاوٍ في قطر من الأقطار، فلا بد له أن يشد الرحال ليتصل بالعلماء كي يستفيد من علمهم ويدرس على أيديهم ويسمع منهم، وقد كان للوضع الذي امتازت به دولة الإسلام في ذلك الوقت دور كبير في تشجيع هذه الرحلات وتتميتها، حيث لم تكن هناك حدود سياسية فاصلة بين الأقطار الإسلامية لتقف حاجزاً في وجوه العلماء أو المسافرين أو التجار فتمنع الانتقال من بلد إلى آخر، وإنما كان هناك أربطة ساعد وجودها على تسهيل الرحلة. إذ هيأت للمسافرين -ولا سيما العلماء- أماكن الإقامة المجانية، هذا إضافة إلى الوضع الاقتصادي الجيد نسبياً الذي كانت تتمتع به بعض بلاد الإسلام في ذلك الوقت، ومن شأن الأمم القوية التي يزيد فيها أمر المعاش عن حاجة السكان أن تتطلع دائماً إلى ما وراء حدودها، وتتولد لدى أبنائها الرغبة في السفر لمعرفة ما لدى الأمم الأخرى، والإنسان الذي يتشوق بفطرته إلى العلم لا بد له من الرحلة في طلبه^(٩).

(١)- شاعر من أصل فارسي، سافر إلى بلاد الشام ومصر، واستقر في حلب وأصبح من شعراء الدولة الحمدانية (ت ٣٦٠هـ/ ٩٧٠م). النديم، الفهرست، ص ٢٠٠. ابن العماد، شذرات، ج ٣، ص ٣٧، ٣٨.

(٢)- المسعودي، مروج، ج ٤، ص ٣٢٧.

(٣)- المسعودي، مروج، ص ٣٢٧.

(٤)- المسعودي، مروج، ج ١، ص ١٨٨، ٣٩٧.

(٥)- المسعودي، مروج، ج ٣، ص ٣٤٤.

(٦)- المسعودي، مروج، ج ١، ص ٢٨٥.

(٧)- المسعودي، مروج، ج ١، ص ٣٠١.

(٨)- المسعودي، التنبيه، ص ٢٧٦.

(٩)- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن خلدون: المقدمة، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، د.ن، ص ٤٣٤.

وكانت العادات والتقاليد السائدة آنذاك تشجع الناس والعلماء منهم بوجه خاص على القيام بمثل هذه الرحلات، إذ لم يكن هناك مانع من أن يتخذ المسافر أو الرجل الغريب في بلد ما المسجد مأوى له يرتاح إليه ويجد فيه من يشاطره همومه وأحزانه، ويجد فيه العالم طلباته الرئيسة وهي العلم والعلماء وحلقات الذكر، وكانت الأوقاف التي تصرف على المساجد وطلبة العلم تكفي كثيرين من هؤلاء للمؤونة والبحث عن المعاش، هذا مع زهدهم عن زخارف الحياة الدنيا الفانية، واكتفائهم بالقليل منها. وقد كان أسلوب الثقافة الذي درج عليه علماء الحديث في زمان المسعودي يتطلب منهم الرحلة إلى أهم حواضر الإسلام طلباً للحديث والعلم، لكن المسعودي لم يقتنع باقتناء أثره، بل دفعه تطلعه إلى تجاوز البلدان الإسلامية، والتجوال فيما وراءها بحثاً عن أخبارها وجمعاً لمعارفها^(١).

هذا وإن من أهم دوافع رحلة المسعودي -في نظر الباحث- ما تولد في نفسه من حب للاستطلاع، والوقوف على أحوال الأمم والشعوب نتيجة مطالعته لكتب التاريخ والأخبار، إضافة إلى ما كان يسمعه من التجار والبحارة الذين كانوا يجوبون بحر العرب والمحيط الهندي، وما يذكرونه من عجائب الهند وجزر البحار، هذا مع ما كان يعتل في نفسه من حب للوقوف على الحقائق بنفسه من غير واسطة.

ولهذا فإنه من شدة نهمه للعلم وحبه للمعرفة لم يكتف بالاطلاع الواسع على ما كتب وألف، ولكنه أراد أن يقرن ذلك بالمعاينة المباشرة والمشاهدة فساق قدمه في كل أفق^(٢)، فكان كما يقول: "تارة على متن البحر وتارة على ظهر البر مستعملين بدائع الأمم بالمشاهدة عارفين خواص الأقاليم بالمعاينة"^(٣). ولا يستوي في نظر المسعودي من اقتصر على ما في بلده من العلوم والمعارف ومن جانب الأقطار وضرب هذه الآفاق لهذه الغاية، حيث يقول: "وليس من لزم جمرات وطنه وقنع بما نمي إليه من الأخبار عن إقليمه كمن قسم عمره على قطع الأقطار ووزع أيامه بين تقاذف الأسفار، واستخرج كل دقيق من معدنه وأثار كل نفيس من مكمّنه"^(٤).

ولهذا فإنه عاب على الجاحظ أنه "لم يسلك البحار ولا أكثر الأسفار ولا تقرى الممالك والأمصار"^(٥)، واقتصر على ما في كتب الوراقين، أما هو فكان يعتل في كيانه قوة دافعة للاستقراء

(١)- بروكلمان، كارل: تاريخ الأدب العربي، نقله إلى العربية عبد الحليم النجار، الطبعة الثانية، القاهرة: دار المعارف، ١٩٦٩م، ج ٣، ص ٥٦.

(٢)- مصطفى، شاكراً: التاريخ العربي والمؤرخون، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٣م، ج ١ ص ٤٠٤-٤٠٥.

(٣)- المسعودي، المروج، ج ١، ص ١٠.

(٤)- المسعودي، المروج، ١٢/١.

(٥)- المسعودي، المروج، ١١٣/١.

والاستكشاف دفعته إلى الرحلة والسفر خارج وطنه إلى بلدان نائية بعيدة، ولم يكن المسعودي تاجراً ولا بحاراً، إنما كان عالماً هدفه الرئيس هو جمع المعلومات والأخبار عن البلاد التي يزورها من مصادرها الأصلية، وبينما كان بعض العلماء الجغرافيين ينقبون في بطون الكتب لجمع مواد كتبهم، كان المسعودي يجوب أقطار العالم الإسلامي في كل اتجاه بحثاً عن مصادر أصيلة لمعلوماته التاريخية والجغرافية^(١). كذلك لم تكن أسفار المسعودي الواسعة للنزهة أو للمجازفة والمغامرة، بل كانت للبحث والتعلم ومشاهدة أقطار العالم مشاهدة عيان، ولم يتوقف المسعودي في أثناء سفره عن الاستقصاء والبحث واكتساب العلوم على اختلاف موضوعاتها، فجمع من الحقائق العلمية والتاريخية والجغرافية ما لم يسبقه إليه أحد^(٢).

ومع أن وسائل السفر والارتحال في عصر المسعودي كانت بدائية وشاقة، وكان يكتنف السفر كثير من الأهوال والأخطار الجسيمة، وخاصة إذا كان السفر عن طريق البحر، وكانت الغاية بعيدة، إلا أن المسعودي استسهل الصعاب من أجل تحقيق أهدافه فقضى أكثر من خمس وعشرين سنة من سني عمره طاف خلالها أجزاء كثيرة من العالم المعروف في عصره، واستطاع أن يضع بين أيدي الباحث وصفاً دقيقاً لأحوال الأمم ونحلهم وعقائدهم وعاداتهم وتقاليدهم، كما أعطاه صوراً عديدة ناطقة للبحار والجبال والأنهار والممالك والدول^(٣).

هذا وسيتحدث البحث عن رحلات المسعودي من خلال حديثه وإشاراته هو عنها في كتابيه المطبوعين وهما: المروج، والتنبيه، مستنبطاً ذلك من قراءات متعددة واجتهادات، على الرغم من أن المسعودي لم يزود بمعلومات كافية وواضحة عن رحلاته، حيث كان يتحدث عنها عرضاً في مناسبات متباينة، مقتضباً أحياناً، وبعبارة يشوبها الغموض أحياناً أخرى، ومما ظهر من خلال الدراسة وتبين أن المسعودي رسم خط لتسير رحلاته، وأنه قد سافر من العراق أكثر من مرة ثم عاد إليها لبدء رحلة جديدة، وهكذا.

أ. رحلات المسعودي الأولى:

من الطبيعي أن يكون المسعودي قد بدأ رحلاته بمنطقة خوزستان المجاورة لبلاد العراق للقرب منها فتجول فيها، واطلع على بعض العجائب^(٤)، وأخذ عن بعض علمائها^(٥).

(١)- المغربي: أبو الحسن علي بن موسى: كتاب الجغرافيا، تحقيق وتقديم إسماعيل العربي، منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، بيروت، ١٩٧٠م، ص٣٦.

(٢)- الشرقاوي، عفت محمد: أدب التاريخ عند العرب، دار العودة، بيروت، د.ت، ص٢٨١.

(٣)- الخربوطلي، حسن علي، الاتجاهات العالمية والإنسانية في فكر المسعودي، بحث في مجلة كلية العلوم الاجتماعية، العدد السابع، سنة ١٤٠٣هـ، ص٢٣.

(٤)- المسعودي، المروج، ٢/٢٨.

(٥)- المسعودي، التنبيه، ص١١٠.

ثم انتقل إلى منطقة فارس فوصلها أوائل سنة ٣٠٣هـ/٩١٥م، وأخبر أنه كان في هذه المدة بمدينة اصطخر، ورأى عند بعض أهل البيوتات المشرفة من الفرس كتاباً عظيماً يشتمل على علوم كثيرة من علومهم وأخبار ملوكهم وأبنيتهم وسياساتهم^(١)، ورأى في هذه المدينة أيضاً أحد بيوت النار القديمة، فدخله وقدم عنه وصفاً متكاملًا^(٢). ثم يُحدّث المسعودي أنه كان قد رأى في مدينة جوز من أرض فارس بيتاً آخر من بيوت النار^(٣)، ومن المحتمل جداً أنه قد زار قسبة إقليم فارس وهي مدينة شيراز لحديثه عنها وعن مدينة كوار حديث مطلع خبير^(٤)، وزار مدينة سيراف، وهي بين جبل وبحر^(٥).

ثم انتقل إلى منطقة كرمان، فتحقق من بعض المسائل الجغرافية التي تهمة^(٦) واطلع على بعض الكتب التاريخية فيها^(٧)، ومن كرمان تحول إلى منطقة سجستان المجاورة، فتجول فيها، وأخذ عن بعض علمائها^(٨)، والظاهر أنه لم يلبث هناك طويلاً، فسافر إلى بلاد السند، ثم الهند قاصداً الاطلاع على بيت الذهب^(٩) في المولتان وهو معبد مشهور يقصده أهل السند والهند من أقصى بلادهم بالندور من الأموال والجواهر والعود وأنواع الطيب، ويحج إليه الألوف من الناس^(١٠). وكان ملك المولتان وقت دخول المسعودي إياها أبو اللهاب المنبه بن أسد القرشي السامي^(١١)، ومن المولتان تحول المسعودي جنوباً إلى مدينة المنصورة، في عهد مليكها أبي المنذر عمر بن عبدالله القرشي، ورأى فيها وزيره رياحاً، وابنيه محمداً وعلياً، وبعض العرب القاطنين فيها^(١٢). ويقدر المسعودي المسافة بين المولتان والمنصورة بدقة بالغة، مما يؤكد قطعه إياها^(١٣)، ثم يقدم وصفاً ممتعاً لمدينة المنصورة، ضياعها وزروعها وسكانها، وما يستخدمه ملوكها من أنواع الفيلة الحربية والعمالة^(١٤).

وفي أواخر سنة ٣٠٣هـ/٩١٥م كان المسعودي بالهند يتحدث عن مشاهداته ومرئياته في مدينة كنباية الواقعة على الساحل الغربي للهند، واهتمام ملكها البرهمي بمناظرة من يرد إلى بلاده من

- (١) - المسعودي، التنبيه، ص ١٠٦.
- (٢) - المسعودي، المروج، ٣٩٩/٢.
- (٣) - المسعودي، المروج، ٤٠٠/٢.
- (٤) - المسعودي، المروج، ٤٠٠/٢.
- (٥) - المسعودي، التنبيه، ص ٤٩.
- (٦) - المسعودي، التنبيه، ص ٦٦.
- (٧) - المسعودي، المروج، ٢٨٢/١.
- (٨) - المسعودي، التنبيه، ص ١١٠.
- (٩) - انظر عنه: النديم: الفهرست، ص ٤٨٥.
- (١٠) - المسعودي، المروج، ١٩٩/١.
- (١١) - المسعودي، المروج، ١٩٩/١.
- (١٢) - المسعودي، المروج، ٢٠٠/١.
- (١٣) - المسعودي، المروج، ٢٠٠/١.
- (١٤) - المسعودي، المروج، ٢٠١-٢٠٠/١.

المسلمين وغيرهم من أصحاب الملل، ثم عرض وصفاً جغرافياً للمدينة^(١)، ومن المدن الهندية التي زارها وهو في طريقه إلى مدينة صيمور مدن سندان وسوباره وتانه^(٢).

وفي أوائل سنة ٣٠٤هـ/٩١٦م زار المسعودي مدينة صيمور الهندية على الشريط الساحلي أيضاً، ورأى هناك بعض عوائد الهند التي اشتهروا بها، كتعذيبهم لأنفسهم بالنار^(٣)، وسجل بعض المظاهر الجغرافية والمناخية التي تمتاز بها هذه المنطقة^(٤)، كما لاحظ نوعية وأجناس السكان القاطنين في المدينة وتركيبهم الاجتماعي، وذكر أن بهذه المدينة حوالي عشرة آلاف مسلم بياسرة^(٥)، وسيرافيين وعمانيين وبصريين وبغداديين وغيرهم، وذكر " أن الملك يملك على المسلمين رجلاً من رؤسائهم تكون أحكامهم مصروفة إليه"^(٦).

والواقع أن المسعودي حينما زار الهند كانت العلاقات التجارية بين المسلمين والهنود مزدهرة، وكان للمسلمين نقاط ارتكاز على الساحلين الغربي والشرقي لشبه الجزيرة الهندية، وليس هناك دليل قاطع على أن المسعودي زار منطقة المانكير الهندية، ولكنه جمع عنها معلومات على جانب كبير من الدقة والصحة، لكن من الثابت أنه ترحل كثيراً في إقليم كونكان التابع إلى مهاباشترا وكجرات والسند، وتابع المسعودي رحلته من الهند إلى جزيرة سرنديب (سيلان) فشاهد هناك مراسم دفن الملوك، وعادات أهل تلك الجزيرة، ولم يعد هناك مجال للتشكيك في صحة زيارته لها بعد قوله: "ورأيت في بلاد سرنديب"^(٧)، وفي اعتقاد الباحث أنه واصل رحلته من هناك إلى مملكة الزابج^(٨)، وهي مملكة المهرج، كانت تشمل جزيرتي سومطرة وجاوة^(٩)، ويبدو أنه لم يمكث طويلاً، بل مرّ مروراً سريعاً عبر بحر الصنف الذي أثبت وصفاً مجملاً له في كتاب المروج^(١٠).

ويخامر الباحث الشك في زيارة المسعودي لبلاد الصين، فلو أنه زارها لأثبتها بمعلومات موثقة كعادته في البلاد التي يزورها، ويقرن كثيراً من المعلومات التي يوردها عنها بقوله: "شاهدت" أو

(١)- المسعودي، المروج، ١/١٣٥-١٣٦.

(٢)- المسعودي، المروج، ١/١٣٥، ١٧٦.

(٣)- المسعودي، المروج، ١/٢٤٨.

(٤)- المسعودي، التنبيه، ص ٢٢٤.

(٥)- البياسرة جمع ببسر، وهم الذين ولدوا من المسلمين بأرض الهند، المسعودي، المروج، ١/٢٤٨.

(٦)- المسعودي، المروج، ١/٢٤٨.

(٧)- المسعودي، المروج، ١/٩٣.

(٨)- المسعودي، المروج، ١/١٠.

(٩)- علي، محمد كرد: كنوز الأجداد، مقال في مجلة المجمع العلمي العربي، المجلد الثاني والعشرين، الجزء التاسع والعاشر، دمشق ١٣٦٦هـ، ص ٣٩١.

(١٠)- المسعودي، المروج، ١/١٨٢.

"رأيت"، هذا إضافة إلى أنه ذكر أنه ركب البحر في سنة ٣٠٤هـ/ ٩١٦م إلى عمان^(١) ولو كان سافر إلى الصين لما أمكنه أن يصلها، ثم يعود في السنة نفسها، ولهذا فالراجح أنه ركب البحر بعد هذه الجولات وعاد متوجهاً إلى عمان، ولم يوضح المسعودي بعد ذلك هل عاد إلى العراق، أم واصل رحلته من صحار قصبة بلاد عمان متوجهاً إلى جزيرة قنبلو التي يغلب على الظن أنها جزيرة زنجبار^(٢)، حيث يصفها المسعودي، ويذكر أن فيها قوماً من المسلمين لغتهم زنجية، تغلبوا على هذه الجزيرة، وسبوا من كان فيها من الزنج^(٣).

وفي طريق العودة سحب في رحلته من جزيرة قنبلو إلى عمان أحمد وعبد الصمد أخوي عبد الرحيم بن جعفر السيرافي، عن طريق بحر الزنج، وهال المسعودي ما رأى في هذا البحر من العجائب والأخطار التي تحقيق براكبيه فذكر أنه لم يمر عليه أهوال منه على الرغم من كثرة البحار التي اجتازها^(٤)،

وأشار إلى بعض النواخذة^(٥) الذين غرقوا فيه بمراكبهم^(٦)، ووصف السمك المعروف بالأوال^(٧)، وفزع المراكب منه في الليل والنهار، وكيفية تخلصها منه^(٨).

(١)- المسعودي، المروج، ١/ ١٢٥.

(٢)- يذكر علي جواد في بحثه "موارد المسعودي" في مجلة سومر، العدد الأول والثاني من المجلد العشرين، بغداد سنة ١٩٦٤م، ص ٤، أن جزيرة قنبلو هي مدغشقر، ولكن يبدو أن المقصود بها جزيرة زنجبار وليس مدغشقر وذلك لعدة أسباب منها: أن الصلات التجارية التي كانت قائمة بين عمان وجنوب الجزيرة العربية بصفة عامة وبين جزيرة زنجبار كانت أقوى وأوثق من غيرها، وأن وصف المسعودي للجزيرة وسكانها ومن بها من المسلمين ينطبق على زنجبار، ولقربها من ساحل الزنج ومساكنهم. المسعودي، المروج، ١/ ١٢٥- ١٢٦. والتنبية، ص ٥٨. وقد وجدت في خريطة أحمد بن ماجد لبحر الهند أن هذا الاسم (قنبلو) يطلق على جزيرة صغيرة تقع بالقرب من زنجبار، أنظر: (أطلس خرائط إسلامية): من إعداد قسم الجغرافيا بكلية العلوم الاجتماعية بالرياض، ص ١١٥.

(٣)- المسعودي، المروج، ١/ ١١٢.

(٤)- المسعودي، المروج، ١/ ١٢٦.

(٥)- النواخذة جمع نوخذة (ناخذه)، وهي كلمة فارسية (ناو) سفينة (خداه) رب، وتعني ربان السفينة أو المركب، أي قائدها. أنظر: فوزي، حسين: حديث السندباد القديم، دار الكتاب اللبناني، بيروت: ١٩٧٧، ص ٤٣، وأنظر د. الفليوبي، سميحة: موجز القانون البحري، مكتبة القاهرة الحديثة، ط ١، القاهرة، ١٩٦٩م، ص ٢٢١.

(٦)- المسعودي، المروج، ١/ ١٢٥.

(٧)- سمك الأول، عرف هذا السمك عند العرب القدماء بالأسماء التالية: البال، البلينة، الأبلينة، الوال، القال، الاوال، وهو اسم لنوع من الحيتان البحرية الكبيرة التي تصاد فينتفع بشحمها ولحمها، وما قد يكون في جوفها من العنبر. أنظر: فوزي: حديث السندباد، ص ١٧٥ وما بعدها.

(٨)- المسعودي، المروج، ١/ ١٢٦.

ولم يشير المسعودي إلى الوقت الذي زار فيه جنوب الجزيرة العربية، إلا أنه قد يكون في هذه الأثناء، حيث صرح أنه كان موجوداً في بلاد الشحر من حضرموت يلتبس بعض الأخبار التي تتعلق بالنسب^(١).

ومن المؤكد أنه زار اليمن، فرأى في بلاد مأرب بعض القبائل العربية وهم من ولد نزار بن معد بن عدنان مع بعض القبائل من مذحج^(٢)، ثم وقف على أنقاض بيت غمدان^(٣) بمدينة صنعاء، وراه ردماً وتلاً عظيماً قد ارتدم بنيانه، وصار جبل تراب كأنه لم يزل^(٤).

وبعد هذا لم يجد الباحث أي إشارة توحى له متى غادر المسعودي اليمن أو إلى أين اتجه، ولكن الظاهر أنه اتجه إلى الحجاز لقربها من المنطقة، وأدى مناسك الحج، وسمع في مكة من بعض علمائها كأبي بكر عبد الله بن محمد المعري^(٥)، ثم اتجه إلى المدينة وزار قبر الرسول صلى الله عليه وسلم، وقبر ابنته فاطمة، حيث سجل المسعودي نقشاً مكتوباً على رخامة عند قبرها وقبور بعض أحفادها^(٦).

ولا بد أن المسعودي قد عاد إلى العراق بعد هذه المدة الطويلة من التجوال والترحال فاستقر بها، وفي سنة ٣٠٩هـ/٩٢١م ظهر بجلب يحاور فيها إبراهيم بن جابر القاضي^(٧)، حول مسائل تتعلق بالفقر والغنى وأيهما أفضل، وكان المسعودي يعرفه منذ كان في بغداد يعالج الفقر قبل ولايته للقضاء^(٨).

ولا يوجد أي دليل هل استقر المسعودي في الشام طويلاً أم عاد إلى العراق في حينه، لكن من المؤكد أنه كان في العراق في سنة ٣١٣هـ/٩٢٥م وفي مدينة تكريت بالذات، حيث ذكر أنه جرت بينه وبين زكريا دنخا النصراني^(٩) مناظرات كثيرة في الكنيسة المعروفة بالخضراء في الثالوث وغيره^(١٠).

(١)- النسب (كائن خرافي): نوع غريب من البشر لهم خلق مغير، ويقال: إن وجوههم في صدورهم، وقيل: إن الواحد منهم يثب على رجل واحد. المسعودي، المروج، ٣٦٧/١.

(٢)- المسعودي، المروج، ٢٣٩/١.

(٣)- قصر مشهور بصنعاء سكنته ملوك اليمن، يقول المسعودي: إن الذين بناه هو الضحاك على اسم الزهرة، وخربه عثمان بن عفان، أنظر المسعودي، المروج، ٢٠٨/١، ٣٨٢.

(٤)- المسعودي، المروج، ٢٨٣/١.

(٥)- انظر: المسعودي، التنبيه، ص ٣٠٠.

(٦)- المسعودي، التنبيه، ص ٣٠١.

(٧)- إبراهيم بن جابر القاضي الفقيه، أبو إسحاق، كان ثقة إماماً، توفي سنة ٣١٠هـ، له كتاب مصنف في اختلاف الفقهاء كثير الفوائد. انظر عنه: البغدادي، تاريخ بغداد، ٥٣/٦-٥٤.

(٨)- المسعودي، المروج، ١٦٤/١.

(٩)- أبو زكريا دنخا النصراني: أحد علماء النصارى اليعاقبة، كان متفلسفاً جداً نظاراً، له كتاب عن تاريخ ملوك الروم واليونانيين وفلاسفتهم وسيرهم. المسعودي، التنبيه، ص ١٣٨.

(١٠)- المسعودي، التنبيه، ص ١٥٥.

وقد عرف المسعودي نينوى وشخصها، ولعله زارها وشاهد خرائبها أثناء زيارته الموصل التي التقى فيها ببعض العلماء^(١).

ثم رجع المسعودي إلى الشام مرة أخرى وتجول في بعض مدنها من طبريا في فلسطين إلى أنطاكية في الشمال، ثم انحدر منها عن طريق نهر الفرات يريد مدينة السلام وذلك سنة ٣١٥هـ/٩٢٧م، ولكن حروب القرامطة في العراق حالت دون وصوله إليه فتوقف في مدينة هيت، ووصلت قوات القرامطة إلى هذه المدينة أيضاً فحاصرتها وهو مقيم بها^(٢)، ويبدو أنه في هذه المدة قد التقى ببعض قادة القرامطة ودعاتهم^(٣).

ب. رحلات المسعودي الثانية:

الواقع أن اضطراب الأحوال السياسية في العراق في هذه المدة، بسبب استيلاء العناصر التركية على مقاليد السلطة في بغداد، وشيوع الفوضى والاضطراب فيها، ثم ظهور حركة القرامطة، وإشغالهم الفتن والثورات، ونشاط حركات السلب والنهب على أيدي اللصوص وقطاع الطرق الذين يستفيدون من اضطراب حبل الأمن في المنطقة بشكل عام، كان كل ذلك من العوامل التي لا تشجع على السكنى في العراق في ذاك الزمن ولا سيما أن المسعودي لم يشبع نهمه العلمي بعد، لذا انطلق في رحلة ثانية إلى البلدان الواقعة في الجناح الشرقي الشمالي من المملكة الإسلامية، فكان بناحية الأهواز في حدود سنة ٣١٥هـ/٩٢٧م حيث كان يتابع هناك أنباء حركة أسفار بن شيرويه^(٤) عن طريق التجار، ومن يفد إلى الأهواز من الغرباء من المناطق التي امتدت إليها تلك الحركة^(٥).

ثم اتجه المسعودي شمالاً صوب بلاد الجبال فزار مدينة الري^(٦)، وهي قصبة البلاد، ورأى فيها أنواعاً من الأبقار تستخدم في حمل الأثقال وغيرها، وشاهد هذه الأنواع نفسها في سائر مدن إقليم

(١)- المسعودي، المروج، ١٧/٤، ١٨٦. وانظر: علي: موارد المسعودي، ص ٣٦.

(٢)- المسعودي، التنبيه، ص ٣٨٣.

(٣)- المسعودي، التنبيه، ص ٣٨٤.

(٤)- أسفار بن شيرويه أحد قواد الديلم المغامرين، وحينما ظهر في أول مرة كان قائداً صغيراً غير محمود السيرة، ثم امتد نفوذه واستولى على طبرستان والري وجرجان وقزوین وزنجان وأبهر وقم وهمدان والكرج، وكثرت جيوشه فتكبر وطغى، وكان لا يدين بملة الإسلام. أنظر عنه: المسعودي، المروج، ٢٦١/٤، وابن الأثير: الكامل، ١٨٩/٦.

(٥)- المسعودي، المروج، ٢٦٤/٤.

(٦)- المسعودي، المروج، ١٢٣/٢.

الجبال مثل مدينة قم^(١)، وبلاد أصبهان، وشاهد في أصبهان أيضاً نهرها الذي يغور في رمل ثم يظهر بكرمان، ويصب في البحر الحبشي^(٢).

واتجه المسعودي بعد ذلك نحو بلاد الصيمرة^(٣)، ومنها إلى ماسبذان^(٤) من أرض الجبال، ثم اتجه شرقاً نحو بلاد قومس، ووصفها بكثرة الزلازل، وأن فيها أعيناً تغور وأخرى تغور، فالبلد شديد الاختلال^(٥)، وعدد بعض مدنها التي يظهر أنه زارها.

ثم استمر في مسيره شرقاً حتى وصل إلى خراسان، حيث قدم وصفاً دقيقاً للمناطق التي مر عليها في طريقه، والمدن التي زارها^(٦)، وأول بلد حل فيه من خراسان هو مدينة نيسابور، وتجول في بعض قراها وأصقاعها، فزار قرية زنج^(٧)، ثم زار قرية أخرى من أعمال نيسابور تسمى هفدرة^(٨).

ومن مدن خراسان التي مر عليها مدينة بلخ حيث ثبت أنه التقى هناك بشيخ جميل ذي رأي وفهم، وأخبره أنه دخل الصين مراراً عبر الطريق البري المؤدي إليها، وأنه لم يركب البحر^(٩).

ثم تنقطع إشارات المسعودي الصريحة فلا يشعر به إلا وهو في البلاد المطلة على بحر الخزر (قزوين) ، ولم يُعثر فيما قرأ الباحث من كتبه على أي إشارة توحى بوصوله إلى بلاد الروس أو البلغر^(١٠) على الرغم من تعرضه للحديث عنهم بالتفصيل^(١١)، لكن الثابت أنه جال في مناطق جرجان، والتقى هناك ببعض من العلماء الذين روى عنهم شيئاً من الآثار^(١٢)، ثم ركب المسعودي بحر الخزر من أبسكون - وهو ساحل جرجان - إلى بلاد طبرستان^(١٣)، فزار عدداً من مدنها^(١٤).

(١) - المسعودي، المروج، ١٢٤/٢.

(٢) - المسعودي، التنبيه، ص ٧٤.

(٣) - المسعودي، التنبيه، ص ٤٩.

(٤) - المسعودي، التنبيه، ص ٤٩.

(٥) - المسعودي، التنبيه، ص ٤٩.

(٦) - المسعودي، التنبيه، ص ٤٩.

(٧) - انظر: المسعودي، المروج، ١٠/١، وياقوت الحموي: معجم البلدان، ١٥٣/٣.

(٨) - المسعودي، التنبيه، ص ٤٩، ومعنى هفدرة - حسب قول المسعودي - سبعة أبواب.

(٩) - المسعودي، المروج، ١٨٦/١.

(١٠) - انظر كراتشكوفسكي، غناطيوس: تاريخ الأدب الجغرافي، ترجمة: صلاح الدين هاشم، الإدارة الثقافية في جامعة الدول العربية، القاهرة، ١٩٦٣، ١٧٧/١.

(١١) - المسعودي، المروج، ٢١٧/١ وما يليها.

(١٢) - المسعودي، المروج، ٨٢/٤.

(١٣) - المسعودي، المروج، ١٤٧/١.

(١٤) - المسعودي، التنبيه، ص ٤٩.

ثم انتقل إلى المناطق الواقعة غرب بحر الخزر، وهي مناطق أرمينية وأذربيجان، حيث يذكر أنه ركب هناك بحيرة كبوزان (أورميا)، بين مدينة أرمية والمراغة، وعلى حد قول المسعودي فإنه لا يعيش في هذه البحيرة أي كائن حي^(١).

وتنقل المسعودي في وسائل أرمينية وأذربيجان والوان والبيلقان^(٢) ولا شك أنه في تجواله ورحلاته في هذه المناطق قد جمع معلومات كثيرة عنها وعن الأمم التي تعيش فيها أو قريباً منها، ويلاحظ ذلك من خلال ما كتبه عن أمم الجبال القبج (القوقاز).

ومن المحتمل جداً أن المسعودي بعد ذلك توجه صوب بلاد الجزيرة، حيث أخبر أنه كان هناك يبحث عن الآثار وبعض الخطوط القديمة في مدينة حران^(٣).

وبعد هذه الجولات الواسعة لا يعرف إلى أين ارتحل ولا أين حل، وذلك حتى سنة ٣٢٤هـ / ٩٣٥م حيث كان في مدينة طبرية في فلسطين يراجع كتاباً عن الأمويين وفضائلهم عند بعض مواليتهم^(٤)، ثم في قرية ناصرة بفلسطين أيضاً، يشاهد بعض الكنائس المعظمة عند النصاري، ويحدث علماءها^(٥). وقد يكون تنقل في عدد من المدن والقرى في فلسطين، وشاهد البحر الميت (البحيرة الممتدة) فتحدث عنه ووصف خصائصه وميزاته^(٦).

(١) - المسعودي، المروج، ٥٦/١.

(٢) - المسعودي، المروج، ١٠/١.

(٣) - المسعودي، المروج، ٣٩٣/٢.

(٤) - المسعودي، التنبيه، ص ٣٣٦.

(٥) - المسعودي، المروج، ٧١/١.

(٦) - المسعودي، التنبيه، ص ٧٤.

بين الشام ومصر:

وتتقطع أخبار المسعودي فلا يدري الباحث عنه شيئاً حتى سنة ٣٣٠هـ/٩٤١م، فيظهر في مصر يتحدث عن ليلة الغطاس، وما يظهره المصريون مسلمون ونصارى في هذه الليلة من الفرح والمآكل والمشارب وآلات اللهو والطرب^(١).

والواقع أن المسعودي بعد هذا التاريخ وهو سنة ٣٣٠هـ/٩٤١م أصبح يتردد بين الشام ومصر وانقطع عن العراق^(٢)، فهو في أنطاكية سنة ٣٣٢هـ/٩٤٣م^(٣)، ومن المحتمل زيارته لبعض الثغور القريبة منها، وفي السنة نفسها عاد إلى الفسطاط ليشرع في تأليف كتابه مروج الذهب ومعادن الجوهر^(٤)، ثم في سنة ٣٣٤هـ/٩٤٥م ذهب إلى دمشق^(٥)، وعاد إلى مصر مرة أخرى من سنة ٣٣٦هـ/٩٤٧م وأقام في مدينة الفسطاط ينقح كتاب المروج ويهذهب ويزيد فيه^(٦).

والظاهر أنه استقر في الفسطاط ففي سنة ٣٤٤هـ/٩٥٥م وصف الزلزال الذي أطاح بأعالي منارة الإسكندرية^(٧)، وحيث أتم تصنيف ذلك الكتاب، وانتهى من تنقيحه والزيادة فيه^(٨).

ومن الثابت أنه كان المسعودي في جولات في أنحاء مصر وفي الصعيد بالذات^(٩)، فقد زار عدداً من القرى والتقى في أثناء ذلك ببعض العلماء^(١٠).

أما زيارته لممالك النوبة والبجة فهي محل نظر، ومع أنه قد دون عن هاتين المملكتين معلومات جديدة وعلى جانب كبير من الأهمية، حيث ينفرد بذكر بعض التفاصيل، ويعد من المصادر الهامة عنهما^(١١)، إلا أنه لا توجد إشارات صريحة تؤكد زيارته لهما، ولهذا فقد يكون أخذ معلوماته عنهما من مصادر قريبة موثوقة.

وهناك أمر جدير بالتساؤل وهو سبب اختيار المسعودي مصر موطناً له في نهاية مطاف رحلاته وفي العقد الأخير من حياته، وهجره لموطنه الأول وهو بلاد العراق، ويمكن أن ذلك يعود إلى عاملين:

(١) - المسعودي، المروج، ٧٠/٢.

(٢) - المسعودي، المروج، ٢٥٨/٤.

(٣) - المسعودي، المروج، ١١٤/١، ٢٦/٢، ٣٤.

(٤) - المسعودي، المروج، ١٢٦/٢.

(٥) - المسعودي، التنبيه، ص ١٩٤.

(٦) - المسعودي، المروج، ٢٧٣/٤، و ١٤٧/٢.

(٧) - المسعودي، التنبيه، ص ٤٨.

(٨) - المسعودي، التنبيه، ص ٤٠١.

(٩) - المسعودي، المروج، ١٣٥/٢.

(١٠) - المسعودي، المروج، ٣٢٠/٤.

(١١) - المسعودي، المروج، ١٢٦/٢ وما يليها.

أولهما، اضطراب الأحوال السياسية في بغداد، نتيجة تنازع وتصارع كثير من القوى غير العربية حول السلطة والنفوذ مثل الاتراك والبويهيين، وثانيهما: ما اشتهرت به مصر من هدوء واستقرار ونهضة علمية وثقافية، وكان الأخشيديون يحكمون مصر حينئذ، وقد حققوا لها نوعاً من الشخصية المستقلة^(١). وهذا وقد لاقى المسعودي ربه وهو في مدينة الفسطاط، ودفن في المقبرة الكبرى^(٢)، أو في مقبرة العظماء، في جمادى الآخرة سنة ٣٤٥هـ/ ٩٥٦م^(٣)، أو في سنة ٣٤٦هـ/ ٩٥٧م^(٤) على خلاف في المصادر.

وهكذا بعد استقراء الباحث لما مر يلاحظ أن المسعودي قد قضى زهرة شبابه وجل عمره في الترحال والانتقال من بلد إلى بلد، وقد مكنته تلك الرحلات البعيدة والأسفار المتتابة من إجادته البحث والاستقصاء، وجمع المعلومات التاريخية من مظانها، والحقائق الجغرافية من مصادرها الأصلية^(٥)، والاتصال مباشرة بممثلي مختلف الطبقات الاجتماعية^(٦)، ومع ملاحظة أنه في كل إقليم يزوره كان يحرص على الاطلاع على الكتب الموجودة فيه، ويتصل بالأشخاص من ذوي العلم والدراسة بأمور ذلك الإقليم، ولهذا فقد حصل على مادة غزيرة موثقة وعدت كتبه مصدراً مهماً من مصادر المعرفة التاريخية والجغرافية والدينية والسياسية والاجتماعية^(٧).

وعلى الرغم من ذلك فقد كان المسعودي يظن أن تلك الأسفار قد أعاقته عن الانقطاع التام للتحصيل، وإجادة التأليف، فقدم العذر في ذلك قائلاً:

"على أنا نعتذر من تقصير إن كان أو نتصل من إغفال أن عرض، لما قد شاب خاطرنا وغمر قلوبنا من تقاذف الأسفار وقطع القفار"^(٨)، ثم يكرر هذا الاعتذار في كتاب التنبيه، فيقول: "على أنا نعتذر عن سهو إن عرض في تصنيفنا مما لا يسلم منه ما لحقته غفلة الإنسانية وسهوة البشرية، ثم ما دفعنا إليه من طول الغربة وبعد الدار وتواتر الأسفار طوراً مشرقين وطوراً مغربين"^(٩)، ومن هنا يمكن تقديم العذر للمسعودي لأنه قدم مادة تاريخية عظيمة الفائدة فاق فيها كثيراً من المؤرخين الذين سبقوه

(١)- الخربوطلي: المسعودي، ص ٢٧

(٢)- الصدر، حسن: تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام، بغداد، ١٣٧٠هـ، ص ٢٥٤.

(٣)- الذهبي: دول الإسلام، ج ١ ص ٢١٣، وابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ٣/ ٣١٥، وابن العماد: شذرات الذهب ٢/ ٣٧١.

(٤)- ياقوت الحموي: معجم الأدياء ١٣/ ٩١، والسيكي: طبقات الشافعية ٢/ ٢٠٧، والكتبي، صلاح الدين محمد بن شاذلي بن أحمد: فوات الوفيات، تحقيق: احسان عباس، دار صادر، بيروت، ط ١٩٧٣، ١، ٣/ ١٣، والبغدادي: هدية العارفين ١/ ٦٧٩.

(٥)- أدهم، علي: بعض مؤرخي الإسلام، مكتبة نهضة مصر، القاهرة، بدون تاريخ، ص ٥٥.

(٦)- كراتشكوفسكي: تاريخ الأدب الجغرافي ١/ ١٧٨.

(٧)- المسعودي، التنبيه، ص ٣٣٦.

(٨)- المسعودي، المروج، ١٠/ ١.

(٩)- المسعودي، التنبيه، ص ٧.

أو جاؤوا بعده، ممن لم تدفع بهم همهم إلى مفارقة أمصارهم والبعد عن ديارهم، وخلدوا إلى الراحة وجمع المعلومات من بطون الكتب، وبهذا فإنه فاقهم في نواحي متعددة سواء من حيث الجدة أو من حيث طريقة معالجة المعلومات.

خامساً-المسعودي كمؤرخ:

واعتمد المسعودي على مصادر متنوعة من أهمها الرحلات التي سلف وذكرت في فقرة متقدمة، وقد اعتمدت المشاهدة المباشرة والتجربة، ولعل هذه الرحلات ساعدته على تكوين النقد والملاحظة والنظرة الشاملة فجاءت ملاحظاته ناقدة صائبة.

والمسعودي من أوائل المؤرخين الذين تميزوا بهذا النوع من المصادر مع أن اليعقوبي (ت ٢٩٢هـ/ ٩٠٤م) من المصادر التي عالجت تاريخ صدر الإسلام وظهر اهتمامه بأدب الرحلة عند زيارته لأرمينية والهند والمغرب ومع ذلك لم يلمس أثر تلك الرحلات، وتحاشى أن يبين فيها شيئاً من ذلك^(١)، ويعد المسعودي أحد أبرز المؤرخين الكبار، تميز بالروح العلمية والعقلية التاريخية، إضافة إلى معرفته الواسعة بمختلف العلوم العقلية والآداب واللغات العالمية أحاط بمعظم ما كتبه المسلمون من قبله في التاريخ واطلع على تواريخ الأمم ومصادر ثقافتها وزاد على ذلك كله مصدراً حيواً آخر وهو الترحال الواسع والهادف، ترحال الباحث المستكشف فوفرت له رحلاته ما لم توفره له مصادره ووضعت بين يديه مفاتيح الحكمة على قضايا تردد فيها غيره أو تكلم فيها دون علم، فوجد في ذلك دافعاً كبيراً نحو كتابة التاريخ وتفوق بعد ذلك بعقليته التاريخية التي تجلت في عنايته في التاريخ العالمي لم يسبق لها مثيل وسيتم ذكرها في فقرة لاحقة.

ومن الواضح أن المسعودي، المؤرخ والرحالة البغدادي الشهير الذي عاش في العصر العباسي الثاني، حاول وعلى الأسلوب نفسه الذي يتبعه، اتبعه مؤلفو الكتب العلمية في العقد الحديث، أن يبدي من التسامح مع من يقرأ كتابه ويبادر إلى نقده، بمقدار ما يبدي من الإدراك لقيمة كتابه مقدراً إياها حق قدرها، ولذلك ينهى عن التصرف في مادة الكتاب في أية صورة، ويخوف من ذلك، حيث يقول: "وقد جعلت هذا التخويف في أول كتابي وآخره ليكون رادعاً عن ميله هوى، أو غلبة شقاء، فليراقب الله ربه، وليحاذر منقلبه، فالمدة يسيرة، والمسافة قصيرة، وإلى الله المصير"^(٢).

(١)- منز، الحضارة الإسلامية، ج ٢، ص ١٠.

(٢)- المسعودي، مروج، ج ١ ص ١٩.

غير أن هذا لم يكن، بالتأكيد، التجديد الوحيد الذي أدخله المسعودي إلى فن التأليف ولئن كان ابن خلدون قد وجه إليه الكثير من الانتقادات، فيما وجه من نقد تحليلي إلى من سبقه من المؤرخين، في "المقدمة"، فإن صاحب هذه المقدمة لم يفته أن يلقب المسعودي بـ "إمام المؤرخين"، وهو ما عمد إليه المستشرق فون كريم^(١) لاحقاً، حين لقب المسعودي بـ "هيرودتس العرب"، مضيفاً أن أثر المؤلف العربي أوسع بكثير من تأثير أبي التاريخ الاغريقي، حتى وإن كان هذا الأخير أكثر فناً وأفصح منهجية^(٢).

المهم في هذا كله هو الاعتراف السالف واللاحق بمكانة المسعودي في كتابة التاريخ، وذلك تحديداً من خلال كتابه "التنبية والإشراف"، حتى وإن كان وضع الكثير من الكتب غيره مما بقي بعضه وضاع بعضه الآخر.

ومهما يكن من أمر هنا، فإن باحثين كثر يعدون "مروج الذهب" الأساس في كتابات المسعودي، بل أيضاً في التطور الذي أصاب، على يديه، فن كتابة التاريخ كتابة عيانية ميدانية^(٣).

وفي هذا الإطار يذكر أن المفكر الفرنسي أرنست رينان^(٤) وضع دراسة طويلة عمد فيها إلى المقارنة "بين الرحالة والمؤرخ العربي المسعودي، وبين الرحالة الجغرافي القرن الثاني للميلاد والمؤرخ اليوناني بوزانياس لما بينهما من صلة وقربى في النهج والمساق" ختمها بأمر وأحكام، فالرحالة اليوناني هو فنان وشاعر يحيا ويعيش ويتحمس للأساطير اليونانية والخرافات المروية، كما أنه معجب بمآثر اليونان.

ومن هنا، فإن الكتاب الذي وضعه بعنوان "رحلة في اليونان" لا يتعدى مداه حدود بلاده الأم، بينما الرحالة والجغرافي المسلم المسعودي، هو مؤلف موسوعي، قد يكون أقل حماسة من الأول، إلا أنه أبداً لا يذهب فريسة خياله الجامح.

(١) فون كريم: مستشرق نمسوي كان قنصلاً في مصر وبيروت نشر نحو عشرين كتاب عربياً وله كتابات كثيرة عن الثقافة الإسلامية. الزركلي، الأعلام،

(٢) سالم، التاريخ والمؤرخون العرب، ص ٢٢٨.

(٣) عاصي، المسعودي، ص ١٣.

(٤) رينان، أرنست، مؤرخ وكاتب وعالم لغة فرنسي ١٨٢٣-١٨٩٢ يعد من كبار المستشرقين الأوروبيين الذين درسوا الإسلام ودعا إلى نقد المصادر نقداً تاريخياً وعلمياً وخاصة المصادر الدينية.

فإن كان يبدو في بعض الأحيان سفسطائياً^(١) في الحالة الأولى، فإنه في الحال الثانية ذو فضول ساذج، لكنه مخلص في الحاليين كل الإخلاص. والحال إن هذا القول لم يخرج عما قاله ابن خلدون عن المسعودي^(٢).

والمسعودي الذي وضع الكثير من الكتب تنوياً لحياته العلمية الطويلة، وبعد أسفار وصل فيها إلى الكثير من الممالك والديار، عرفه الغرب منذ القرن الثامن عشر وكوّن عنه في أوروبا رأياً عالياً، خصوصاً حين ترجمت كتبه، وبدأت كتبه متضمنة فصلاً أتت من مشاهدات عيانية في بلدان بعيدة وصل إليها المسعودي وأرخ لها، كالصين التي كان المسعودي من أوائل المسلمين الذين رحلوا إليها وجابوا مدنها، ومع هذا عرف كيف يتميز بتدوين أخبار رحلاته على أساس منهجي علمي أبرز قيمة الرحلات وبخاصة حين يهتم بعقد مقارنة مفيدة، مثلاً بين أهالي الصين وبين العرب قبل الإسلام^(٣)، ويمكن القول: إن المسعودي كان عالماً في أدب الرحلة، وقد اصطبغت كتاباته التاريخية بصيغة المؤرخ الذي لا يرى الأشياء جامدة ولكنه يبعث فيها الحياة^(٤)، وقد مدح علي الصولي (ت ٣٣٥هـ/ ٩٤٦م) الذي ألف أخبار خلفاء بني العباس وأسفارهم، وذكر المسعودي أن له كتاب آخر عن وزرائهم وشعرائهم وذكر في هذين الكتابين غرائب لم تقع إلى غيره، وهنا تكمن اللفتة التاريخية "شاهدها بنفسه"^(٥)، وقد تعرض لأخبار في وصف بعض الأنهار والحيوانات نقلها الجاحظ من كتاب الحيوان فيها من الغرابة كثير فأثبت المسعودي بطلانها بالتنقيب والبرهان العلمي فانتهى الجاحظ (ت ٢٥٥هـ/ ٨٦٨م)^(٦) وحمل عليه أنه ألف دون خبرة طويلة في المشاهدة ووقع في الأوهام ومن ذلك: أن نهر مهران السند من قبل نيل مصر "واستدل على ذلك بوجود التماسيح فيه، ويتساءل المسعودي: "فلست أدري كيف وقع له هذا؟"^(٧)، ويعلل المسعودي ذلك بأنه لم يسلك البحار "ولا أكثر الأسفار ولا تقرى

(١) سفسطائي: اسم منسوب إلى سفسطائية وهو الإخذ بمذهب السفسطائية، والذي يعني الجدل والمحاورة، وهو تيار فكري يوناني نشأ في القرن الخامس قبل الميلاد. المعجم الوسيط، من إعداد مجمع اللغة العربية بمصر، مطابع دار المعارف، ط٢، القاهرة، ١٣٩٢ هـ / ١٩٧٢ م، ج ٢ ص ١٣٥.

(٢) روزنثال، فرانز: علم التاريخ عند المسلمين، مؤسسة الرسالة، ط٢، بيروت، ١٩٨٣. ص ١٥٠.

(٣) الخربطلي، المسعودي، ص ٢٢.

(٤) اسماعيل، سيدة: مصادر التاريخ الإسلامي ومناهج البحث فيه، دار الرائد العربي، بيروت، ١٩٨٣، ص ٣٦. حسن، إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، دار الجيل، مصر، ط٢، ١٩٨٣، م١، ص ٨٥. روزنثال، علم التاريخ، ص ١٥١. سالم، مناهج البحث، ص ٩٣.

(٥) المسعودي، مروج، ج ١ ص ١٥.

(٦) المسعودي، مروج، ج ١ ص ١٥.

(٧) المسعودي، مروج، ج ١، ص ٩٩. المسعودي، التنبيه، ص ٦٥.

الممالك والأمصار وإنما كان حاطب ليل ينقل من كتب الوراقين^(١). وانتقد المسعودي سنان بن ثابت بن قرة (ت ٣٣١هـ / ٩٤٢م)^(٢) الذي ألف وضم إلى كتابه كتاباً جعل فيه أخباراً زعم "أنها صحت عنده ولم يشاهدها"^(٣)، وهكذا فقد فاق المسعودي غيره ولسان حاله يردد "مستعملين بدائع الأمم بالمشاهدة، عارفين خواص الأقاليم بالمعاينة"^(٤)، وهكذا اتخذ العمل التاريخي منحى علمياً لا يتطرق إليه الهوى حين اتخذ من التجربة والتتقيب والتقصي في تمحيص الأخبار وتقييمها فلم يقف النقد عند عيب النقل من كتب الوراقين، بل تعدى إلى التعريف بأسس علمية وموضوعية استحق من نقل عنها أن ينقد. من كل ذلك يمكن القول أن تميز المسعودي بحبه للاستطلاع والاستعداد والقدرة على التسجيل والنظر الدقيق ولساناً من السؤال لا يكل عن شؤون الملل والنحل، ميزه عن غيره من المؤرخين وهياً له عوامل النجاح^(٥).

سادساً-آثاره العلمية ومؤلفاته:

إن الحديث عن مصنفات المسعودي حديث ذو أهمية كبيرة لا يدركها إلا من قدر له أن يغوص في أعماق مؤلفيه المطبوعين وهما كتاب مروج الذهب وكتاب التنبيه والإشراف، ويقف عن كثر على ما يحويانه من معارف وعلوم، وما يتجلى فيهما من مظاهر القوة والعظمة التي وصل إليها مستوى الفكر في عصر المسعودي، ويتألم الباحث عندما يلتفت يمناً ويسرة بحثاً عن مؤلفات المسعودي الأخرى فلا يوفق في العثور على شيء منها، وعندما يرى ذلك الارتباط الوثيق بين تلك المؤلفات، وتفتته تلك الإحالات الكثيرة العجيبة في الكتابين سأل في الذكر إلى تلك المؤلفات التي لفتها يد الضياع وذهبت في عالم الفقدان.

والواقع أن المسعودي بما حباه الله تعالى به من عقلية فذة جبارة مستوعبة، ثم ما هذب به تلك العقلية وصقلها به من خلال رحلاته في الأقطار، وقطعه البلدان والقفار، وركوبه الأمواج والأخطار، وضربه في الآفاق تارة في الشرق وأخرى في الغرب، وما حنكته به التجارب، وما عركته به الأيام، إضافة إلى استيعابه ما كان مدوناً في بطون الكتب، فكل هذا جعل عقلية المسعودي مستودعاً للعلم

(١)- المسعودي، مروج، ج ١، ص ٩٩.

(٢) سنان بن ثابت بن قرة الحراني، علام وطبيب، ظهر في العصر العباسي، خدم عند الخليفة المقتدر بالله، وكان رئيس الأطباء، وخدم عند القاهرة بالله والراضي، وتوفي في بغداد، (٣٣١هـ / ٩٤٢م). النديم، الفهرست، ص ٤٧٣. ابن أبي أصيبعة، أحمد بن القاسم موفق الدين: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، دار الحياة، ط ١، بيروت، د.ت، ص ٢٠٠ وما بعدها.

(٣)- المسعودي، مروج، ج ١، ص ١٦.

(٤)- المسعودي، مروج، ج ١، ص ١٠.

(٥)- مصطفى، التاريخ العربي والمؤرخون، ج ٢، ص ٤٦.

يفيض ويتدفق، فأفرغ ذلك في كتبه التي أخرجها للناس في زمانه، وطرق فيها موضوعات كثيرة ومختلفة، فتارة يتحدث عن المذاهب والملل والآراء والنحل، والتي تبحث في علوم الفلسفة والنفس والأخلاق، وأسرار الطبيعة، والتي تتناول القضايا والتجارب التي مر بها، ومنها ما هو مخصص للحديث عن آل النبي صلى الله عليه وسلم وآل أبي طالب، وبعضها في الفقه، إلى غير ذلك.

وهذا كله إلى جانب العلم الأول الذي شغف به وملك عليه لبه وهو التاريخ الذي ألف فيه سلسلة من الكتب يتلو بعضها بعضاً، وجعل كل واحد منها مكماً للآخر^(١)، وقد بلغ مجموعها سبعة كتب، وهي مرتبة حسب تأليفها التاريخي على النحو الآتي^(٢):

١. أخبار الزمان ومن أباده الحدثان من الأمم الماضية والأجيال الخالية والممالك الدائرة وهو أول مصنفاته وأوسعها وقد قدر بثلاثين مجلداً.
٢. الكتاب الأوسط والذي اختصر فيه كتابه الأول.
٣. مروج الذهب ومعادن الجوهر مطبوع في أربع مجلدات وهو التالي للكتاب الأوسط.
٤. فنون المعارف وما جرى في الدهور السوالف.
٥. ذخائر العلوم وما كان في سالف الدهور.
٦. كتاب الاستنكار لما جرى في سالف الأعصار.
٧. التنبيه والإشراف وهو آخر هذه القائمة مطبوع في مجلد واحد.

وكان تصنيف المسعودي لهذه الكتب في الحقبة المتأخرة من حياته، إذ أنه لم ير "الاشتغال بهذا الضرب من العلوم والتفرغ بهذا الفن من الآداب"^(٣) حتى صنف كتبه في "ضروب المقالات وأنواع الديانات" وكتبه "في الإمامة" وأقاويل الناس فيها، وسائر كتبه "من ضروب علم الظواهر والبواطن والجلي والخفي والدائر والوافق"^(٤)، وكذلك سائر كتبه "في السياسة" وغيرها.

ومن أجل هذا جاءت كتبه التاريخية خلاصة لعلومه ومعارفه وما مر به من تجارب، ويقول المسعودي في سبب إقباله على التأليف في هذا الفن (التاريخ).

(١) - المسعودي، المروج ٨٥/٣.

(٢) - المسعودي، التنبيه، ص ٢.

(٣) - المسعودي، المروج ١١/١.

(٤) - المسعودي، المروج ١١/١، وفق بفق وفقاً، كان صواباً موافقاً للمواد، انظر: المعجم الوسيط، ج ٢ ص ١٠٤٦. وانظر نحو هذا المعنى في الفيروز أبادي، أبو طاهر مجيد الدين محمد بن يعقوب: القاموس المحيط، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة: د.ت، ج ٣ ص ٢٩٠.

"وكان مما دعا إلى تأليف كتب في التاريخ وأخبار العالم وما مضى في أكناف الزمان من أخبار الأنبياء والملوك وسيرها والأمم ومساكنها محبة احتذاء الشاكلة التي قصدها العلماء وقفاها الحكماء، وأن يبقى للعالم ذكراً محموداً وعلماً منظوماً عتيداً، فقد وجد مصنفي الكتب في ذلك مجيداً ومقصراً، ومسهباً ومختصراً، ووجدت الأخبار زائدة مع زيادة الأيام حادثة مع حدوث الأزمان، وربما غاب البارع منها عن الفطن الذكي، ولكل واحدة قسط يخصه بمقدار عنايته، ولكل إقليم عجائب يقتصر على علمها أهله، وليس من لزم جمرات وطنه وقنع بما نمي إليه من الأخبار عن إقليمية كمن قسم عمره على قطع الأقطار ووزع أيامه بين تقاذف الأسفار، واستخرج كل دقيق من معدنه، وأثار كل نفيس من مكنه"^(١).

ومن هنا فقد وضع المسعودي يوضح بكل دقة الأسباب الحقيقية التي دفعته لدخول ميدان الكتابة التاريخية، وإن كان يشعر في قرارة نفسه أنه لم يبلغ بعد مرحلة يستطيع معها أن يلتم بثبات العلوم، ولهذا يقول^(٢): "ولو كان لا يؤلف كتاباً إلا من حوى جميع العلوم إذا ما ألف كتاباً ولا تأتي له تصنيف، لأن الله عز وجل يقول: (وفوق كل ذي علم عليم)"^(٣).

ومن هذا المنطلق راح المسعودي يؤلف الكتب في الموضوعات التي أحس في نفسه القوة والمقدرة على الخوض فيها، فظهرت مجموعة من المؤلفات اتسم بعضها بالعمق والأصالة في مادته، وعلى الرغم من أنها لم تصل كلها، أو لم يوفق بالعثور عليها إلا أنها تكشف بوضوح عما وصل إليه الفكر الإسلامي من نضج في ذلك الزمان من خلال الإشارات والتعليقات الموجزة التي يعثر عليها بين الفينة والأخرى في ثنايا كتابيه الباقيين، وهما: مروج الذهب، والتنبيه والإشراف.

هذا ويعود الفضل بعد الله سبحانه وتعالى إلى المسعودي نفسه في الوقوف على أسماء جل مصنفاته، إذ إن كل من كتب عنه سواء في القديم أو في الحديث، وسواء المختصين منهم في ذكر المؤلفات والكتب كالنديم وحاجي خليفة والبغدادى وغيرهم، أو غير المختصين، فكل هؤلاء لم يزودوا بأسماء مؤلفات المسعودي كاملة، بل كان هو الوحيد الذي عن طريقه يمكن التعرف على أسماء غالبية مصنفاته، ومن غير تحريف أيضاً، وذلك في كتابيه المطبوعين المروج والتنبيه والإشراف.

(١)- المسعودي، المروج ١٢/١.

(٢)- المسعودي، المروج ٣٠٢/٢.

(٣)- سورة يوسف: آية رقم ٧٦.

هذا ويمكن تقسيم مؤلفات المسعودي كالتالي:

أولاً- المطبوع:

ويعنى بذلك كتب المسعودي التي عثر عليها وتمت طباعتها، ولا يوجد منها سوى كتابا مروج الذهب والتنبيه والإشراف، كما ذكر سالفاً، وهذان الكتابان هما الأساس الحقيقي الذي قامت عليه هذه الدراسة، ومن خلال المعلومات الواردة فيهما ستبنى الأحكام وتستنبط الملاحظات والاستنتاجات حول كل ما يتعلق بهذا الموضوع.

ثم ستلحق بدراسة للكتابين المطبوعين والمنسوبين للمسعودي، وهما كتابا "أخبار الزمان ومن أباده الحدثان وعجائب البلدان والغامر بالماء والعمران" و "إثبات الوصية للإمام علي بن أبي طالب"، رضي الله عنه.

ثانياً- المفقود:

في هذه الفقرة سيعرض سائر مؤلفات المسعودي المفقودة حتى الآن، ومحاولة التعرف على محتويات كل كتاب ومباحثه، وذلك عن طريق ما ورد في الكتابين المطبوعين من إشارات إلى ذلك

أولاً- المطبوع:

أ- كتاب مروج الذهب ومعادن الجوهر:

يعد هذا الكتاب أحد الكتب التاريخية المهمة التي حظيت باهتمام وقبول في مختلف الأوساط، واحتل مكاناً مرموقاً ومحلاً بارزاً بين إنجازات العرب العلمية وانتشر بين الناس على نطاق واسع، وتلقفته الأيدي منذ ظهوره، وتبادلته النساخ فيما بينهم^(١)، حتى أن المسعودي نفسه حينما رأى ذلك الانتشار السريع والقبول الحسن أخذ يزيد في الكتاب ويتعهد بالرعاية والتنقيح حتى قبيل وفاته^(٢).

ويذكر المسعودي وجهة نظره حول تسمية الكتاب فيقول: "وقد سمت كتابي هذا بكتاب مروج الذهب ومعادن الجوهر، لنفاسة ما حواه وعظم خطر ما استولى عليه من طوابع بوارع ما ضمنته كتبنا السالفة في معناه وغرر مؤلفاتنا في مغزاه"^(٣) فهو سفر أودعه المسعودي معارف ومعلومات على درجة كبيرة من الأهمية من خير ما دونه في كتبه السالفة، وهو إذاً بمثابة المنجم الذي تستخرج منه المعادن النفيسة الثمينة.

(١)- المسعودي، التنبيه، ص ٩٧.

(٢)- المسعودي، التنبيه، ص ١٥٥.

(٣)- المسعودي، المروج ١/ ١٨١.

أما عن سبب تأليف الكتاب فأخبر المسعودي أنه بعد أن ألف كتابه الأعظم وهو أخبار الزمان في التاريخ، ثم تلاه بالكتاب الأوسط في معناه، رأى إجمال ما بسطه واختصار ما وسطه في كتاب لطيف يودعه لمع ما في دينك الكتابين مما ضمنه إياهما: وغير ذلك من أنواع العلوم وأخبار الأمم الماضية والإعصار الخالية مما لم يتقدم ذكره فيهما^(١).

وكأن المسعودي أدرك أنه ليس في مقدور كل إنسان أن يطلع على كتبه المطولة المستفيضة بالأخبار المفصلة، لصعوبة اقتناء تلك الكتب واستتساخها أو كأنه أوجس أن يد الضياع ستمتد إليها كما امتدت إلى غيرها، فأراد أن يضع في هذا الكتاب بعض الدلائل والعلامات التي تذكر بتلك السالفة، وشيئاً من الأخبار المقتضبة لبعض الموضوعات التي كان قد فصل الحديث عنها من قبل، فيجد القارئ بين يديه معلومات مركزة تغنيه - إن لم يكن نهماً - عن الرجوع إلى المطولات، وليعرف أيضاً أن المسعودي لم يكن غافلاً عن تلك الأخبار والمعلومات حينما أوردها موجزة في كتاب المروج. ثم يوضح المسعودي الأهداف التي رعى إليها وقصدها من تأليفه فيقول: "وجعلته تحفة للأشراف من الملوك وأهل الدرايات، لما قد ضمنته من جمل ما تدفع الحاجة إليه وتنازع النفوس إلى علمه من دراية ما سلف وغبر من الزمان، وجعلته منبهاً على أغراض ما سلف من كتبنا، ومشتملاً على جوامع يحسن بالأديب العاقل معرفتها ولا يعذر في التغافل عنها"^(٢).

والواقع أنه لا يكاد يخلو موضوع من الموضوعات التي طرقها المسعودي في هذا الكتاب من التنبيه على هذا الغرض، وهو التذكير بكتبه السالفة المطولة ذات الصبغة الموسوعية، وغيرها من كتبه الأخرى، والتأكيد على أن هذا الكتاب ليس إلا جوامع منبهة^(٣)، ولمع موجزه مما لم يذكره فيما سلف^(٤) باعثة على درس ما تقدم^(٥).

ولعل المسعودي كان مدركاً أن من قرأ كتابه هذا ستولد لديه رغبة قوية في الاطلاع على مؤلفاته السالفة بسبب تلك الإحالات المتكررة إليها، ومن جراء ذلك الأسلوب القوي الجذاب الذي استخدمته في طريقة إيراده للمعلومات النادرة المشوقة، ولذلك حرص على عرض محتوياتها والتنبيه عليها.

(١) - المسعودي، المروج، ١٠/١.

(٢) - المسعودي، المروج ١٨/١.

(٣) - المسعودي، المروج ١/٢٧٤، ٣٢٦.

(٤) - المسعودي، المروج ١/٩٤، ٣٢٦، ٢/١٦٤.

(٥) - المسعودي، المروج ٢/٢٨٣، ٤/٣٦٣.

واشترط المسعودي على نفسه في هذا الكتاب أن يسلك طريق الاختصار والإيجاز^(١)، وأن يدل بالقليل على الكثير وبالخير اليسير على الجليل الخطير^(٢).

وذهب إلى تعليل ذلك بقوله: "إن كان في الإكثار من الأخبار ثقل على القلوب وملل للسامع، وقليل الأخبار يغني عن كثير الاقتدار"^(٣).

وإذا ما نُظر إلى خطة المسعودي في هذا الكتاب التي لخصها بقوله: "الإخبار عن جمل الأشياء وجوامعها لا عن تفصيله وبسطها"^(٤)، يجد أنه قد التزم بها إلى حد كبير، ولم يخرج عنها إلا قليلاً في بعض الحالات التي يستطرد فيها حينما يتشعب الكلام إليها ويتغلغل الوصف نحوها^(٥)، ولهذا يمكن ملاحظة تركيزه على إيضاح أن كتابه "هذا كتاب خبر ليس كتاب آراء ونحل"^(٦)، وأنه "كتاب خبر لا كتاب بحث ونظر"^(٧)، واستعماله البغية فيه^(٨)، وهي الاختصار على ما يحتاج إليه، على الرغم من أنه كانت لديه مادة كثيرة عن أخبار المتقدمين وسير الملوك الغابرين، ولكنه لا يريد أن يبسط القول في ذلك بسبب ميل النفوس إلى قصار الأحاديث وشغفها بالطوائف والنوادر، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى لأنه كان قد ألف كتبه السالفة على سبيل الشرح والإيضاح^(٩).

وذكر المسعودي أنه أودع كتابه هذا أجزل الفوائد، وأن جميع ما أورده فيه "لا يسمع ذا الدراية جهله ولا يعذر في تركه والتغافل عنه"^(١٠)، لأنه جمع ما فيه من معلومات "في عدة من السنين باجتهاد وتعب عظيم، وجولان في الأسفار، وطواف في البلدان من الشرق والغرب في كثير من الممالك غير مملكة الإسلام"^(١١)، ولأنه لم يترك -كما يقول- "نوعاً من العلوم ولا فناً من الأخبار ولا طريقة من الآثار إلا وقد أوردناه في هذا الكتاب مفصلاً أو ذكرناه مجملأً أو أشرنا إليه بضروب من الإشارات أو لوحنا إليه بفحوى من العبارات"^(١٢).

(١)- المسعودي، المروج ١٤٨/١، ٣٠٤، ٣٢٧، ٢٢/٢، ٤٧، ٦٢، ١٤١، ١٥٤، ٢٣٥، ٢٧٤، ٢٨٥، ٣٥٩، ٣٧٢، ٤١٧، ٢٤٣/٥، ١٩٠/٤، ٤٤، ٢٤/٣.

(٢)- المسعودي، المروج ٢٧٣/٢، وانظر ٢٣/٢.

(٣)- المسعودي، المروج ٢٣٠/٤.

(٤)- المسعودي، المروج ٩١/٢، وانظر ١٥٣/١.

(٥)- المسعودي، المروج ١١٠/١، وانظر ٣١٦/٢، ٦٢/٤.

(٦)- المسعودي، المروج ٦٧/١.

(٧)- المسعودي، المروج ٨٥/١، ٣١٦/٢.

(٨)- المسعودي، المروج ١١٥/١.

(٩)- المسعودي، المروج ٤١٨/٢.

(١٠)- المسعودي، المروج ٢٧٤/٤.

(١١)- المسعودي، المروج ٢٧٤/٤.

(١٢)- المسعودي، المروج ١٨/١.

وكان تنويع المسعودي لمادة الكتاب مراعاة لأذواق الناس ومطالبهم المختلفة، ولإشباع ميول القراء مختلفي الطبائع ومتبايني الأمزجة، ولهذا أورد فيه أنواع العلوم وفنون الأخبار، وجمع فيه من سائر ما يحتاج الناس من ذوي المعرفة إلى علمه خوفاً من أن "يلحق الإنسان الملل بقراءة ما لا تهواه نفسه فينتقل منه إلى غيره"^(١).

أما من حيث محتويات الكتاب فهو يشتمل على مائة وإثنين وثلاثين باباً، ذكرها المسعودي "على حسب مراتبها فيه واستحقاقها منه، لكي يقرب تناولها على من يريد تناول ذلك"^(٢) وخصص للحديث عنها الباب الثاني بأكمله، أما الباب الأول فقد جعله بمنزلة المقدمة في المؤلفات الحديثة، حيث تحدث فيه عن معاناته في جمع مادة الكتاب، ورحلاته التي قام بها في هذا السبيل، وقطعه البلاد النائية طويلاً وعرضاً وتقحمة الشرق والغرب^(٣)، ثم تحدث عن سبب إقدامه على التأليف في فن التاريخ، وذكر بعض كتبه التي ألفها من قبل في موضوعات مختلفة، ثم أورد قائمة للمصادر التي اطلع عليها، ولأشهر المؤلفات في التاريخ والأخبار، ومن خلال عرضه لها كان يعقد بعض المقارنات بينها، ويمارس شيئاً من التقويم والنقد لها.

والحقيقة إن بدء المسعودي بالبابين الأول والثاني وجعلهما كمدخل لكتابه وهذا قد أعطاه ميزة وخاصة بين أقرانه من المؤرخين^(٤) حيث أتاح لمن أراد أن يقرأ كتابه أن يكون فكرة واضحة عن طريقة المؤلف، والجهود التي بذلها في إعداد الكتاب، ثم يعرف ما انتهى إليه البحث التاريخي حتى ذلك العهد بالاطلاع على تلك القائمة التي سرد فيها المسعودي أسماء من سبقوه في هذا المجال، ثم يجد القارئ بين يديه كشافاً بالموضوعات التي احتواها الكتاب تسهل عليه الوصول إلى ما شاء منها، والمسعودي بعمله هذا قد فتح الطريق أمام المؤلفين المحدثين الذين نهجوا نهجه وسلكوا مسلكه.

وابتداءً من الباب الثالث دخل المسعودي إلى موضوعات الكتاب، وأولها:

(١)- المسعودي، المروج ٣٧٨/٢.

(٢)- المسعودي، المروج ٢٠/١.

(٣)- المسعودي، المروج ١٠/١.

(٤)- لم يسبق المسعودي في مجال ذكر المصادر - حسب العلم- إلا خليفة بن خياط في كتاب الطبقات حيث أشار إلى أسماء شيوخه الذين روى عنهم، بن خياط، أبي هبيرة خليفة بن خياط: كتاب الطبقات، تحقيق د. إكرم ضياء العمري، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢، الرياض، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م، ص ٢- ٤٣. واليعقوبي حيث ذكر في أول الجزء الثاني الذي خصصه للتاريخ الإسلامي أسماء بعض الإخباريين الذين روى عنهم، تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ٦.

في ذكر المبدأ وشأن الخليقة وذرة البرية من آدم إلى إبراهيم عليهما السلام^(١) وآخرها: ذكر من حج بالناس من أول الإسلام إلى سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة^(٢)، وبين هذا وذاك اشتمل الكتاب على "الأخبار عن بدء العالم وأوليته وأقاويل الأمم في ذلك من أصحاب القدم والحدث، وما احتج به كل فريق منهم لقولهم على تباينهم، والخلق وتفرقهم على الأرض، والأنبياء وشرائعهم، والملوك وسيرهم وسياساتهم والأمم وآرائهم ونحلهم وشيمهم وأخلاقهم ومساكنهم، ومن أخبار العرب، والفرس، والسرانيين، واليونانيين، والروم، والهند، والصين وغيرهم من الأمم، ومن كان فيهم من الأطباء والحكماء والفلاسفة والقدماء، والنواحي والآفاق، والأرض وشكلها وقسمتها، وما على ظهرها من عجيب البنيان، والعامر منها الغامر، والأفلاك وهيئاتها، والنجوم وكيفية تأثيراتها في هذا العالم الأرضي، ووصف الأقاليم السبعة ومقاديرها وأطوالها وعروضها، والبحار وخلجانها والمنتصل منها والمنفصل، وما فيها وما حولها من العجائب، وما كان من الأرض برأ فصار بخرأ، وبحراً فصار برأ على مرور الأزمان وكرور الدهور، وعلة ذلك وسببه الفلكي والطبيعي، والأنهار ومبادئها ونهايتها، وأخبار الأمم الدائرة والممالك البائدة، وجامع تاريخ العالم والأنبياء والملوك من آدم إلى النبي صلى الله عليه وسلم، ومولده ومبعثه وهجرته ومغازيه وسراياه وسواربه^(٣) إلى وفاته، والخلفاء والملوك بعده، وكتابهم ووزرائهم، والغرر من أخبارهم، وما كان من الكوائن والأحداث والحروب في أيامهم إلى سنة ٩٥٦هـ/ ٩٥٦م في خلافة المطيع"^(٤).

متى ألف المسعودي هذا الكتاب؟

للإجابة على هذا السؤال سيقام بحصر شامل لجميع السنوات ذات العلاقة بتأليف الكتاب، وهي السنوات التي غالباً ما يشير إليها المسعودي في نهاية حديثه عن أمة^(٥)، أو ملك^(٦)، أو بلد^(٧)، أو

(١)- المسعودي، المروج ٢٠/١.

(٢)- المسعودي، المروج ٢٩/١.

(٣)- سرايا جمع سرية وهي الحملة التي يبعثها النبي صلى الله عليه وسلم للاستطلاع أو القتال، دون أن يشترك فيها وهي مأخوذة من السرى وهو المشي في الليل، أما السوارب فهي التي تكون في وضح النهار، ومنه قوله تعالى "ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار" سورة الرعد، أية ١٠، ومعناها ظاهر ماش في بياضه. أنظر: ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٢، ص ٥٠٤. وانظر: المسعودي، التنبيه، ص ٢٧٩- ٢٨٠.

(٤)- المسعودي، التنبيه، ص ١١٠- ١١١.

(٥)- المسعودي، المروج، ٦٦/١، ١٥٥، ١٦٣.

(٦)- المسعودي، المروج، ٩١/١، ٢١٦، ٢٣٦، ٦٣/٢.

(٧)- المسعودي، المروج، ٤٤/١، ٥٠، ١٩٣، ٢٥٢، ١٦٩/٢، ٣٥٣/٤.

نهر^(١)، أو جزيرة^(٢)، أو قبر^(٣)، أو رجل^(٤)، أو أي شيء غير ذلك^(٥)، حيث أن المسعودي يبين الحالة التي كان عليها ذلك الشيء وقت كتابته عنها.

ولكن قبل ذكر الرأي في هذا الموضوع يجب أن يعرض بعض الآراء التي قيلت فيه، فجواد علي في بحثه عن "مواد تاريخ المسعودي" ذكر أن المسعودي شرع بتأليف "هذا الكتاب سنة ٣٣٢هـ/٩٤٣م ثم استمر في تسويده وإكماله إلى أن انتهى منه في جمادى الأولى سنة ٣٣٦هـ/٩٤٧م، وكان ذلك بفسطاط مصر، فكانت هذه النسخة هي النسخة الأولى للكتاب، فتكون مدة اشتغاله بها حوالي أربع سنوات وتنتهي حوادثها بحدوث سنة ٣٣٦/٩٤٧م للهجرة^(٦).

أما هادي حسين حمود فذهب في رسالته^(٧)، وفي بحثه عن "مؤلفات المسعودي" إلى أن المسعودي ألف معظم المروج في سنة ٣٣٢هـ/٩٤٣م، إلا أنه يتابع جواد علي، فيذكر أنه "انتهى من تأليفه في الفسطاط جمادى الأولى سنة ٣٣٦هـ/٩٤٧م"^(٨).

والواقع أنه يوجد رأي يخالف الرأيين السالفين فيما يتعلق بتأليف هذا الكتاب، فمن خلال استعراض جميع السنوات المذكورة ذات الصلة بالموضوع تبين أن المسعودي شرع في تصنيف الكتاب سنة ٣٣٢هـ/٩٤٣م، في خلافة المتقي لله (٣٢٩-٣٣٣/٩٤٠-٩٤٤م)^(٩) وأنه أتمه في السنة نفسها، والدليل على ذلك وجود إشارات المسعودي إلى هذه السنة مستمرة في ثنايا الكتاب بجميع أجزائه وحتى - قبيل نهاية الجزء الأخير منه، وعلى وجه التحديد في نهاية حديثه عن الخليفة العباسي القاهر (٣٢٠-٣٢٢هـ/٩٣٢-٩٣٤م)^(١٠)، وهناك دليل آخر وهو نص المسعودي صراحة على تأليف الكتاب في هذه السنة، وهو قوله في معرض حديثه عن النسخة الأخرى التي كتبها فيما بعد، "وهي أضعاف ما تقدم من النسخة المؤلفة في سنة ٣٣٢هـ/٩٤٣م"^(١١).

(١)- المسعودي، المروج، ١١٤/١، ٢٤٦، ٧١/٢.

(٢)- المسعودي، المروج، ج ١٠٠/٢.

(٣)- المسعودي، المروج، ١٣/٢، ٣٦، ١٨٨/٣.

(٤)- المسعودي، المروج، ١٩٢/١، ٢١٢، ٢٢٧، ٩٦/٤، ٢٧٠، ٣٥٠، ٢١٥/٤.

(٥)- الحقيقة أن إشارات المسعودي إلى تلك السنوات في كتاب المروج كانت كثيرة جداً تزيد عن تسعين مرة، ذكر سنة ٣٣٢هـ فيها حوالي اثنين وسبعين مرة.

(٦)- علي: موارد المسعودي، ص ١٠.

(٧)- علي، منهج المسعودي في بحث العقائد والفرق الدينية، ص ٧٣.

(٨)- علي، موارد المسعودي، ص ٦٧.

(٩)- انظر المروج ١٠/١، وقد ورد ذكر هذا الخليفة في هذا الكتاب مرات كثيرة نظراً لأن المسعودي كان مقدراً أن ينهي الكتاب في عهده، فارتبط اسمه بذهنه، فذكره في ٦٣/٢، ٤١٦، ٧٢/٤، ٧٤، ٢٨١، ١٧٦/٣.

(١٠)- المسعودي، المروج ٢/٢١٥.

(١١)- المسعودي، التنبيه، ص ١٥٥.

ثم عاد المسعودي إلى الكتاب في شهر جمادى الأولى من سنة ٣٣٦هـ/٩٤٧م فزاد فيه أحداث السنوات من ٣٣٢ - ٣٣٦هـ/٩٤٣-٩٤٧م الواقعة في خلافة المتقي لله، والمستكفي بالله، وشطراً من خلافة المطيع لله، وراجع بعض أبواب الكتاب فعدل بعض السنين التي أثبتتها من قبل إلى سنة ٣٣٦هـ/٩٤٧م^(١)، لكنه لم يأت عليها كلها.

وكان في نية المسعودي أن يزيد في الكتاب ما يحدث من حوادث وما يستجد من أيام الخلفاء إن فسح له في الأجل ومد له في العمر^(٢)، وقد حدث ذلك، ففي سنة ٣٤٥هـ/٩٥٦م أعد نسخة جديدة ومنقحة ومزينة من مروج الذهب أصبحت أضعاف النسخة الأولى التي ألفها سنة ٣٣٢هـ/٩٤٣م، يقول عنها- في معرض حديثه عن خسرو ابرويز الفارسي: "وقد أتينا على ما كان في أيامه في كتاب مروج الذهب ومعادن الجواهر في النسخة الأخيرة التي قررنا أمرها في هذا الوقت وهي سنة ٣٤٥هـ/٩٥٦م، وهي أضعاف ما تقدم من النسخة المؤلفة في سنة ٣٣٢هـ/٩٤٣م"^(٣)، ويقول عنها أيضاً -وهو يؤرخ لأباطرة الروم- "وفي النسخة الأخيرة من كتاب مروج الذهب ومعادن الجواهر التي قررنا أمرها في هذا الوقت المؤرخ به كتابنا (٣٤٥هـ/٩٥٦م) وهي أضعاف ما تقدم من النسخ"^(٤).

وجزئ الكتاب في النسخة الأخيرة على "ثلاثمائة وخمسة وستين جزءاً، فإذا اجتمع كانت سمته مروج الذهب ومعادن الجواهر، وإذا افترق كان كل جزء منه كتاباً قائماً بنفسه مضافاً إلى ما اشتمل عليه وأُفرد له"^(٥)، وكان الجزء السابع منه محتوياً على أخبار الفرس الأولى "وهم الكيانيون والطوائف من الأشغان والأردوان وغيرهم، والساسانية وطبقاتهم وأنسابهم وملوكهم إلى يزدجر بن شهريار آخرهم"^(٦).

ومن المرجح أن المسعودي قد أضاف تاريخ أحداث السنوات التي وقف عندها في النسخة الأولى حتى سنة ٣٤٥هـ/٩٥٦م، وعلى الرغم من هذه الإضافات الكثيرة، وتبديل المعاني، وتغيير العبارات^(٧)، ومضاعفة حجم هذه النسخة الأخيرة واجتهاد المسعودي في أن يخرجها بصورة حسنة، بعثت الرضا في نفسه، وقرر أمرها وعدّها هي المعول عليها دون غيرها من النسخ- أقول على الرغم

(١)- والظاهر أن المسعودي ركز في مراجعته للكتاب على الجزء الثاني فجاءت أكثر تعديلاته فيه، انظر: ٢٩/١، ١٩٣، ١٤٧/٢-١٤٨، ١٥٠-١٥١، ٣٨٢، ٣٨٦، ٣٩٣، ٣٩٨-٣٩٩، ٤٠٧، ٤١١، ٢١٥/٥، ٢٧٣، ٢٧٥.

(٢)- المسعودي، المروج ٢٨٢/٤.

(٣)- المسعودي، التنبيه، ص ١٥٥.

(٤)- المسعودي، التنبيه، ص ١٧٥-١٧٦، وانظر ص ١١٤.

(٥)- المسعودي، التنبيه، ص ١١١.

(٦)- المسعودي، التنبيه، ص ١٠٧، وانظر ص ٩٤، ١٠٥، ١٤٥.

(٧)- المسعودي، التنبيه، ص ٩٧.

من ذلك كله فإنها لم تبلغ مبلغ النسخة الأولى من حيث انتشارها بين الناس واستفاضتها بينهم، وذلك بشهادة المسعودي نفسه^(١)، ومما يؤكد ذلك الانتشار ذلك العدد الهائل المحفوظ من مخطوطات المروج (النسخة الأولى) في مكتبات الشرق والغرب^(٢)، ولعل ذلك الانتشار كان هو السبب في بقاء تلك النسخة حتى عصرنا هذا، فهي الموجودة والمطبوعة.

أما النسخة الثانية فقد ضاعت كما ضاع غيرها من تراث المسعودي، لكنها كانت موجودة في زمن المقرئ (المتوفي سنة ٨٤٥هـ / ١٤٤١م)، حيث كان ينقل منها واعتمد عليها في كتابه الخطط، والدليل على ذلك أنه قال - وهو يتحدث عن زيادات النيل حكاية عن المسعودي -: "قال والمعمول عليه في وقتنا هذا وهو سنة خمس وأربعين وثلاثمائة أنه زاد على الستة عشر ذراعاً"^(٣).

هذا وقد حاول المسعودي أن يضيف شيئاً من الحصانة على كتابه هذا، وعلى سائر كتبه الأخرى، ليحميها من عبث العابثين، فوضع تخويفاً في أول الكتاب وفي آخره قال فيه: "فمن حرف شيئاً من معناه أو أزال ركناً من مبناه، أو طمس واضحة من معالمه أو لبس شاهدة من تراجمه، أو غيره أو بدله أو انتخبه أو اختصره أو نسبه إلى غيرنا أو إضافة إلى سوانا، فوافاه من غضب الله وسرعة نقمه وفوداح بلاياه ما يعجز عنه صبره ويحار له فكره، وجعله مثلة للعالمين وعبرة للمعتبرين وآية للمتوسمين، وسلبه الله ما أعطاه وحال بينه وبين ما أنعم به عليه من قوة ونعمة مبدع السموات والأرض، من أي الملل كان والآراء، إنه على كل شيء قدير، وقد جعلت هذا التخويف في أول كتابي وآخره ليكون رادعاً لمن ميله هوى أو غلبه شقاء، فليراقب أمر ربه وليحاذر منقلبه، فالمدّة يسيرة والمسافة قصيرة، وإلى الله المصير"^(٤) "وكذلك نقول في سائر ما تقدم تصنيفنا ونظمناه من تأليفنا"^(٥).

طباعات كتاب المروج وترجماته:

لقي هذا الكتاب عناية كبيرة فطبع عدة طباعات في الغرب وفي الشرق، وسيتم استعراض بإيجاز أهم طباعته وترجماته إلى اللغات المختلفة:

(١) - المسعودي، التنبيه، ص ٩٧، والسبب في ذلك هو أن النسخة الأولى تناقلها النساخ منذ ظهورها، وانتشرت بين الناس بصورة سريعة بسبب تقبلهم لها، فلما ظهرت النسخة الثانية وكانت أكبر حجماً من الأولى لم تلق من العناية والاهتمام والتقبل مثلما لقيته سابقتها.

(٢) - توجد نسخ خطية كثيرة في مكتبات باريس وفيينا وليدن ولندن واكسفورد وكامبريدج ومنشستر واسكوتلاند واستراسبورغ وميلان وفاس والجزائر والقاهرة واستنبول والموصل وبنكيبور، غير ذلك من كبار المدن وصغارها. أنظر: بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ج ٥/٨، أنظر سزكين، فؤاد: تاريخ التراث العربي، نقله إلى العربية د. محمود فهمي حجازي ود. فهمي أبو الفضل، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٧، ج ١ ص ٥٣٧ - ٥٣٨.

(٣) - المقرئ، أحمد بن علي: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، دار صادر، بيروت، دت، ج ١، ص ٦٠،

(٤) - المروج، ١٨/١ - ١٩.

(٥) - المروج، ٣٠١/٤ - ٣٠٢.

- طبع أول مرة في باريس عام ١٧٨٧م بغناية (De Guignes)^(١).
- تم نشر بين عامي ١٨٦١ - ١٨٧٧م في باريس أيضاً، مع ترجمة فرنسية، في تسعة أجزاء بغناية المستشرقين الفرنسيين بارييه دي مينار (Barbier De Meynard) وبافيه دي كرتاي (Pavet De Courtaille)، ونشرته مكتبة بنجامين ديبرا وهذه الطبعة محشوة بالأخطاء النحوية، ومشحونة بالأغلاط والتصحيقات والتحريفات^(٢)، إضافة إلى أن الترجمة غير صحيحة في بعض الأحيان^(٣).
- أما أقدم طبعة له في مصر فهي طبعة بولاق سنة ١٢٨٣هـ، في جزئين^(٤).
- وطبع بهامش كتاب نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، للمقريزي، بالقاهرة سنة ١٣٠٢ - ١٣٠٤هـ، في الأجزاء الثلاثة الأولى^(٥).
- وطبع بهامش كتاب الكامل لابن الأثير، في القاهرة سنة ١٣٠٣هـ، في الأجزاء من الأول إلى العاشر^(٦).
- وطبع في القاهرة أيضاً بمفرده سنة ١٣٠٣هـ^(٧).
- وطبع فيها أيضاً سنة ١٣١٣هـ^(٨).
- ثم حققه الأستاذ محمد محيي الدين عبد الحميد، وطبعه عدة طبعات في القاهرة^(٩).
- وطبعته دار الأندلس في بيروت سنة ١٣٨٥هـ / ١٩٦٥م، ووضع فهارس تلك الطبعة يوسف أسعد داغر.
- قام شارل بلا (Charles Pellat) بتصحيح القسم العربي من طبعة دي مينار ودي كرتاي الفرنسية وحققها في بيروت من سنة ١٩٦٦ - ١٩٧٩م، في سبعة مجلدات تحتوي على فهارس متنوعة، نشرته الجامعة اللبنانية، وقد اعتمدت على هذه الطبعة في بحثي هذا لجودتها وحداثها.
- وحقق يوسف أسعد داغر الكتاب وطبعه في بيروت سنة ١٩٧٣م، ولهذه الطبعة فهارس متنوعة أيضاً.

(١) - د. الغنيم، عبدالله يوسف: المخطوطات الجغرافية العربية في المتحف البريطاني، مطابع كويت تايمز، الكويت، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م، ص ١٤.

(٢) - انظر: مقدمة المروج، ج ١ ص ٥.

(٣) - سوفاجيه، جان: رائد التراث العربي، اقتبسه صلاح الدين المنجد، دار العلم للملايين، بيروت: ١٩٤٧م، ص ٤١.

(٤) - انظر بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ٥٨/٣.

(٥) - بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ٥٨/٣.

(٦) - بروكلمان، ٥٨/٣.

(٧) - د. الغنيم: المخطوطات الجغرافية، ص ١٤.

(٨) - المسعودي، المروج ٦/١.

(٩) - سزكين: تاريخ التراث العربي، ٥٣٩/١.

- في سنة ١٨٤١ بدأ الدكتور لويس سبرنجر (L. Sprenger) بترجمة الكتاب إلى اللغة الإنجليزية لكنه لم ينجزه كاملاً، فلم يظهر إلا قسم منه^(١).
- توجد مخطوطة لترجمة فارسية لقسم منه في مكتبة كلية الفلسفة بطهران^(٢).
- وله ترجمة فارسية كاملة أعدها ميرزتحيدر علي فخر الأدباء، سنة ١٣١٦هـ، توجد في طهران^(٣).
- عملت له ترجمات جزئية إلى لغات مختلفة^(٤).

وما من شك في أن كتاباً مثل المروج يحظى بهذا الاهتمام البالغ من الطباعات الكثيرة، والتحقيقات المتعددة، والفهارس المتنوعة، لهو كتاب - حقاً - على درجة كبيرة من الأهمية، جعلت العلماء الأوروبيين يحملون رأياً حسناً عنه وعن مؤلفه منذ القرن الثامن عشر الميلادي، ويرفعونه إلى مرتبة سامية نستشف ذلك من خلال المنقول والمقتطفات الكثيرة المأخوذة من المروج، والتي أثبتوها في أبحاثهم المختلفة عن الحضارة الإسلامية، وثنائهم العاطر عليه^(٥)، واهتمامهم بطباعته، ونقله إلى لغاتهم، هذا مع ما كان له من عناية وأهمية خاصة في المشرق منذ تأليفه.

ب - كتاب التنبيه والإشراف:

هذا الكتاب الثاني المطبوع من كتب المسعودي، كما أنه في الوقت نفسه هو السابع ضمن سلسلة الكتب التاريخية المسعودية، والأخير منها، ولذلك كان له أهمية خاصة، إذ أن المسعودي أودعه آراءه النهائية في جميع الموضوعات التي عالجها كما أودعه أفكاره الناضجة بعد رحلة حياته المليئة بالتجارب والدروس والمفاجآت.

أما سبب تأليف الكتاب فأفصح عنه المسعودي بعد أن قدم عرضاً لمجموعة كتبه التاريخية ومحتوياتها، حيث أراد أن يودع هذا الكتاب "من فنون المعارف وضروب الأخبار مما لم تأت الترجمة على وصفه ولا انتظمت ذكره"^(٦).

(١) - أ. فازلييف: العرب والروم، ترجمة عبد الهادي شعيرة، دار المنظومة، القاهرة، د.ت، ص ٢٤٨. انظرادفو، كار: مفكرو الإسلام، ترجمة عادل زعيتير، الدار المتحدة للنشر، ط١، بيروت: ١٩٧٩م، ص ١٠٠.

(٢) - سزكين: تاريخ التراث العربي، ٥٣٨/١.

(٣) - بروكلمان: تاريخ الأدب العربي، ٥٩/٣.

(٤) - بروكلمان: تاريخ الأدب العربي، ٥٩/٣.

(٥) - انظر كراتشكوفسكي: تاريخ الأدب الجغرافي، ١٨١/١، روزنثال: علم التاريخ عند المسلمين، ص ١٨٧.

(٦) - المسعودي، التنبيه، ص ٥.

لا سيما وأنه قد تحصل لدى المسعودي معلومات جديدة عن بعض الطوائف والأديان بعد استقراره بمصر واختلاطه ببعض العلماء الأقباط.

ومن الأهداف الرئيسة لتأليف الكتاب، والتي ركز عليها المسعودي في مواضع كثيرة منه، أنه أراد أن يشتمل على لمع وجوامع تكون منبهة على ما تقدم جمعه وتأليفه من كتبه السالفة^(١)، وليكون مدخلاً إليها^(٢)، ولا سيما أنه كان مبنياً عليها وسلماً إليها^(٣)، وإن في اسم الكتاب لأفصح تعبير عن هذا المعنى.

ومن الواضح أنه هنا اعتمد الإيجاز والاختصار طريقاً، إذ "في القليل كفاية لمن كان له بالعلم عناية"^(٤) والدلالة بالشيء اليسير على الشيء الكثير^(٥)، "ومن ضمن الاختصار لم يجز له الإكثار"^(٦)، وركز المسعودي على أن يذكر فيه "طرفاً من كل باب ليستدل الناظر فيه بما رسمناه على المراد مما تركنا قانعين بالتعريض والإشارة من التطويل في العبارة"^(٧)، هذا مع التركيز على اختيار أفضل وأوجز الآراء عندما تختلف وجهات النظر في قضية من القضايا^(٨)، لأن الكتاب كتاب خبر لا كتاب بحث ونظر^(٩).

أما من حيث محتويات الكتاب فقد تحدث عنها المسعودي حينما قال: أردنا أن "نودعه لمعاً من ذكر الأفلاك وهيئاتها، والنجوم وتأثيراتها، والعناصر وتراكيبها وكيفية أفعالها، والبيان عن قسمة الأزمنة وفصول السنة، وما لكل فصل من المنازل، والتنازع في المبتدأ به منها، والاستقصات، وغير ذلك، والرياح ومهابها وأفعالها وتأثيراتها، والأرض وشكلها وما قيل في مقدار مساحتها وعامرها وغامرها، والنواحي والآفاق وما يغلب عليها، وتأثيراتها في سكانها وما اتصل بذلك، وذكر الأقاليم السبعة وقسمتها وحدودها وما قيل في طولها وعرضها، وقسمة الأقاليم على الكواكب السبعة، الخمسة والنيرين، ووصف الإقليم الرابع وتفضيله على سائر الأقاليم، وما خص به ساكنوه من الفضائل التي باينوا بها سكان غيره منها، وما اتصل بذلك من الكلام في عروض البلدان وأطوالها، والأهوية

(١) - المسعودي، التنبيه، ص ٦، ١٥١، ١٥٨، ١٧٦، ١٨٤، ٣٣٤، ٤٠١.

(٢) - المسعودي، التنبيه، ص ١٤٥.

(٣) - المسعودي، التنبيه، ص ٨٣.

(٤) - المسعودي، التنبيه، ص ٤٥.

(٥) - المسعودي، التنبيه، ص ٧٢.

(٦) - المسعودي، التنبيه، ص ٢٢٧.

(٧) - المسعودي، التنبيه، ص ٢٢٧.

(٨) - المسعودي، التنبيه، ص ٢٨١.

(٩) - المسعودي، التنبيه، ص ٣٥٤.

وتأثيراتها وغير ذلك، وذكر البحار وأعدادها، وما قيل في أطوالها وأعراضها واتصالها وانفصالها، ومصبات عظام الأنهار إليها، وما يحيط بها من الممالك، وغير ذلك من أحوالها، وذكر الأمم السبع في سالف الزمان ولغاتهم وآرائهم ومواضيع مساكنهم وما باننت به كل أمة من غيرها وما اتصل بذلك، ثم نتبع ذلك بتسمية ملوك الفرس الأولى والطوائف والساسانية على اختلاف طبقاتهم وأعدادهم ومقدار ما ملكوا من السنين، وملوك اليونانيين وأعدادهم ومقدار ملكهم، وملوك الروم على طبقاتهم من الحنفاء، وهم الصابئون والمنتصرة وعدتهم وجملة ما ملكوا من السنين، وما كان من الكوائن والأحداث العظام الديانية والملوكية في أيامهم، وصفة بنودهم وحدودها ومقاديرها وما يتصل منها بالخليج وبحري الروم والخزر، وذكر الأفدية بين المسلمين والروم إلى هذا الوقت^(١)، وتواريخ الأمم، وجامع تاريخ العالم والأنبياء والملوك من آدم إلى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وحصر ذلك وما اتصل به، ومعرفة سني الأمم الشمسية والقمرية وشهورها وكبسها، وغير ذلك من أحوالها. وذكر مولد النبي صلى الله عليه وسلم ومبعثه وهجرته وعدد غزواته وسراياه وسواريه وكتابه ووفاته، والخلفاء بعده، والملوك وأخلاقهم وكتابتهم ووزرائهم وقضاتهم وحجابهم ونقوش خواتيمهم، وما كان من الحوادث العظيمة الديانية والملوكية في أيامهم، وحصر تواريخهم إلى هذا الوقت وهو سنة ٣٤٥هـ / ٩٥٦م للهجرة في خلافة المطيع^(٢).

والواقع أنه إذا نظر نظرة شاملة إلى موضوعات الكتاب يتبين أنه يشتمل على ثلاثة أقسام رئيسية: فالقسم الأول، مخصص للمادة الجغرافية، وتشمل موضوعات من الجغرافيا الفلكية والطبيعية والوصفية^(٣)، والقسم الثاني مخصص للفرس والروم، والقسم الثالث مخصص للتاريخ الإسلامي، ويفصل بين القسمين الأول والثاني فصل مهم حول الأمم السبع في سالف الزمان، وهو في الحقيقة مقدمة للقسم الثاني، ويربط بين القسمين الثاني والثالث فصلا حول طرائق تعيين التواريخ وتحديد الأوقات عند مختلف الأمم^(٤).

(١) - إن ما كتبه المسعودي عن الأفدية بين المسلمين والروم لهو من أفضل ما كتب عنها، انظر التنبيه، ص ١٨٩ - ١٩٦.

(٢) - المسعودي، التنبيه، ص ٤٠١.

(٣) - انظر كراتشكوفسكي: تاريخ الأدب الجغرافي العربي ١/ ١٨٢.

(٤) - انظر نصار، ناصيف: مفهوم الأمة بين الدين والتاريخ، دار الطليعة، بيروت، ١٩٧٨م، ص ٦٦.

ويذكر المسعودي في نهاية الكتاب أنه سبق له وأن ألف في سنة ٣٤٤هـ/٩٥٥م نسخة أولى منه كانت على الشطر من هذه النسخة، ثم زاد فيها ما رأى زيادته وكمال الفائدة به "فالمعول من هذا الكتاب على هذه النسخة دون المتقدمة"^(١).

وكما سلف ذكره كان فراغ المسعودي من تأليفه لهذا الكتاب بفسطاط مصر سنة ٣٤٥هـ/٩٥٦م للهجرة في خلافة المطيع^(٢)، ومن حسن الحظ أن التي وصلت هي النسخة الأخيرة المعتمدة من قبل المسعودي، وهي التي طبعت:

❖ وقد لقي هذا الكتاب العناية والاهتمام بطبعه وترجمته منذ عام ١٨١٠م، فقد راجعه وعلق عليه المستشرق سامي (Sami)^(٣).

❖ ثم نشره دي غوييه (De Goeja) ضمن المكتبة الجغرافية العربية تحت رقم ٨ في ليدن سنة ١٨٩٤م، مع تعاليق وذيول^(٤).

❖ ثم طبع في القاهرة عام ١٣٥٧هـ بتحقيق الأستاذ عبدالله إسماعيل الصاوي، وذكر بعض الاستدراكات على الطبعة الأوروبية^(٥).

❖ وقد أعيد تصوير طبعة أوروبا في مكتبة خياط في بيروت سنة ١٩٦٥م.

❖ وأعيد تصوير طبعة الصاوي في مكتبته المثني ببغداد^(٦).

❖ وأعادت تصويره عن هذه الطبعة أيضاً دار التراث في بيروت^(٧).

❖ وأخيراً طبعته دار الهلال ببيروت سنة ١٩٨١م، معتمدة على طبعة الصاوي السالفة.

أما من حيث ترجماته، فقد كان ترجمه إلى اللغة الفرنسية كارا دي فو (Carra de Vaux) في سنة ١٨٩٧م^(٨)، وإلى اللغة الأوردية عبدالله العمادي في حيدر أباد سنة ١٩٢٦م^(٩).

هذا وقد كان المستشرقون منقسمين حول قيمة هذه الكتاب، فبعضهم ينزل به إلى أدنى، وآخرون يرفعونه إلى مكانة عالية، قال، دي مينار ناشر المروج ومترجمة إلى الفرنسية: "فكتاب التنبيه والإشراف الذي رأى فيه كريمر (Kramer) أنشودة التمام ليس بالفعل سوى مختصر وجيز جامد

(١) - المسعودي، التنبيه، ص ٤٠١.

(٢) - المسعودي، التنبيه، ص ٤٠١.

(٣) - الخربوطلي: المسعودي، ص ٣٨.

(٤) - بروكلمان: تاريخ الأدب العربي، ٩٥/٣.

(٥) - انظر مقدمة هذه الطبعة، ص (ك).

(٦) - الغنيم: المخطوطات العربية، ص ١٩.

(٧) - الغنيم: المخطوطات العربية، ص ١٩.

(٨) - بروكلمان: تاريخ الأدب العربي، ٥٩/٣.

(٩) - سزكين: تاريخ التراث العربي، ٥٣٩/١.

جاف، إذ أنه سرد ممل لا مرح فيه ولا حياة، لأسماء ومسميات وتواريخ تنفر العين من قراءتها نفورها من كشف أو فهرس تراصفت فيه الأسماء وتتالت بسأم، ولكن إذا ما قارناه بمروج الذهب وعارضنا هذا بذاك اكتسب الأول قيمة لم تكن لنتوقعها له، فالحوادث التي تخفيها الظلال لا تلبث أن تبرز بوضوح، والصور الناصلة تأخذ بالحركة وتمور الحياة^(١).

ويقول بروكلمان: إن المسعودي "جمع فيه خلاصة مجهوده الأدبي"^(٢).

أما كراتشكوفسكي فيؤكد أن "اتساع أفق المسعودي ليظهر بجلاء أيضاً في مصنفه هذا"^(٣). ومما يزيد في أهمية هذا الكتاب بالنسبة لمؤلفات المسعودي أنه زيادة على ما سبق إيضاحه من أهميته يضيف معلومات جديدة لم يذكرها من قبل، حدثت بعد تأليفه لكتبه السالفة وحتى سنة ٩٥٥هـ/ ٩٥٦م.

ج- كتاب أخبار الزمان ومن أباده الحدثان وعجائب البلدان والغامر بالماء والعمران: (منسوب).

في سنة ١٣٥٧هـ/ ١٩٣٨م طبع عبد الله الصاوي في القاهرة كتاباً يحمل هذا العنوان، ونسبه إلى المسعودي.

وإذ ما نُظر إلى محتويات هذا الكتاب نظرة عامة يتبين أنه ينقسم إلى قسمين غير متساويين، أولهما وهو الأصغر يبحث في خلق العالم وعجائب الأمم القديمة، ويركز مؤلفه هنا بشكل خاص على الأساطير والعجائب المتعلقة ببحر الهند.

وثانيهما وهو الأكبر يعالج التاريخ الأسطوري القديم لمصر، وهو الذي يعتمد فيه على المصادر اليونانية أو الروايات الهيروغليفية^(٤).

والحقيقة أن هذا الكتاب يختلف كثيراً عن كتاب المسعودي المعروف الذي أفاض في الحديث عنه في كتابيه المطبوعين السابقين، وهو كتاب "أخبار الزمان ومن أباده الحدثان من الأمم الماضية والأجيال الخالية والممالك الدائرة"^(٥)، ولا يمكن أن يكون هو بحال من الأحوال للاعتبارات التي ستذكر فيما بعد.

(١)- مقدمة الطبعة الفرنسية: الترجمة العربية بقلم يوسف أسعد داغر، ٩/١.

(٢)- كراتشكوفسكي، تاريخ الأدب العربي، ٥٩/٣.

(٣)- كراتشكوفسكي، تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ١٨٣/١.

(٤)- كراتشكوفسكي: تاريخ الأدب الجغرافي، ١٨٥/١.

(٥)- سيأتي الحديث عن هذا الكتاب ضمن كتب المسعودي المفقودة.

وقد سلف الحديث عن هذا الكتاب، وكتاب إثبات الوصية للأمام علي بن أبي طالب كل من جواد علي^(١) هادي حسين حمود^(٢)، ومن قبلهما المستشرق الروسي اغناطيوس كراتشكوفسكي^(٣)، وأشاروا قضية التشكيك في نسبة هذا الكتاب للمسعودي، وأوردوا عدداً من الأدلة التي تباعد بين هذا الكتاب وبين المسعودي.

أما الصاوي ناشر الكتاب فحينما جاء يقدم له وقع في حيرة وارتابك، فمرة قال: إنه كتاب أخبار الزمان نفسه^(٤)، ومرة قال: أنه اختصار له^(٥)، أو قسم منه^(٦)، ومرة رابعة قال: إن كتاب أخبار الزمان المعروف للمسعودي غير هذا^(٧)، ثم ساق عدداً من الأدلة التي تثبت صحة هذا الرأي^(٨).

أما من حيث نسبة الكتاب إلى المسعودي فأكد الصاوي أنه له و "في غاية من القوة"^(٩). هذا وبعد قراءة الكتاب وإمعان النظر فيه ظهر وبصورة واضحة وجلية أنه ليس للمسعودي، بل هو بعيد عنه كل البعد، للأسباب التالية:

• ورد في الكتاب المطبوع في حديثه عن الأنهار الأربعة- سيحان وجيحان والنيل والفرات- أنها تخرج من أصل واحد من قبة في أرض الذهب التي من وراء البحر المظلم، ثم قال: "وممن جاء بهذا وذكره أبو صالح كاتب الليث وغيره من المحدثين، وذكروا أن رجلاً من ولد العيص بن إسحق بن إبراهيم - عليهم السلام- يقال له حaid وصل إلى القبة، وله خير يطول ذكره، هذا الخبر الذي قال المسعودي إنه يطول ذكره أثبتته هنا"^(١٠).

فيظهر من هذا أن المسعودي هو أحد مصادر الكتاب وليس مؤلفه، وليس بعد هذا التصريح من بيان.

(١)- علي، موارد المسعودي، ص ٧-٩.

(٢)- علي، منهج المسعودي، ص ٦٤.

(٣)- انظر كراتشكوفسكي، تاريخ الأدب الجغرافي، ١٨٥/١-١٨٦.

(٤)- المسعودي، أخبار الزمان وما أباده الحدثان وعجائب البلدان والغامر بالماء والعمران المطبوع، دار الأندلس للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٩٦م، ص ٨.

(٥)- المسعودي، أخبار الزمان، ص ١٤.

(٦)- المسعودي، أخبار الزمان، ص ١٧.

(٧)- المسعودي، أخبار الزمان، ص ١١.

(٨)- المسعودي، أخبار الزمان، ص ١١-١٤.

(٩)- المسعودي، أخبار الزمان، ص ١٤.

(١٠)- المسعودي، أخبار الزمان (المطبوع)، ص ٢٤٣.

- طغيان المادة الجغرافية على محتويات الكتاب، وولع مؤلفه بإيراد القصص والحكايات الغريبة، فهو كتاب أشبه بقصص ألف ليلة وليلة بما حواه من خرافات وأساطير لا تمت إلى سمة العلماء ووقارهم الذي يتحلى به المسعودي بصلة.
- ترتيب الأبواب في هذا الكتاب يختلف كثيراً عما درج عليه المسعودي في ترتيبه التاريخي لأبوابه في مروج الذهب والتنبيه والإشراف، فعلى سبيل المثال وُجد أنه تحدث عن الفرس^(١)، ثم عن اليونانيين^(٢)، ثم عن الروم^(٣)، في كلا الكتابين بهذا الترتيب. بينما وُجد في هذا الكتاب أنه تحدث عن اليونانيين^(٤)، وبعد عدد من الأبواب القصيرة تحدث عن الإفرنج^(٥)، (هكذا) وبعدها أيضاً تحدث عن الروم^(٦)، ثم عن الفرس^(٧).
- والمادة التاريخية المشتملة عليها هذه الأبواب تختلف كثيراً عما هو موجود في كتب المسعودي من حيث الشكل والمضمون.
- كثرة الأخطاء النحوية وتكرارها، مما يدل على جهل مؤلفه بقواعد اللغة العربية، ولا سيما في مسألة تذكير وتأنيث الأعداد^(٨).
- ركافة أسلوب مؤلفه، واستخدامه ألفاظاً لم ترد مطلقاً على لسان المسعودي في كتابيه المطبوعين^(٩).
- وعلى أية حال فلم يتم الاعتماد على هذا الكتاب فيما يتصل بالبحث هذا للاعتقاد أنه ليس للمسعودي للأدلة التي ذكرتم قبل.
- وقد عرف هذا المصنف في أوروبا مبكراً، وترجمه إلى الفرنسية فاتيهيه (Fattier) منذ عام ١٠٧٦هـ / ١٦٦٦م معتمداً على نسخة خطية فقدت بالتالي، ونسبه إلى شخص من نسج خياله.

(١)- المسعودي، المروج، ١/ ٢٦٠-٣٢٧، المسعودي، والتنبيه، ص ٨٥-١١١

(٢)- المروج، ٢/ ٥-٣١، التنبيه، ص ١١١-١٢٢.

(٣)- المروج، ٢/ ٣٢-٦٤، التنبيه، ص ١٢٢-١٩٦.

(٤)- المسعودي، أخبار الزمان (المطبوع)، ص ٩٣.

(٥)- المسعودي، المسعودي، أخبار الزمان (المطبوع)، ص ٩٦.

(٦)- المسعودي، أخبار الزمان (المطبوع)، ص ٩٩.

(٧)- المسعودي، أخبار الزمان (المطبوع)، ص ١٠٠.

(٨)- المسعودي، أخبار الزمان (المطبوع)، انظر مثلاً، ص ٢٨، ٣٠-٣١-٣٣-٣٤.

(٩)- المسعودي، أخبار الزمان (المطبوع)، مثلاً في افتتاح الكتاب قال: "قال الشيخ أبو الحسن، مع أن لفظة (الشيخ) لم ترد على لسان المسعودي في مثل هذا المقام، انظر، ص ٢٣، ولفظة أخرى مشابهة وهي "قال المسعودي رحمه الله، ص ٣٩، ولم يعرف أن المسعودي كتب مثل هذا، وإن ورد احتمال أن هذه الألفاظ من زيادات النساخ، إلا أنها لم ترد في كتب المسعودي الثابتة، وانظر قوله: "وباقى ذكرها عند ذكر مدائن مصر إن شاء الله تعالى، ص ٤٩ عبارة ركيكة، وتعبيره عن المساحة بالتسكير مثل قوله: "وجزائر الرائج كثيرة منها جزيرة تعرف بسديدة تكسيرها أربعمائة فرسخ، ص ٦٢، وغير هذا كثير.

وفي عام ١٣١٥هـ/ ١٨٩٨م ترجمه ترجمة علمية إلى اللغة الفرنسية أيضاً المستشرق كارادافو (Carra de Vaux)^(١) معتمداً على نسخة خطية محفوظة في المكتبة الأهلية بباريس.

وقد سلفت الإشارة إلى طبعة الصاوي له في سنة ١٣٥٧هـ/ ١٩٣٨م. وطبعته كذلك دار الأندلس في بيروت عدة مرات.

د- كتاب إثبات الوصية للإمام علي ابن أبي طالب (عليه السلام): (منسوب):

طبع هذا الكتاب ونسب إلى المسعودي، وهو يبتدئ بهذه العبارة:

"الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين ولا عدوان إلا على الظالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين، روى عن عالم أهل البيت، عليهم السلام.."^(٢)، وينتهي بقوله: "وللصاحب- عليه السلام- منذ ولد إلى هذا الوقت وهو شهر ربيع الأول سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة ست وسبعون سنة واحد عشر شهراً ونصف شهر، قام مع أبيه أبي محمد أربع سنين وثمانية أشهر، ومنها منفرداً بالإمامة (اثنتان وسبعون) سنة وشهوراً، وقد تركنا بياضاً لمن يأتي بعدنا والسلام"^(٣).

أما من حيث محتويات الكتاب فقد تناول فيه مؤلفه فكرة الوصية عند الشيعة والمتوارثة منذ عهد آدم، حيث قدر الله لكل نبي وصياً يأتي من بعده، كما تحدث عن الإمامة التي هي استمرار للنبوّة، وتحدث عن الأئمة وذكر أسماء الأوصياء من بعدهم، فالإطار العام لهذا الكتاب هو تواريخ الأنبياء وأوصيائهم، والأئمة وأوصيائهم، وما وقع في أيامهم من أحداث ومحن حتى عصر الإمام المهدي ونوابه^(٤).

وكما سلف وأن أشير من قبل إلى أن كلام جواد علي في بحثه عن موارد المسعودي^(٥)، وحمود في رسالته عن المسعودي^(٦) قد أثارا مسألة التشكيك في صحة نسبة الكتاب إلى المسعودي، وأوردا بعض الأدلة على ذلك، فيمكن إضافة ما يلي:

- عُثر في كتاب "مجموع السنة"^(٧) ضمن أحد مباحثه على تعليق لجامعه محمود الملاح- على كتاب إثبات الوصية، تناول فيه مقتطفات من بعض ما ورد في هذا الكتاب من آراء ومعتقدات

(١)- كراتشكوفسكي: تاريخ الأدب الجغرافي، ١/ ١٨٦.

(٢)- المسعودي: إثبات الوصية، المطبعة الحيدرية، النجف، ١٩٥٥م، ص ١.

(٣)- إثبات الوصية، ص ٢٢٦.

(٤)- حمود، هادي: منهج المسعودي، دار المورد، بغداد، دبت، ص ٦٥.

(٥)- حمود، منهج المسعودي، ص ١٥.

(٦)- حمود، منهج المسعودي، ص ٧١.

(٧)- يحتوي الجزء الأول من هذا الكتاب على عدد من الرسائل والبحوث لطائفة من العلماء، ولم يدون عليه مكان ولا سنة طبع.

شيعة تخالف الإسلام، وتنقض ما كان مجمعاً عليه سلف هذه الأمة، وقام بالرد عليها، وصرح في أثناء بحثه أن هذا الكتاب لابن مطهر^(١).

وأثبت محمود الملاح قوله قبل هذا "كنا علقنا على كتاب إثبات الوصية المنسوب إلى المسعودي، ونشرنا تعليقاتنا في جريدة السجل مزيفين نسبته"^(٢).

وسواء أثبتت نسبة هذا الكتاب لابن المطهر أم لم تثبت فإنه لا يمكن أن يكون من تأليف المسعودي لاختلاف أسلوبه وطريقته في عرضه عن أسلوب وعرض المسعودي.

• مرّ في أثناء الحديث عن كتاب مروج الذهب أن المسعودي حاول أن يضع حصانة على كتبه لئلا تسول لأحد نفسه فيحرف شيئاً من معانيها أو يزيل ركناً من مبانيها أو يطمس واضحة من معالمها أو يلبس شاهدة من تراجمها أو يغيرها أو يبدلها أو ينتخبها أو يختصرها أو ينسبها إلى غيره أو يضيفها إلى سواه، فتوصل إلى الله تعالى أن يعاجل من يفعل شيئاً من ذلك بعقوبة من عنده ويسلبه ما أعطاه^(٣). ووضع ذلك التخويف في أول الكتاب وفي آخره، ومن هنا فمن غير المعقول أن يترك المسعودي بياضاً في نهاية أحد كتبه ليكمّله من يأتي بعده، وهو الحريص كل الحرص على أن تبقى كتبه خالصة له كما رسمها وبالشكل الذي تركها عليه.

• الدعاء للخلفاء والأئمة بـ (عليه السلام) من الألفاظ المستخدمة لدى الشيعة بوضوح وكثرة ولا توجد في مصنفات المسعودي المطبوعة.

• ومهما يكن من أمر فإنه لم يتم الاعتماد على هذا الكتاب ولم يعد من ضمن مؤلفات المسعودي^(٤).

(١)- يسمى بهذا الاسم عدد من رجال الشيعة، لكن الشخص المذكور هنا قال عنه محمود الملاح ما نصه: "كنت أظن ابن مطهر على شيء من دقة النظر لما بلغني أنه كان يصارع ابن تيمية في ميدان المناظرة، فلما وقفت على طراز كتابه تبين لي أن بعض الحجا مقتطع من الحجارة".

ابن تيمية: مجموع السنة ١٩٥/١، ومن هذا النص وقف على أن ابن مطهر هذا كان معاصراً لابن تيمية (المتوفي سنة ٧٢٨هـ)، وهذه ترجمته: هو الحسن أو الحسين بن يوسف بن علي بن المطهر الحلي، من شيوخ الشيعة وأحد كبار علمائهم، ولد وسكن وتوفي في الحلة بالعراق سنة ٧٢٦هـ، له مصنفات كثيرة في الأصول وفقه الإمامة والنحو والمنطق بلغت مائة وعشرين كتاباً، منها كتاب في الإمامة رد عليه ابن تيمية.

انظر عنه: ابن حجر: الدرر الكامنة، ١٥٨/٢-١٥٩، وابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ٢٦٧/٣، وبن الوردي، عمر: تنمة المختصر في أخبار البشر (تاريخ ابن الوردي) تحقيق رفعت البدرائي، دار المعرفة، ط١، بيروت، ١٣٨٩هـ، ١٩٧٠م، ٣٩٨/٢.

(٢)- مجموع السنة، ١٩٤/١.

(٣)- المسعودي، المروج، ٣٠٢/٥.

(٤)- طبع في طهران، سنة ١٣٢٠هـ، (انظر بروكلمان: تاريخ الأدب العربي، ٦٠/٣)، كما طبع في النجف عدة مرات، أحدهما سنة ١٩٥٥م.

ثانياً - المفقود

١ - أخبار الزمان ومن أباده الحدثان من الأمم الماضية والأجيال الخالية والممالك الدائرة^(١):

يمثل هذا الكتاب في نظر المسعودي (الكتاب الأعظم)^(٢) بالنسبة لمؤلفاته الأخرى، إذ أنه يعده قمة إنتاجه بما أودع فيه من العلوم والفنون التي استطاع أن يلهم بها أثناء مرحلة تحصيله العلمي وخلال أسفاره ورحلاته.

وقد بالغ المسعودي في تقريظ هذا الكتاب والثناء عليه، وكان فخوراً به، يحيل إليه في كل مناسبة يعتمد فيها إلى إجمال موضوع أو اختصاره أو أشار إليه بفحوى من العبارات أو تلويح إليه بضرب من المقالات، في أي كتاب من كتبه، فيذكر أنه فصل فيه القول وبين، وبسط فيه وأسهب، فيمس الباحث عندئذ حيرة وألم بسبب ضياع ذلك السفر النفيس.

وهو أول كتاب ألفه المسعودي في سلسلته التاريخية التي كتبها^(٣) وسلفت الإشارة إليها، وهو أشملها على الإطلاق، بدليل أن المسعودي أشار إليه في مروج الذهب وحده مرات تنيف على الأربعين ومائة وفي التنبيه ست وعشرون مرة.

وقد بين المسعودي الموضوعات التي تناولها الكتاب بشكل عام، فقال: "قدمنا القول فيه هيئة الأرض ومدونها وعجائبها وبحارها وأغوارها وجبالها وأنهارها وبدائع معادنها وأصناف مناهلها وأخبار غياضها وجزائر البحار والبحيرات الصغار، وأخبار الأبنية المعظمة والمساكن المشرفة، وذكر شأن المبدأ وأصل النسل وتباين الأوطان، وما كان نهراً فصار بحراً، وما كان بحراً فصار برأ وما كان برأ فصار بحراً على مرور الأيام وكرور الدهور، وعلة ذلك وسببه الفلكي والطبيعي، وانقسام الأقاليم بخواص الكواكب ومعاطف الأوتاد ومقادير النواحي والآفاق، وتباين الناس في التاريخ القديم واختلافهم في بدئه وأوليته من الهند وأصناف الملحين وما ورد في ذلك من الشرعيين، وما نطقت به الكتب وورد على الربانيين، ثم أتبع ذلك بأخبار الملوك الغابرة والأمم الدائرة والقرون الخالية والطوائف البائدة على اختلاف أجناسهم وتغاير أنواعهم واختلاف أديانهم، وما مضى في أكناف الزمان من حكمهم ومقاتل فلاسفتهم وأخبار ملوكهم وأخبار القياصر إلى ما في تضاعيف ذلك من أخبار الأنبياء والرسل

(١) - دون المسعودي اسم الكتاب كاملاً وكما أشير إليه في مواضع من المروج، منها ٢٤١/١، ١٣٤/٢، ٥٧/٥، ٢٢٩، ٢٧٢.

(٢) - المسعودي، المروج، ١٠/١، ٤٩/٢.

(٣) - صرح المسعودي بذلك في مواضع كثيرة من المروج، منها ٣٦٤/٣، ٢٧٢/٥.

والأتقياء إلى أن أفضى الله بكرامته وشرف برسالاته محمداً نبيه صلى الله عليه وسلم: فذكرنا مولده ومنشأه ومبعثه وهجرته ومغازيه وسراياه إلى أوان وفاته، ثم اتصال الخلافة واتساق المملكة بزمان زمن، ومقاتل من ظهر من الطالبين إلى الوقت الذي شرعنا فيه تصنيف كتابنا هذا (المروج) من خلافة المتقي لله أمير المؤمنين وهي سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة^(١).

ويظهر أن المسعودي رتبته حسب موضوعاته التي عالجه فيها على ثلاثين فناً، ويتضح ذلك من قوله: "في كتاب أخبار الزمان في الفن الأول من جملة الثلاثين فناً"^(٢)، وقوله: "في كتابنا أخبار الزمان في الفن الثاني من جملة الثلاثين فناً"^(٣).

وكان من بحوث الفن الأول "أجناس السودان وأنواع مساكنهم ومواقعهم من الفلك ولأية علة تفلقت شعورهم واسودت ألوانهم وغير ذلك من أخبارهم وأخبار ملوكهم وعجائب سيرهم وتشعبهم في أنسابهم"^(٤).

أما الفن الثاني فيبدو أنه عالج فيه النظريات حول تكون البحار والأنهار ونشأتها والبحيرات، فذكر تنازع المتقدمين "من أوائل اليونانيين والحكماء المتقدمين في مبادئ كون البحار وعللها"^(٥)، و "ما أوردوه من البراهين في مساحة البحار ومقاديرها والمنفعة في ملوحة مائها واتصال بعضها ببعض وانفصالها، وعدم بيان الزيادة فيه والنقصان، ولأية علة كان الجزر والمد في البحر الحبشي أظهر دون سائر البحار"^(٦)، وتنازع الناس ممن سلف وخلف في النيل وزيادته - على الشرح والإيضاح - "وغيره من الأنهار الكبار والبار والبحيرات الصغار"^(٧).

وعالج في الفن الرابع عشر من ضمن مباحثه آراء المجوس حول خلق آدم عليه السلام وتزاوج ذريته^(٨).

وخصص الفن الثلاثين للحديث عن خلفاء بني العباس ومن ظهر في أيامهم من الطالبين^(٩)، وبعد ذلك لا توجد عند المسعودي أي إشارة تهدي إلى موضوعات سائر فنون الكتاب، على الرغم من ترديد اسمه وكثرة الإحالات عليه.

(١) - المسعودي، المروج ٩/١-١٠.

(٢) - المسعودي، المروج، ١٢٩/٢.

(٣) - المسعودي، المروج، ١٤٨/١.

(٤) - المسعودي، المروج، ١٢٩/٢.

(٥) - المسعودي، المروج، ١٤٨/١.

(٦) - المسعودي، المروج، ١٥١/١.

(٧) - المسعودي، المروج، ٦٧/٢.

(٨) - المسعودي، المروج، ٣٨/١.

(٩) - المسعودي، المروج، ٣٢٢/٤.

وهذا الكتاب بحكم المفقود في العصر الحاضر، وما قيل من أنه يوجد منه الجزء الأول أو بعض الأجزاء الأخرى فادعاء لم يثبت عند التحقيق، ويبدو أنه لكبر حجمه وتعدد أجزائه^(١)، كان قليل التداول بين الناس، حتى إن السخاوي حين ذكره ثم ذكر المروج بعده قال: "إن الأخير هو المتداول"^(٢)، لكنه كان موجوداً على أية حال ولم يكن مجهولاً بالنسبة للأجيال المتقدمة من المؤرخين، خلافاً لما يدعيه ولتر فيشل (Walter Fischel) من أنه هو والكتاب الأوسط ظلا غير معروفين لابن خلدون وغيره من المؤرخين.

ومن حسن الحظ أنه عثر على كتابين يحتويان على نقول من كتاب أخبار الزمان، أحدهما مخطوط^(٣) وهو كتاب بدائع الزهور في وقائع الدهور، لعبد الرحمن السيوطي، والآخر المطبوع، وهو كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، للمقريزي.

وسيتم إثباتها بنماذج قصيرة من تلك النقول للدلالة على ذلك الأثر التاريخي العظيم ولبيان طريقة المسعودي فيه:

قال مؤلف بدائع الزهور عن سبب تسمية مصر بهذا الاسم: "قال أبو الحسن المسعودي في كتاب أخبار الزمان: إن مصر كان اسمها في قديم الزمان درسان أي باب الجنان، وسميت بعد الطوفان جزلة، وقد اختلف أهل العلم في المعنى الذي سميت من أجله بمصر، فقال قوم سميت بمصرام بن مصريم بن بيسر بن حام بن نوح عليه السلام، وهو اسم أعجمي لا يتصرف فلما كثر استعمالها أسقطوا منها الميم للتخفيف فسميت مصر والله أعلم بذلك"^(٤).

ونقل عن المسعودي من كتاب أخبار الزمان نفسه معلومات تتصل بنهر النيل، من حيث زيادته ونقصانه^(٥).

وتقل عنه أيضاً حديثاً عن ملوك الأقباط وابتداء دولتهم، فقال: "قال المسعودي لما هلكت دلوكة انتشأ من بعدها شخص من أولاد أشراف القبط يقال له دركون بن بكوطبس، فوقع الاتفاق من الجند على توليته فولوه عليهم، فأقام في الملك مدة طويلة ثم هلك، فتولى من بعده شخص يقال له مريнос

(١)- يقع الكتاب في عشرين جزءاً، انظر: فازلييف: العرب والروم، ص ٢٨٤، أو في أكثر من عشرين مجلداً. انظر: بامات، حيدر: مجالي الإسلام، نقله إلى العربية عادل زعيتر، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٥٦م، ص ١٦٢، أو في ثلاثين جزءاً، انظر كراتشكوفسكي: تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ١٧٨/١. و د. زيادة، نقولا: الجغرافية والرحلات عند العرب، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨٠م، ص ١٥٣، و د. مصطفى: التاريخ العربي، ٤٠٣/١.

(٢)- السخاوي، الإعلان بالتوبيخ، ص ١٤٥.

(٣)- محفوظ في المكتبة الأهلية بباريس، تحت الرقم ١٥٥٢.

(٤)- ابن أبياس، بدائع الزهور، ورقة ٤١ ب.

(٥)- انظر: المروج، حيث يحيل المسعودي إلى أخبار الزمان، ٦٧/٢، وابن أبياس، بدائع الزهور، ورقة ٢٠ ب.

فأقام في الملك مدة، وفي أيام قدم بخت نصر إلى مصر وجرى منه ما جرى من خراب مدنها وقراها ونهب أموالها وقتل رجالها وسبي نساؤها.. واستمر القبط على ملك مصر يتولونه واحداً بعد واحد إلى آخر من تولى منهم وهو المقوقس..^(١).

أما الكتاب الثاني وهو الخطط المقرية^(٢)، ففيه نقول واقتباسات كثيرة من المسعودي من كتبه الثلاثة، أخبار الزمان، ومروج الذهب، والتنبية والإشراف، وهو يصرح أحياناً باسم الكتاب الذي ينقل منه، وأحياناً أخرى لا يصرح به، بل يكتفي بقوله: "قال المسعودي"، وقد صرح بنقله من كتاب أخبار الزمان أربع مرات، وسيورد هنا بعض تلك النقول لإلقاء المزيد من الأضواء على ذلك الكتاب، قال المقريري: "وذكر أبو الحسن المسعودي كتاب أخبار الزمان أن بني آدم لما تحاسدوا وبغى عليهم بنو قابيل بن آدم ركب بقراوس الجبار بن مصرم بن مركابيل بن دواييل بن عرياب بن آدم عليه السلام في نيف وسبعين ركباً من بني عرياب جبابرة كلهم يطلبون موضعاً من الأرض يقطنون فيه فراراً من بني أبيهم، فلم يزلوا يمشون حتى وصلوا إلى النيل، فأطالوا المشي عليه، فلما رأوا سعة البلد فيه وحسنه أعجبهم، وقالوا هذه بلد زرع وعمارة، فاقطنوا فيه واستوطنوا وبنوا فيه الأبنية المحكمة والصنائع العجيبة، وبنى نقراوس (هكذا) مصر وسماها باسم أبيه مصرم، وكان نقراوس جباراً له قوة، كان مع ذلك عالماً، وله انتمر الجن في هلاك بني أبيه، ولم يزل مطاعاً.."^(٣)

وفي أثناء حديث المقريري عن مدائن أرض مصر، نقل عن المسعودي النص الآتي: "ذكر أبو الحسن المسعودي في كتاب أخبار الزمان أن الكوكبة وهي أمة من اهل أيلة ملكوا الأرض وقسموا الصعيد على ثمانين كورة، وحملوه أربعة أقسام، وكان عدد مدن مصر الداخلة في كورها ثلاثين مدينة فيها جميع العجائب، والكور مثل أخميم وقط وقوص والفيوم، ويقال: إن مصر بن بيصر قسم الأرض بين أولاده، فأعطى ولده أشمون من حد بلده إلى رأس البحر إلى دمياط، وأعطى ولده أنصنا من أنصنا إلى الجنادل، وأعطى لولده صا من صا أسفل الأرض إلى الإسكندرية، وأعطى ولده منوف وسط الأرض السفلى ومنف حولها، وأعطى لولده فقط غربي الصعيد إلى الجنادل، وأعطى لولده أتريب

(١) ابن اياس، بدائع الزهور، ورقة ١٥٨، وانظر: المروج، ٩٣/٢.

(٢) المقريري هنا ينقل من مروج الذهب النسخة الأخيرة المؤلفة سنة ٣٤٥هـ/ ٩٥٦م، والمفقودة الآن، انظر: المقريري، الخطط، ٦٠/١، وانظر أيضاً، ٢٦، ٣٨، ٤١، ٥٠، ٥٣، ٦٦، ٦٧، ٧٢، ١٤٨، ١٥٠، ١٥٥، ١٥٩، ١٧١، ١٨٥، ١٨٧، ١٩٧، ٢٤٠، ٢٤٧، ٤٩٤.

(٣) المسعودي، مروج الذهب، ١٨/١-١٩، وانظر: أخبار الزمان (المطبوع والمنسوب للمسعودي)، ص ١٣٦.

شرقي الأرض إلى البرية، برية فاران، وأعطى لبناته الثلاثة (هكذا) وهن الفرما وسريام وبدورة بقاعاً من أرض مصر محددة فيما بين إخوتهن^(١).

ومما نقله عنه من كتاب أخبار الزمان أيضاً قوله: "إن أول من تحقق بالكهانة وغير الدين وعبد الكواكب، وتزعم القبط أن الكواكب كانت تخاطبه، وأن له عجائب كثيرة، منها أنه استتر عن الناس عدة سنين من ملكه، وكان يظهر لهم وقتاً بعد وقت مرة في كل سنة، وهو حلول الشمس في برج الحمل، ويدخل الناس إليه فيخاطبهم وهم يرونه فيأمرهم وينهاهم ويحذرهم مخالفة أمره، ثم بنيت له قبة من فضة مطلية بذهب فصار يجلس في أعلاها، وله وجه عظيم، فيخاطبهم"^(٢).

وعند حديث المقرئيين مدينة الإسكندرية، قال: "ذكر أبو الحسن المسعودي في كتاب أخبار الزمان أن الكوكبة وهي أمة في غابر الدهر من أهل أيلة ملكوا الأرض وقسموها على ثلاثين كورة وأربعة أقسام، كل قسم عمل، وبنوا في كل عمل مدينة بها ملك يجلس على منبر من ذهب، وله بربر وهي بيت الحكمة، وله هيكل على اسم كوكب، فيه أصنام من ذهب، وجعلوا الإسكندرية واسمها رقودة خمس عشرة كورة، وجعلوا فيها كبار الكهنة، ونصبوا في هياكلها من أصناف الذهب أكثر مما نصبوا في غيرها، فكان ما بها أكثر من مائتا (هكذا) صنم من ذهب"^(٣).

ومن خلال هذه النصوص المنقولة نصاً عن كتاب أخبار الزمان للمسعودي ويلاحظ وجود تشابه طفيف بينها وبين بعض النصوص الموجودة في كتاب أخبار الزمان المطبوع والمنسوب للمسعودي، وأحياناً نلاحظ تطابقاً لفظياً في بعض العبارات، ولكن هذا لا يقوم وحده دليلاً كافياً على نسبة هذا الكتاب المطبوع للمسعودي بجانب الأدلة الأخرى القوية التي تنفي ذلك.

ويمكن أن يعزى ذلك التشابه إلى أن المسعودي كان أحد المصادر التي نقل منها مؤلف الكتاب المطبوع، أو أنه هو والمسعودي نقلًا من مصدر واحد والله تعالى أعلم.

أما من حيث تأليف المسعودي لكتاب أخبار الزمان فقد وصل فيه -كما صرح بذلك- إلى سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة من الهجرة، وعندما انتهى من تصنيفه إياه^(٤)، وهذه السنة نفسها هي التي وقف عندها في كتابه الأوسط الذي سيأتي الحديث عنه بعد هذا الكتاب، وهي نفسها التي شرع فيها بتصنيف كتاب المروج.

(١)- المقرئيين، الخطط ١٢٩/١.

(٢)- المقرئيين، الخطط، ١٣٧/١، وانظر: أخبار الزمان (المطبوع)، ص ١٣١-١٣٢.

(٣)- المقرئيين، الخطط، ١٤٤/١.

(٤)- المسعودي، المروج، ١٠/١.

ومن هنا يظهر أن المسعودي كان قد بدأ في تصنيف كتاب أخبار الزمان قبل سنة ٣٣٢هـ/٩٤٣م، ثم أتبعه بتأليف كتاب الأوسط، حيث وقف به عند هذه السنة نفسها^(١)، ثم رأى أن يزيد في كتب أخبار الزمان ويمد أحداثه إلى هذه السنة أيضاً، لأنه ليس من المعقول أن يكون المسعودي قد أنجز تأليف هذه الكتب الضخمة في سنة واحدة فحسب.

أما ما ذكره بروكلمان^(٢)، وكراتشكوفسكي^(٣)، من أن المسعودي قد بدأ في تصنيفه سنة ٣٣٢هـ/٩٤٣م فقول لا يستند على دليل، بل الثابت عند المسعودي نفسه أنه أنهى تصنيفه في هذه السنة كما هو واضح من الإشارة السالفة.

ومجمل القول أن سنة ٣٣٢هـ/٩٤٣م كانت سنة مشهودة بالنسبة لتأليف المسعودي التاريخي فعندها وقف في أحداث كتابيه الكبيرين أخبار الزمان والأوسط، وفيها ألف كتاب المروج كاملاً، ثم زاده فيما بعد ذلك.

ومن هنا يبدو أن الحقبة الزمنية التي قضاها المسعودي في تأليف كتبه التاريخية كانت قصيرة إلى حد ما، قياساً على تأليفه لكتاب المروج وإنجازه إياه في سنة واحدة، ولا يعلم بالتحديد متى شرع المسعودي في تصنيف كتابي أخبار الزمان والأوسط إلا أنه يرجح أن يكون قد بدأ في ذلك بعد استقراره بمصر.

٢ - الكتاب الأوسط:

يعد الكتاب الثاني في سلسلة المسعودي التاريخية، وهو موسوعة في التاريخ العام يبدأ من بدء الخليقة وذرى البرية وينتهي إلى الوقت الذي عنده انتهى المسعودي في كتابه الأعظم^(٤)، وهو سنة ٣٣٢هـ/٩٤٣م.

وهو من حيث مادته وحجمه كتاب مجمل وسط بين أخبار الزمان المفصل الواسع وبين المروج المختصر الحاوي للجوهر وصلب الحوادث التاريخية^(٥)، ويظهر أن المسعودي أضاف فيه أموراً جديدة

(١)- المسعودي، المروج، ١٠/١، ٢٣/٥.

(٢)- تاريخ الأدب العربي، ٥٧/٣.

(٣)- تاريخ الأدب الجغرافي، ١٧٨/١.

(٤)- المسعودي، المروج ١٠/١.

(٥)- المسعودي، المروج، ٥/٢٠٤.

لم ترد في الكتاب الأول، إما بسبب عدم وقوفه عليها أو أنها لم تقع إلا بعد انتهاء تأليف ذلك الكتاب^(١)، أو أنه أراد أن يميزه بوضع معلومات جديدة فيها لم يسجلها هناك.

وقد جاءت الإشارة إلى هذا الكتاب في المروج مرات كثيرة جداً، تزيد عن مائة وعشرين مرة، أحياناً مقروناً مع كتاب أخبار الزمان وأحياناً على انفراد، ويبدو أن المسعودي قد سار فيه على الخطه نفسها التي سار عليها في المروج من حيث التبويب والتقسيم.

ويحتوي الكتاب على معلومات عن الممالك والأمم القديمة^(٢)، وعلى معلومات مفصلة عن الفتوحات الإسلامية^(٣)، وعن المذاهب القديمة^(٤)، ومعتقدات الفرق المختلفة^(٥)، ويقدم عرضاً لتراجم بعض الشخصيات والأعلام ممن اشتهر من الفقهاء والمحدثين وغيرهم من أهل الرأي والأدب^(٦).

٣- فنون المعارف وما جرى في الدهور السوالف^(٧):

يحتل هذا الكتاب المرتبة الرابعة، ويأتي بعد المروج في حلقة السلسلة التاريخية التي ألفها المسعودي تباعاً، ويمكن الوقوف على بعض البحوث التي تناولها من خلال الإحالات إليه الواردة في كتاب التنبيه والإشراف، فنجد فيه فصلاً عن "أخبار مصر وعجائبها وما خصت به من الفضائل التي لا يشرك أهلها فيها غيرهم من أهل البلدان"^(٨).

وحديثاً عن سائر كلام الأمم في قسمة المعمور من الأرض وتسميته^(٩)، وباباً عن اليمانية والنزارية وما جرى بينهما من كلام وحجاج وافتخار وخطوب^(١٠)، ويتحدث المسعودي بإسهاب عما دونه في هذا الكتاب حول أخبار اليونانيين وأنسابهم وآرائهم وديارهم^(١١)، وكيفية غلبة الروم عليهم، وتنازع الناس في الفلاسفة كفيثاغورس وسقراط وأفلاطون وأرسطاطاليس الروم هم أم يونانيون، وبيان المسعودي رأيه في ذلك إلى جانب الأقوال الأخرى، وأخبار الاسكندر وسيره في مشارق الأرض ومغاربها، واختلاف الناس فيه، وأخبار خلفائه الذين جاؤوا من بعده أخبار الفلاسفة وآرائهم، ويبدو أن المسعودي في دراسته

(١)- علي: موارد تاريخ المسعودي، ص ١٠.

(٢)- المسعودي، المروج، ٩٤/١، ١٧٣، ٢٠٨، ٢٥٣، ٢٥٩، ٣١٩، ٣٢٠، وغيرها.

(٣)- المسعودي، المروج، ٧٤/٣، ٩٢، ١٢٤ وغيرها.

(٤)- المسعودي، المروج، ١١٠/١.

(٥)- المسعودي، المروج، ٣٤٥/٣.

(٦)- المسعودي، المروج، ٣١٤/٣، ٤٩/٤، ١٩٥، ٢٩٦، ٣٤٤، ٣٦٣، ١٧٤/٥.

(٧)- المسعودي، التنبيه، ص ٢.

(٨)- المسعودي، التنبيه، ص ٢٠.

(٩)- المسعودي، التنبيه، ص ٣١.

(١٠)- المسعودي، التنبيه، ص ٨٣.

(١١)- المسعودي، التنبيه، ص ١١٥-١٢١، ١٨٢، ٢٠٢.

لليونانيين والبيزنطيين وثقافتهم في هذا الكتاب^(١) يملأ الفجوة الواسعة في حقل هذه الدراسات. وذكر فيه أيضاً الفلسفة وحدودها، والأخبار عن كمية أجزائها^(٢)، وأتى فيه على أخبار رسل النبي صلى الله عليه وسلم ومبعوثيه إلى الملوك والأمراء "مع من أرسلوا إليه، سائر الملوك والأمم"^(٣). ولا بد أن يكون قد أفرد فيه فصلاً للحديث عن سيرة النبي صلى الله عليه وسلم، لأنه تحدث فيه عن مغازيه وسراياه مع الشرح والإيضاح^(٤)، وكذلك تحدث عن الأمويين ومن كان بعدهم^(٥)، وما كان ببلاد أفريقية من الحروب والوقائع والزخوف منذ افتتحت إلى سنة ٣٤٥هـ/ ٩٥٦م^(٦).

٤ - ذخائر العلوم وما كان في سالف الدهور^(٧):

هذا هو الكتاب الخامس في المجموعة التاريخية المسعودية، وهو يشترك معها في الإطار العام من حيث المعلومات والموضوعات^(٨)، لكن المسعودي نبه إليه بشكل خاص حينما كان يتحدث عن ملوك الطوائف من ملوك الفرس^(٩) فلا بد والحالة هكذا أن يكون مشتملاً على معلومات واسعة عنهم، وكذلك فيه تفصيل عن البيزنطيين: أديانهم، كنائسهم، أديرتهم، أبنيتهم، فترات حكمهم، والصراع بينهم وبين الفرس من جهة وبينهم وبين المسلمين من جهة أخرى^(١٠).

(١) - المسعودي، التنبيه، ص ١٤٤، ١٤٧، ١٥١، ١٥٣، ١٥٨، ١٦٠، ١٦٦، ١٧١، ١٧٤، ١٧٦، ١٨٠، ١٩٥، ٢١٣.

(٢) - المسعودي، التنبيه، ص ١٢١.

(٣) - المسعودي، التنبيه، ص ١٦١.

(٤) - المسعودي، التنبيه، ص ٢٧٩.

(٥) - المسعودي، التنبيه، ص ٣٢٩.

(٦) - المسعودي، التنبيه، ص ٣٣٣-٣٣٤.

(٧) - المسعودي، التنبيه، ص ٢.

(٨) - المسعودي، التنبيه، ص ٤٠٠.

(٩) - المسعودي، التنبيه، ص ٩٧.

(١٠) - المسعودي، التنبيه، ص ١٦٧.

٥ - الاستذكار لما جرى في سالف الأعصار (١):

ألف المسعودي هذا الكتاب قبل كتاب التنبيه مباشرة^(٢)، وهو السادس ضمن السلسلة التاريخية، ويبدو أن المسعودي كان يوليه أهمية خاصة بحكم إشاراته المتعددة إليه، وهو صورة موسعة من كتاب التنبيه لقول المسعودي بتأكيد وتكرار: "إنه تال له ومبني عليه"^(٣).

ومن أبواب هذا الكتاب التي عولجت فيه بصورة متميزة باب عنوانه المسعودي، بقوله: "باب ذكر السواد ومساحته ووصف طسائجه وقسمته، والعراق وحدوده من الأرض، ووصف نهاياته في الطول والعرض"^(٤)، وبين المسعودي في هذا الباب لماذا انحرف نهر دجلة وخرج عن عموده^(٥).

ومن أبوابه أيضاً باب الأمم السبع القديمة، وبين المسعودي فيه كيفية اجتماع حكماء هذه الأمم في سالف الدهر، حيث اجتمع في كل مجمع منها سبعة حكماء في أعصار مختلفة وأوقات متباعدة عند حوادث وأحوال أوجبت اجتماعهم^(٦)، وتناول فيه أيضاً تاريخ أباطرة بيزنطة أو أخبار ملوك الروم^(٧)، وكان من بحوث هذا الباب بيان ما جرى لبعض هؤلاء الملوك مع من ظهر في أيامهم من الفلاسفة والعلماء^(٨).

وتحدث المسعودي في هذا الكتاب عن التاريخ الإسلامي بدءاً من مبعث الرسول صلى الله عليه وسلم^(٩)، وغزواته وسراياه^(١٠)، ومروراً بتاريخ الخلفاء الراشدين^(١١)، والأمويين^(١٢)، وانتهاءً بالتاريخ العباسي في مرحلة ضعفه وتفككه^(١٣).

وإلى هنا تنتهي سلسلة كتب التاريخ السبعة التي كان المسعودي حريصاً على الربط بينها والتذكير بها، إذا أضيف إليها كتابا مروج الذهب والتنبيه والإشراف الموجودين.

(١) - المسعودي، التنبيه، ص ٢.

(٢) - المسعودي، التنبيه، ص ٥.

(٣) - المسعودي، التنبيه، ص ٨٤، ٩٧.

(٤) - المسعودي، التنبيه، ص ١٠٢.

(٥) - المسعودي، التنبيه، ص ٥٣-٥٤.

(٦) - المسعودي، التنبيه، ص ٨٤.

(٧) - المسعودي، التنبيه، ص ١٣٤، ١٣٧، ١٤٤، ١٧٦، ١٩٥، ٢٧٩.

(٨) - المسعودي، التنبيه، ص ١٢٨.

(٩) - المسعودي، التنبيه، ص ٢٢٨.

(١٠) - المسعودي، التنبيه، ص ٢٧١، ٢٧٢، ٢٧٩.

(١١) - المسعودي، التنبيه، ص ٢٨٨، ٣٠١.

(١٢) - المسعودي، التنبيه، ص ٣٢٩.

(١٣) - المسعودي، التنبيه، ص ٤٠١.

٦- نظم الجواهر في تدبير الممالك والعساكر:

جرى التعرف على هذا الكتاب من خلال إشارة واحدة، وعلى الرغم من أن المسعودي لم يعدده ضمن سلسلة كتبه التاريخية المعتبرة^(١)، إلا أنه يبدو أن مادته تحمل صبغة تاريخية قد لا تختلف كثيراً عن كتبه التاريخية الأخرى^(٢).

٧- الأخبار المسعوديات:

قال المسعودي: "هي أخبار نسبت إلينا"^(٣) وهي تحتوي على معلومات تاريخية عن أخبار العرب قبل الإسلام^(٤)، وعن احكام الأندلس من المسلمين^(٥).

٨- وصل المجالس بجوامع الأخبار ومختلط الآثار:

أيام كان المسعودي يؤلف كتابه مروج الذهب ومعادن الجوهر، كان يقول: "أرجو من الله تعالى أن يفسح لنا في البقاء ويمد لنا في العمر ويسعدنا بطول الأيام فنعقب تأليف هذا الكتاب بكتاب آخر نضمنه فنوناً من الاخبار وأنواعاً من ظرائف الآثار، على غير نظم من التأليف ولا ترتيب من التصنيف، على حسب ما يسنح من فوائد الأخبار ويوجد من نواذر الآثار، ونترجمه بكتاب وصل المجالس بجوامع الأخبار ومختلط الآثار، تالياً لما سلف من كتبنا ولاحقاً بما تقدم من تصنيفنا"^(٦).

ومع تكرار الوعود من المسعودي والثناء العاطر المسبغ على هذا الكتاب قبل الشروع في تأليفه، وحين تيسر فيما بعد لم يبلغ ما كان متوقفاً أن يحوزه حتى من رضا المسعودي نفسه، وذلك حين أشار إليه في كتاب التنبيه إشارة عابرة لا توحى بالرضا والقبول^(٧)، ويبدو أنه ضمّنه معلومات تاريخية

(١)- المسعودي، التنبيه، ص ٢.

(٢)- المسعودي، التنبيه، ص ٤٠٠ - ٤٠١.

(٣)- وليس معنى هذا أنها منحولة على المسعودي، بل المعنى أنه سمي هو كتابه هذا الأخبار، فقال الناس الأخبار المسعوديات.

(٤)- المسعودي، التنبيه، ص ٢٥٩.

(٥)- المسعودي، التنبيه، ص ٣٣٣.

(٦)- المسعودي، المروج، ٢/ ٢٧٣ - ٢٧٤.

(٧)- المسعودي، التنبيه، ص ٣٣٣.

متفرقة^(١)، وإن كان هناك إشارات موجزة إلى بعض مباحثه التي شملها، مثل احتوائه على تاريخ الأندلس منذ افتتاحها وحتى عصر المسعودي، وذكر ولايتها وحروبهم مع الأمم المجاورة^(٢).

٩- تقلب الدول وتغير الآراء والملل:

وهو من الكتب ذات الصبغة التاريخية، وقد جاءت الإشارة الوحيدة إليه في كتاب التنبيه تؤكد احتواءه على معلومات تاريخية عن الحروب التي جرت بين الأغالبة والفاطميين في شمال إفريقيا، وصدام هؤلاء الأخيرين مع الثائر الأباضي أبي يزيد البربري الزناتي^(٣).

١٠- راحة الأواح:

هذا الكتاب تاريخي أيضاً، وهو حسب قول المسعودي يبحث في أخبار سير ملوك الأمم، وأخبار مقاتلهم، ومنها أخبار البخت نصر^(٤)، وسيره نحو المغرب^(٥).

١١- كتاب المبتدأ:

يبدو أن المسعودي ألف هذا الكتاب لبحث وتدوين مبدأ الخلق وتاريخ الأنبياء عليهم السلام^(٦)، ومن الجائز أن يكون قد جعله على طراز كتاب وهب بن منبه وأمثاله من الكتب التي تبحث في الإسرائيليات^(٧).

هذا وقد ألف المسعودي كتباً كثيرة تبحث في مجالات أخرى غير التاريخ وطرق موضوعات متفرقة في الأديان والعقائد والإمامة والرحلات والفلسفة والاجتماع وغيرها، ويمكن إيجازها حسب إرشادات المسعودي إليها في كتابي المروج والتنبيه على النحو التالي:

(١)- المسعودي، المروج، ٨٥/٣، ٢٠٤.

(٢)- المسعودي، التنبيه، ص ٣٣٣.

(٣)- المسعودي، التنبيه، ص ٣٣٤.

(٤)- بختنصر هو ابن الملك نابو بولصر ملك الكلدانيين في بابل المتوفي سنة ٦٠٧ ق.م، تولى بختنصر الملك بعد أبيه، ثم غزا بيت المقدس وهاجم الإسرائيليين عدة مرات فقتل منهم وسبى، وتشتتوا في البلاد، وحارب الفينيقيين في سوريا، والفرعنة في مصر، اختل عقله في آخر أيامه ثم شفي ومات سنة ٥٥١ ق.م، وقد تحامل كارادفو (Carra de Vaux) وهو المحرر لمادة (بختنصر) في ادفو: الترجمة العربية، دائرة المعارف الإسلامية، انظر: ٤٢٩/٣-٤٣٠)، تحامل على المؤرخين المسلمين، وقال: إنهم شوهوا كثيراً قصة البختنصر، وجعل قصته كما وردت في الكتاب المقدس عندهم مقياساً لذلك. انظر عن البختنصر: محمد فريد وجدي: دائرة معارف القرن العشرين، دار المعرفة، ط ٣، بيروت، ١٩٧١م، ج ٢ ص ٥٠-٥١، وانظر: المروج ٦٨/١، ٢٦٩.

(٥)- المسعودي، المروج، ج ٢ ص ٩٤.

(٦)- المسعودي، المروج، ج ١ ص ٥٧.

(٧)- علي: موارد، ص ١٨.

١٢- المقالات في أصول الديانات:

كان المسعودي قد استهل حياته العلمية في تصنيف الكتب التي تبحث في ضروب المقالات وأنواع الديانات قبل أن يشرع في تأليف الكتب التاريخية، وكان من أوائل كتبه في هذا الصنف كتاب المقالات في أصول الديانات، وهو من أعظم مؤلفات المسعودي في العقائد والأديان^(١)، ويمكن تقدير مدى أهميته بمعرفة كثرة إشارات المسعودي إليه.

والظاهر أنه يبحث في المذاهب التي تنتمي إلى الإسلام مثل المعتزلة^(٢)، والخوارج^(٣)، والشيعية^(٤)، وفي الأديان والمذاهب غير الإسلامية، كاليهودية^(٥)، والنصرانية^(٦)، والثنوية، والديسانية والصابئة، والمجوس^(٧)، والخرمية^(٨).

كما تناول بحث مسائل مثل مسألة تصرف المؤمنين مع الفاسقين^(٩)، وتنازع الناس في الأنساب والفضل بها^(١٠)، وتنازع الناس في أيمان عبد المطلب^(١١) وما قيل عن الجن والشياطين، واختلاف أقوال الفرق في التحكيم والحكمين^(١٢).

وقد ألمح المسعودي إلى بعض الرسائل الفلسفية والمذهبية التي عالجها فيه مع كتاب آخر له هو كتاب خزائن الدين وسر العاملين بقوله: "ذكرنا أقاويل الأمم في العوالم الأربعة عالم الربوبية وعالم العقل وعالم النفس وعالم الطبيعة، ومراتب الروحانية والجواهر العلوية والأجسام السماوية وسائر الأوساط، والفرق بين النار والنور ومراتب الأنوار، وما قاله كل فريق منهم في ذلك، من الهند وقدماء الفلكيين وأصحاب الاثنين ومن وافقهم من أصحاب التأويل في هذا الوقت، والحنفاء والكلدانيين وهم البابليون، والشمونية وهم صابئة الصين وغيرهم، وعوام اليونانيين، وصائبة المصريين الذين بقيتهم في هذا الوقت صابئوا الحرانيين، وقولهم بنبو آغاديمون وهرمس وأميروس وأراطس وأريباس وأراني الأول

(١)- حمود: منهج المسعودي، ص ٦٩.

(٢)- المسعودي، المروج، ٦٠/٤-١٥٨.

(٣)- المسعودي، المروج، ٣٤٦/٣.

(٤)- ذكر المسعودي من ضمن أبوابه (باب تفرق الشيعة ومذاهبهم). أنظر: المسعودي، المروج، ٨٢/٤، ٣٢٢، ٣٥٠، والتنبية، ص ٣٩٧.

(٥)- المسعودي، المروج، ج ٢ ص ٨٢-٨٣.

(٦)- المسعودي، التنبية، ص ١٥٤.

(٧)- المسعودي، المروج، ج ٢ ص ٨٣.

(٨)- المسعودي، المروج، ج ٤ ص ١٤٤، المسعودي، التنبية، ص ٣٥٣.

(٩)- المسعودي، المروج، ٧٢/٢.

(١٠)- المسعودي، المروج، ١٧١/٢.

(١١)- المسعودي، المروج، ٢٥٩/٢.

(١٢)- المسعودي، المروج، ٢٩٤.

والثاني وغيرهم ، وما جرى بين فرفيوس السوري صاحب كتاب ايساغوجي في المخل إلى كتاب أرسطاطاليس في المنطق، وكان نصرانياً ينصر مذهب صابئة اليونانيين مخفياً لذلك وبين أتابو الكاهن المصري، وكان ينصر الفلسفة الأولى التي كان عليها فيثاغورس وثاليس الملطي وغيرهما، وهي مذهب صابئة المصريين من المسائل والجوابات في العلوم الإلهية وذلك في رسائل بينهم معروفة عند من عني بعلوم الأوائل وما كانوا عليه من الآراء والنحل"^(١).

ويبدو هذا الكتاب في صيغته جديلاً أي أنه كتاب بحث ونظر وليس كتاب إيضاح وخبر.

١٣- خزائن الدين وسر العالمين:

يتفق هذا الكتاب مع كتاب المقالات في بعض موضوعاته^(٢)، وهو مخصص بصورة جوهرية لآراء الاعتقادية والدينية للمذاهب المختلفة، مثل إشارته بصورة مطولة إلى مذاهب الخرمية^(٣)، وإيضاحه " الفرق بين مذهب مزدق وماكان يذهب إليه في التأويل وما ذهب إليه ماني، والفرق بين ماني ومن تقدمه من أصحاب الاثنين كابن ديسان ومرقيون وغيرهما، وماذهبوا إليه جميعاً في الفاعلين. وأن أحدهما خير محمود مرغوب، والآخر شرير مذموم مرهوب منه، والفرق بين هؤلاء جميعاً وما يذهب إليه الباطنية أصحاب التأويل"^(٤).

١٤- الاسترجاع في الكلام:

أودع المسعودي هذا الكتاب دحضاً لبعض المزاعم الفاسدة، مثل اعتقادات الزرداشتية، وآراء المانوية الملحدة حول مسائل النور والظلمة^(٥).

١٥- الإبانة عن أصول الديانة:

يبدو ان المسعودي أودع هذا الكتاب آراءه الخاصة فيما يتعلق بالفرق والمذاهب المختلفة مثل إيضاحه الفرق بين المعتزلة وأهل الإمامة، وما بنا به كل فريق منهم عن الآخر^(٦)، كما أنه خصص

(١)- المسعودي، التنبيه، ص ١٦١- ١٦٢.

(٢)- المسعودي، التنبيه، ص ١٦١- ١٦٢.

(٣)- المسعودي، التنبيه، ص ٣٩٥- ٣٩٦.

(٤)- المسعودي، التنبيه، ص ١٠١.

(٥)- المسعودي، المروج، ٣٠٤/٢.

(٦)- المسعودي، المروج، ٦٠/٤.

أجزاء منه لكسر آراء بعض الفرق الملحدة، مثل الصابئة والمانيّة والمرقيونية والديصانية وهدم مذاهبهم^(١).

واستقصى فيه الحديث عن مذاهب الخرمية والمزدكية والماهانية، وأصحاب الاثنين وجميع من قال بالقدم على تباينهم، وسائر من خالف التوحيد، وذكر ما بين تلك الفرق من تنازع واختلاف، وسجل مناظراته مع من شاهده منهم من ذلك الكتاب^(٢).

١٦- الانتصار:

هذا الكتاب مخصص بصورة رئيسة للحديث عن الخوارج وفرقهم واعتقاداتهم وفند فيه المسعودي آراءهم المتعلقة بالتحكيم وغيره من المسائل^(٣) وهو غير كتاب "الاستبصار" -الذي سيأتي الحديث عنه- حيث توهم جواد علي أنهما كتاب واحد، وأن الاختلاف في كتابة هذا اللفظ على الوجهين إنما هو من تحريف النساخ^(٤).

١٧- نظم الأدلة في أصول الملة:

يقدم لنا المسعودي وصفاً مفصلاً لمحتوياته التي تدرج تحت ما يسمى بعلم أصول الفقه، فقد اشتمل على "أصول الفتوى وقوانين الأحكام كتيقن القياس والاجتهاد في الأحكام ووقع الرأي والاستحسان ومعرفة الناسخ من المنسوخ، وكيفية الإجماع وماهيته، ومعرفة الخاص والعام، والأوامر والنواهي، والحظر والإباحة وما أتت به الأخبار من الاستقاضة والآحاد، وأفعال النبي صلى الله عليه وسلم وما ألحق بذلك من أصول الفتوى^(٥)، وأمثال ذلك.

١٨- نظم الأعلام في أصول الأحكام:

يبدو أن هذا الكتاب شبيه إلى حد كبير بكتاب نظم الأدلة فقد تم فيه بحث "تنازع المتفقهين في مقدمات أصول الدين والحوادث التي اختلفت فيها آراؤهم، وما يذهب إليه من القول الظاهر وإبطال القياس والرأي والاستحسان في الأحكام، إذ كان الله جل وعز أكمل الدين وأوضح السبيل وبين للمكلفين ما يتقون في آياته المنزلة وسنن رسوله المفضلة التي زجرهم بها عن التقليد ونهاهم عن

(١)- المسعودي، المروج، ١٠٩/١ - ١١٠.

(٢)- المسعودي، التنبيه، ص ٣٥٣ - ٣٥٤.

(٣)- المسعودي، المروج، ٢٧/٤.

(٤)- انظر: علي، المسعودي مؤرخاً، ص ١٣، وانظر: حمود: (مؤلفات المسعودي)، ص ٧٠.

(٥)- المسعودي، المروج، ١١/١.

تجاوز ما فيها من التحديد وما اتصل بذلك من الكلام في أصول الفتوى والأحكام العقلية منها والسمعية وغير ذلك من فنون العلم وضروب الأخبار^(١).

١٩- المسائل والعلل في المذاهب والملل:

يشارك مع كتابي نظم الأدلة ونظم الأعلام في بعض الموضوعات الفقهية^(٢) وينفرد عنهما باحتوائه على مناظرات كثيرة جرت بين المسعودي وبين بعض النصارى في بغداد وفي تكريت قد أودعها المسعودي في هذا الكتاب^(٣).

٢٠- الواجب في الفروض اللوازم:

هذا الكتاب في الفقه، ومن ضمن موضوعاته التي تناولها زواج المتعة، والمسح على الخفين - وهما نقطتا خلاف بين أهل السنة والشيعة - وطلاق السنة وطلاق العدة وطلاق التعدي وغير ذلك^(٤).

٢١- الاستبصار في الإمامة:

أحد الكتب الهامة التي ألفها المسعودي في موضوع الإمامة، فتناول فيه "وصف أقاويل الناس في ذلك من أصحاب النص والاختيار وحجاج كل فريق منهم"^(٥)، وتناول آراء الخوارج في التحكيم وغيره، ورد عليهم فيها^(٦) وتطرق لمسألة أيمان عبد المطلب وتنازع الناس فيها^(٧)، ومسألة إسلام علي بن أبي طالب وما قاله أصحاب النص والاختيار واحتجاجاتهم في ذلك^(٨)، وكان فيه أيضاً بحث عن موضوع زواج المتعة وتنازع الآراء فيه^(٩).

٢٢- الصفوة في الإمامة:

عالج هذا الكتاب موضوع الإمامة أيضاً وطرق الموضوعات نفسها التي أشير إليها في كتاب الاستبصار^(١٠)، ولم يشر المسعودي إلى تفرد بموضوعات أخرى غيرها، هذا ولا يمكن أن يكون

(١)- المسعودي، التنبيه، ص ٤-٥.

(٢)- المسعودي، التنبيه، ص ٤-٥.

(٣)- المسعودي، التنبيه، ص ١٥٥.

(٤)- المسعودي، المروج، ٢٨٠/٣.

(٥)- المسعودي، المروج، ١١/١.

(٦)- المسعودي، المروج، ٢٧/٤.

(٧)- المسعودي، المروج، ٢٥٩/٢.

(٨)- المسعودي، المروج، ١٦/٣.

(٩)- المسعودي، المروج، ٢٨٠/٣.

(١٠)- المسعودي، المروج، ١١/١، ٢٥٩/٢، ١٦/٣.

الاسمان في هذا الكتاب والذي قبله لمسمى واحد بسبب تحريف أو تصحيف في الأسماء من طريق النساخ أو غيرهم، لأن المسعودي نفسه أشار إلى الكتابين في موضع واحد في أكثر من مناسبة.

٢٣- حدائق الأذهان في أخبار أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم

وتفرقهم في البلدان:

يؤرخ المسعودي في هذا الكتاب لآل بيت النبي صلى الله عليه وسلم ويتحدث عن مناقبهم وأخبارهم^(١) وركز بصفة خاصة على إبراز فضائل علي بن أبي طالب ومناقبه ومقاماته، ووصف زهده ونسكه، وأتى فيه على جمل من أخباره وسيره، وأنواع كلامه وخطبه^(٢)، ويحتوي على تاريخ الثوار العلويين ومقاتلهم ووفياتهم في أرجاء العالم الإسلامي^(٣).

٢٤- مظاهر الأخبار وطرائف الآثار للصفوة التورية والذرية الزكية أبواب

الرحمة وينابيع الحكمة:

هذا الكتاب كسابقه في أخبار آل البيت، ومن المباحث التي أشار إليها ذكر عمار بن ياسر - رضي الله عنه - وذكر حروب علي بن أبي طالب في صفين^(٤)، وبين فضائل علي^(٥) ومقاتل الطالبين^(٦).

٢٥- رسالة البيان في أسماء الأئمة القطيعية من الشيعة:

خصص المسعودي هذه الرسالة لحياة الأئمة الاثني عشر في المذهب الشيعي، فهو يتضمن معلومات عن تسلسلهم وأسمائهم وأسماء أمهاتهم، ومواضع قبورهم، ومقادير أعمارهم، وكم عاش كل واحد منهم مع أبيه ومن أدرك من أجداده^(٧)، وكيفية إعدادهم وجميع الأمور المتعلقة بهم^(٨).

(١)- المسعودي، المروج، ٢٧٦/٣.

(٢)- المسعودي، المروج، ١٧٩/٣.

(٣)- المسعودي، المروج، ٢٠٢/٤، ٣٢٣/٤، ٦٣/٥.

(٤)- المسعودي، المروج، ١٢٩/٣.

(٥)- المسعودي، المروج، ١٧٩/٣.

(٦)- المسعودي، المروج، ٦٥/٤.

(٧)- المسعودي، المروج، ٢١٦/٤، ٣٤٩.

(٨)- المسعودي، التنبيه، ص ٢٩٧.

٢٦- الزاهي:

لا يمكن الجزم بمحتويات هذا الكتاب بدقة، لكن إشارة المسعودي الوحيدة إليه وهو يتحدث عن إسلام علي بن أبي طالب وتنازع الناس في كفيته وما قالته الشيعة والأباضية وأهل السنة في ذلك^(١).

٢٧- سر الحياة:

كان تأليف المسعودي لهذا الكتاب بعد سنة ٣١٣هـ/ ٩٢٥م وقبل سنة ٣٣٢هـ/ ٩٤٣م حيث أشار إلى أنه دون فيه مناظرة جرت بينه وبين أحد النصارى في سنة ٣١٣هـ/ ٩٢٥م. حول مسألة الثالث وغيرها من معتقدات النصارى^(٢).

ويبدو أن هذا الكتاب يبحث في موضوعات تتعلق بالنفس ومدى الصلة بينها وبين الجسم^(٣)، وكيف أن النفوس أبدأً إلى أوطانها مشتاقة، ولعة حنينها إليها^(٤) وما ذهب إليه الناس في تحديد النفس، والفرق بينها وبين الروح، وطبقات النفوس وصفاتها وأنواعها، وآراء أهل الملل المختلفة حولها^(٥)، وبحث فيه أيضاً عن الروح وكلام العرب قبل الإسلام عنها وكلام غيرهم من أهل الملل ممن سلف وخلف في تنقل الأرواح^(٦)، وما تميزت به بعض فرق الشيعة في أقوالها في هذا الموضوع^(٧)، وأقوالها في غيبة المهدي المنتظر وحجاج كل طائفة منهم فيه، وبيان ما اختارته لنفسها وما اجتنبته لمذهبها^(٨)، كما يحدث فيه أيضاً عن مذاهب الخرمية بفرقها المتعددة ومواطنها المختلفة، وسجل فيه بعض مناظراته معهم^(٩).

٢٨- القضايا والتجارب:

يظهر أن لهذا الكتاب أهمية خاصة حيث أنه يحوي تحليلاً لبعض المواقف والمشكلات والتجارب التي مر بها المسعودي أثناء تنقله وترحاله في المدن والبلاد التي زارها، وسجل فيه ما شاهده حساً في مطافاته الأرض والممالك، وما نمي إليه "خبراً من الخواص وأسرار الطبيعة من الحيوان والنبات

(١)- المسعودي، المروج، ١٦/٣.

(٢)- المسعودي، التنبيه، ص ١٥٥.

(٣)- المسعودي، المروج، ٢٦٢/١.

(٤)- المسعودي، المروج، ١٨٦/٢.

(٥)- المسعودي، المروج، ٣١٦-٣١٧.

(٦)- المسعودي، المروج، ٢٨٨/٢.

(٧)- المسعودي، المروج، ٣٥٠/٤.

(٨)- المسعودي، المروج، ١٠٨/٣.

(٩)- المسعودي، التنبيه، ص ٣٥٣.

والجماد في عجائب البنيان والآثار والبقاع^(١)، وتحدث فيه عن الأثر المناخي للأقاليم على السكان والنبات والحيوان والجماد، حيث ذكر ما "تؤثره كل بقعة من بقاع الأرض وهواؤها في حيوانها من الناطقين وغيرهم، وما تأثير البقاع في النامي من النبات وما ليس بنام مثل الجماد كتأثير أرض الترك في وجوههم وصغر أعينهم، وأرض أجوج ومأجوج في صورهم وغير ذلك"^(٢).

وتحدث فيه أيضاً عن "ضروب التوليدات في أنواع الحيوانات والنبات من تطعيم الغروس والأشجار، وما تولد من الطعوم في المذاق، في أنواع الفلاحات وغيرها" وذكر فيه "باب خواص الأشياء ومعرفتها والطمسات وعجائبها"^(٣)، وخصائص بعض المياه وآثارها على الحياة^(٤)، وخصائص بعض الحيوانات^(٥)، والنوعيات الكيميائية لبعض المعادن وأثرها على الإنسان^(٦).

٢٩- الزلف:

تحدث فيه المسعودي عن مقالات الفلاسفة في النفس وأنواعها من الناطقة والغضبية والحسية والشهوانية^(٧)، وفيه أشيع القول "في الموسيقى وأصناف الملهي والإيقاع وأصناف الرقص والطرب والنغم ونسبة النغم، وما استعملته كل أمة من الأمم من أصناف الملهي، من اليونانيين والروم والسرانيين والنبط والسند والهند والفرس وغيرهم من الأمم، ومناسبة النغم للأوتار وممازجة ما بين النفس والألحان وكيفية تولد الطرب وإيقاع السرور وذهاب الغم وزوال الحزن، وعلل ذلك الطبيعية والنفسية، وما أحاط بذلك من جميع الوجوه"^(٨).

وتحدث فيه عن سلطان النيرين وكيفية تأثيرهما على الحياة الحيوانية والنباتية^(٩)، وتناول فيه أسباب طول أعمار الناس في الأمم القديمة، وضخامة أجسامهم، ووجود بعض الحيوانات والمعادن في بعض البلدان دون بعضها الآخر^(١٠)، كما تحدث فيه أيضاً عن الملك "والخصال التي يستحق بها

(١)- المسعودي، المروج، ٩١/٢.

(٢)- المسعودي، المروج، ١٨٠/١.

(٣)- المسعودي، المروج، ٩٢/٢.

(٤)- المسعودي، المروج، ٢٦/٢.

(٥)- المسعودي، المروج، ١١٢/٢.

(٦)- المسعودي، المروج، ٥٤/٤.

(٧)- المسعودي، المروج، ٢٦٢/١.

(٨)- المسعودي، المروج، ٤٦/٢.

(٩)- المسعودي، المروج، ٣٥٧/٢، ٣٦٣.

(١٠)- المسعودي، المروج، ١٥٥/٢.

الملك من وجدت فيه، وما ذكر عن حكماء الفرس وأسلافها في ذلك وغيرها من حكماء اليونانيين كأفلاطون وما ذكره في كتاب السياسة المدنية، وغيره ممن تأخر عن عصره^(١).

٣٠- المبادئ والتراكيب:

أشار المسعودي إلى هذا الكتاب في المروج مرة واحدة في معرض حديثه عن تأثير الشمس والقمر على الأرض وطبائع الجسم الأربع^(٢).

ومن الصعوبة بمكان تحديد موضوع الكتاب من خلال إشارة واحدة، لأن المسعودي اعتاد في كتاباته الموسوعية ألا يقتصر على موضوع في كتاب، بل غالباً ما يطرق موضوعات متعددة.

٣١- طب النفوس:

عالج هذا الكتاب موضوعات نفسية وروحية، كتأثير الأحلام في النفوس، وتقلبها حسب الأمزجة والأخلاق وما يصاحبها من السرور والضحك والحزن والألم وغير ذلك^(٣)، وعلة حنين النفوس إلى أوطانها وشوقها إليها^(٤).

٣٢- النهي والكمال:

الظاهر أن موضوع هذا الكتاب كسابقه، فهو يتناول أثر الضحك والسرور على الروح، والأمزجة الأربعة وغلبتها على الأجسام، وهي المرة الصفراء، والمرة السوداء، والدم والبلغم^(٥).

٣٣- الرؤوس السبعية من السياسة الملوكية وملها الطبيعية:

تحدث المسعودي في هذا الكتاب عن مسائل فلسفية مثل الروح والجوهر، والعناصر الأربعة وهي النار والهواء والماء والأرض، وذلك في باب السياسة المدنية وعدد أجزائها وعللها الطبيعية^(٦)، واستقصى فيه خواص تأثير الأشخاص العلوية (الأجرام السماوية) والغرائب الفلسفية^(٧)، وتحدث فيه

(١)- المسعودي، المروج، ٣١١/١.

(٢)- المسعودي، المروج، ٣٥٧/٢.

(٣)- المسعودي، المروج، ٣١٦/٢.

(٤)- المسعودي، المروج، ١٨٦/٢.

(٥)- المسعودي، المروج، ٣١٦/٢.

(٦)- المسعودي، المروج، ٣٦٣/٢.

(٧)- المسعودي، المروج، ٣٠٤/٢.

بتفصيل وإيضاح عن القيافة وأسرارها^(١)، وعن عظم أجسام الأمم القديمة، وطول أعمارهم^(٢)، ووصف المسعودي كتابه هذا بأنه "كتاب مشهور مستوعب"^(٣).

٣٤- الدعاوى السنية:

يبدو هذا العنوان غامضاً، ومن الأبحاث التي تناولها المسعودي فيه بحث عن دعاوى العرب قبل الإسلام وغيرهم من أهل الملل الأخرى حول تنقل الأرواح^(٤).

٣٥- مقاتل فرسان العجم:

ألف المسعودي كتابه هذا معارضاً فيه أبا عبيدة معمر بن المثنى في كتابه مقاتل فرسان العرب، وقد تحدث المسعودي فيه عن مصارع "فرسان الفرس وشجعانهم على طبقاتهم من الملوك وغيرهم ممن أجمع على تقديمه وتفضيله وشجاعته ومقاماته المشهورة وأيامه المذكورة"^(٥).
هذه هي الكتب التي ذكرها المسعودي في كتابيه مروج الذهب والتنبيه والإشراف في مناسبات الحديث عن موضوعات كان قد عالجها فيها من قبل، ولذلك فإنه من الممكن الجزم بصحة نسبتها إليه، لأنه هو الذي ذكرها بنفسه وتحدث عنها وعن محتويات كل منها إما بإيجاز أو بتفصيل.
أما الكتب التي ذكرها غير المسعودي ونسبها إليه فسوف تُعرض أسماء ما وقف عليه منها، ولكن لا يُجزم بصحة نسبتها إليه مادام أنها مفقودة ولا يمكن قراءتها وفحصها والحكم عليها.

١. التاريخ في أخبار الأمم من العرب والعجم^(٦).
٢. كتاب الرسائل^(٧).
٣. المسالك والممالك^(٨).
٤. أخبار الخوارج^(٩)، والمعروف أن للمسعودي كتاب الانتصار خصصه للحديث عن الخوارج وفرقهم^(١٠).

(١)- المسعودي، المروج، ٣٠٧/٢.

(٢)- المسعودي، المروج، ١٥٥/٢.

(٣)- المسعودي، المروج، ١٧١/٢.

(٤)- المسعودي، المروج، ٢٨٨/٢.

(٥)- المسعودي، التنبيه، ص ١٠٢.

(٦)- النديم: الفهرست، ص ٢٢٠، وياقوت الحموي: معجم الأدباء ٩٤/١٣، والسخاوي: الاعلان، ص ١٥٤.

(٧)- الفهرست، ص ٢٢٠، وياقوت الحموي: معجم الأدباء ٩٤/١٣.

(٨)- ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء، ص ٩٠، حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله: كشف الظنون عن أسامي الكتب

والفنون، تحقيق: محمد شرف الدين، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٤١م، ١٦٦٤/٢.

(٩)- ياقوت الحموي، معجم الأدباء ٩٤/١٣.

(١٠)- انظر: الكتاب رقم ١٦ من كتب المسعودي المفقودة.

٥. رسالة البيان عن أصول الأحكام^(١).

٦. عجائب الدنيا^(٢).

٧. بشرى الأبرار^(٣).

٨. رسالة في أحوال الإمامة^(٤).

٩. المعالي (المعاني) في الدرجات.

١٠. الهداية إلى تحقيق الولاية^(٥).

١١. كتاب الأدعية^(٦).

١٢. الفهرست.

١٣. كتاب النصر^(٧).

١٤. رسالة إلى أبي صفوة المصيصي^(٨).

سابعاً- في فن التاريخ بين المسعودي وابن خلدون

عند ابن خلدون يحتل المسعودي موقعا فريدا ، وان بدا فيه ابن خلدون مذبذبا أول الأمر، فهو

في مقدمته الأولى في فضل علم التاريخ يمر على ذكر المسعودي سبع مرات^(٩).

يبدأ في المرة الأولى بالتنقيص من مقامه مع أنه يعده من المؤرخين الكبار المؤسسين للذين كان كل من جاء بعدهم ناقل عنهم مقلدا لهم "واللذين ذهبوا بفضل الشهرة والإمامة المعتبرة.. هم قليلون لا يكادون يجاوزون عدد الأنامل ولا حركات العوامل، مثل : ابن اسحق، والطبري ، ابن الكلبي، ومحمد بن عمر الواقدي، وسيف بن عمر الأسدي وغيرهم.." فلا تجد المسعودي بينهم، إلا أنه ينعطف سريعا ليقول : "وأن كان في كتب المسعودي والواقدي من المطعن والمغمز ما هو معروف عند الأثبات ومشهور بين الحفظة الثقات، إلا أن الكافة اختصتهم بقبول أخبارهم واقتفاء سننهم في التصنيف وأتباع

(١)- السبكي، طبقات الشافعية ٢/ ٣٠٧.

(٢)- خليفة، كشف الظنون ٢/ ١١٢٦.

(٣)- البغدادي، اسماعيل بن محمد بن أمين: إيضاح المكنون في الذيل عن كشف الظنون، دار إحياء التراث العربي، بيروت، دت، ١/ ١٨٣.

(٤)- بروكلمان: تاريخ الأدب العربي ٣/ ٦٠.

(٥)- الحائري، أبو علي محمد بن اسماعيل: منتهى المقال في أحوال الرجال، مؤسسة آل البيت لأحياء التراث، بيروت، ١٩٩٨م، ص ٢١٣.

(٦)- العاملي، الأمين: أعيان الشيعة، دار التعارف، ط١، بيروت، ١٩٨٦م، ٤١/ ٢٠٧.

(٧)- الخوانساري، محمد باقر الموسوي: روضات الجنات، الدار الإسلامية، بغداد، ط١، ١٩٩١م، ص ٣٧٣.

(٨)- الحائري: منتهى المقال، ص ٢١٣.

(٩)- ابن خلدون، مقدمة، ص ٤٣، ٤٢، ٢٥، ٢٤، ١٦، ١٤، ٧.

أثارهم^(١)، ما يشعر بأن المسعودي كان معدوداً عنده في القائمة الأولى، ثم يمر على اسمه ناقداً مستهجنأ أخباره في (جيوش بني اسرائيل في التيه) وفي (أصل ونسب صنهاجة وكتامة) المغاربة^(٢)، ولكنه يعود على ذكره في موضعين آخرين مستشهداً بأخباره مستدلاً بها على ما يريد في الدفاع عن هارون الرشيد وتنزيهه عن شرب الخمر وفي تنزيهه عن الإسراف^(٣) في مظاهر الترف أهم من هذا كله الموضوعان الأخيران اللذان يحتل فيهما المسعودي مقامه الفريد والمنزلة الأولى عند ابن خلدون حين يعده إماماً للمؤرخين ويتخذ منه قدوة يحذو في التاريخ حذوه، فهو بعد أن يذكر أهم المؤرخين في كتابة التاريخ وهو الفائدة التي يختم فيها كلامه في هذا الفصل يرى أن ذكر "الأحوال العامة للأفاق والأجيال والإعصار هو أس للمؤرخ تتبني عليه أكثر مقاصده وتتبين به أخباره وقد كان الناس يفردونه في التأليف ولكنه لم يذكر من هؤلاء الناس إلا رجلاً واحداً هو المسعودي"، فوصف ابن خلدون المسعودي إماماً للمؤرخين يرجعون إليه وأصلاً يعولون في تحقيق الكثير من أخبارهم عليه^(٤). ومن أجل ذلك أيضاً فإن ابن خلدون يجد نفسه ملزماً بأن يقفوا مسلك المسعودي لعصره ليأتي بما "يكون أصلاً يقتدي به من يأتي من المؤرخين من بعده".

ولكن هل اقتبس ابن خلدون من المسعودي أفكاره في فلسفة التاريخ والسياسة المدنية؟ وبالعودة لابن خلدون في مقدمته وبالمقارنة بينها وبين كتاب التنبيه والإشراف يمكن استنتاج أن ابن خلدون اعتمد على المسعودي في مقدمته واعتمدها كمصدراً من مصادره فالمسعودي في مقدمة الكتاب يقول: "...وآداب الرياسة... وضروب أقسام السياسة المدنية، الملوكية منها والعامية، مما يلزم الملك في سياسة نفسه ورعيته... ووجوه أسام السياسة الديانية، وعدد أجزائها، ولأي علة لا بد للملك من دين، ولا بد للدين من ملك، ولا قوام لأحدها إلا بصاحبها، ولم وجب ذلك، وما سببه... وكيف تدخل الآفات على الملك، وتزول الدول، وتبيد الشرائع والملل.... والآفاق التي تحدث في نفس الملك والدين، والآفات الخارجية المعترضة لذلك وتحصينها الملك والدين، وكيف يعالج كل واحد منها بصاحبه إذا اعتل من نفسه أو من عارض يعرض له... وماهية ذلك العلاج وكيفيته.... وإمارات إقبال الدول....

(١)- ابن خلدون، مقدمة، ص ٧

(٢)- ابن خلدون، مقدمة، ص ١٤-١٦

(٣)- ابن خلدون، مقدمة، ص ٢٥، ٢٤

(٤)- ابن خلدون، مقدمة، ص ٤٢

وسياسة البلدان والأديان والجيش على طبقاتهم.... ووجوه الحيل والمكائد في الحرب ظاهراً وباطناً وغير ذلك من أخبار العالم وعجائبه".^(١)

هذه الفصول التي تمثل دراسته متكاملة في فلسفة التاريخ، والتي كان المسعودي سباقاً لها ولكن هل وقف عليها ابن خلدون؟

من المرجح وقوف ابن خلدون واستناده على كتاب التنبيه والإشراف وذلك للأسباب التالية:

١- أن كتاب التنبيه والإشراف كان منتشرًا ومشتهراً في عصر ابن خلدون وهذا ما سلف ذكره في فقرة مؤلفات المسعودي.

٢- من الواضح أن ابن خلدون درس هذه العناوين من كتاب التنبيه والإشراف وهذا ما فتح في ذهنه الآفاق لدراساتها بطريقته الخاصة والتي تختلف عن طريقة المسعودي.

٣- تحدث ابن خلدون عن المسعودي ووصفه بإمام المؤرخين.

وبالنظر في ثانياً مقدمة ابن خلدون سيجد الباحث التشابه الكبير ومدى التطابق والقرابة فيما بينها فمثلاً، الباب الثالث من الكتاب الأول: في الدولة العامة والملك والخلافة والمراتب السلطانية، وما يعرض في ذلك كله من الأصول والفصل الرابع في أن الدولة العامة العظيمة الملك أصلها الدين، إما من نبوة أو دعوة حق، وفي الفصل الخامس في أن الدعوة الدينية تزيد الدولة في أصلها قوة على قوة العصبية التي كانت لها من عدوها وفي الفصل السادس في أن الدعوة الدينية من غير عصبية لا تتم، وهذه كلها تدور في فضاء السياسة المدنية والسياسة الديانية وعلاقتها بالملك، كما يسميها المسعودي، وأيضاً عناوين بعض الفصول لابن خلدون مقارنة بعنوان المسعودي "الآفات التي تحصل في نفس الملك" وهي التالية:

الفصل العاشر لابن خلدون في أن من طبيعة الملك الانفراد بالمجد والفصل الحادي عشر في أن من طبيعة الملك الشرف والفصل الثاني عشر في أن من طبيعة الملك الدعة والسكون.

إضافة إلى فصول مهمة بالجغرافيا كان التأسيسي فيها بالمسعودي واضحاً مثل: الحديث عن الأرض والإشارة إلى بعض ما فيها من الأشجار والأنهار والأقاليم والحديث عن جغرافية الأقاليم السبعة^(٢) وأيضاً ما يتعلق بالإدراك الحاصل عن الفطرة والرياضة ومباحث الكهانة والرؤية وشأن العرافين وغير ذلك من مدارك الغيب وأهم من هذا الأخير كله تأثير الجغرافية على طبائع الشعوب ودرجة

(١)- المسعودي، التنبيه، ص ١-٢

(٢)- المسعودي، التنبيه، ص ٢٩، ٢١

ال عمران التي أولاهها المسعودي أهمية كبيرة وكان السباق من المؤرخين إليها وقد شغلت صفحات عديدة في سائر أجزاء كتابه مروج الذهب وفي التنبيه والإشراف أيضاً^(١)، وبالمقارنة مع مقدمة ابن خلدون في الباب الأول "قسط العمران من الأرض والإشارة إلى بعض ما فيها من الأشجار والأنهار والأقاليم... وتقصيل الكلام عن هذه الجغرافيا-الأقاليم السبعة.. والمعتدل من الأقاليم والمنحرف وتأثير الهواء في ألوان البشر والكثير من أحوالهم... وحقيقة النبوة والكهانة والرؤيا وشأن العرافين"^(٢) لوجد التشابه الكبير والذي يدل على اعتماد ابن خلدون للمسعودي كمصدراً رئيسياً لكتابه، وتطويرات لمواد جاهزة ومفصلة قدمها المسعودي قبل أربعة قرون ونصف وبكل تأكيد فإن المسعودي إن لم يكن قد ساق نظرية متينة متماسكة متكاملة فهو لم يقف عند الملاحظات الجزئية المتناثرة بل قد رتب فصولاً كثيرة ومهمة للغاية هي في صلب النظرية التي أحكم صياغتها ابن خلدون بعد ذلك وبكل تأكيد أيضاً فإن هذا لا يلغي دور ابن خلدون بل لا يقلل من أهميته على الإطلاق فإن شأن العلوم جميعها أن تتكامل على هذا النحو، ولكنه يعيد المسعودي حقه بالإقرار له بفضل سبق والإبداع والابتكار على مستوى هذه النظرية فائقة الأهمية في دراسة المجتمع البشري العوامل التي تتحكم في مسيرته الذاتية منها والخارجية المتوقعة ومنها والطارئة.

هذه دلالات كبيرة ترقى لمستوى العلاقة بين ابن خلدون والمسعودي عن درجة التأثير والاقتداء التي توضح اقتباس ابن خلدون الكثير البين وقد شكلت هذه المواد أبرز المحاور في مقدمة ابن خلدون وأهمها ولتكون معظم فصول هذه المقدمة شروحا لما قدمه المسعودي.

ثامناً-وفاته:

وبعد أن تنتقل المسعودي بين العراق والشام ومصر، ويتحدث المسعودي عن نفسه بأنه أتم تأليف كتاب مروج الذهب في الفسطاط بمصر عام ٣٣٦هـ / ٩٤٧م واستقر في مصر^(٣)، وتوفي سنة ٣٤٥هـ / ٩٥٦م، وقيل أنه توفي ٣٤٦هـ / ٩٥٧م، ودفن بالفسطاط والراجح وحسب ما ذكر في أغلب المصادر أنه توفي ٣٤٦هـ / ٩٥٧م^(٤) كما سلف ذكره في ص ٤٩.

(١) المسعودي، المروج، ٣٠٨/٢.

(٢) ابن خلدون، مقدمة، ص ٤٩، ٤٣، ٤٢.

(٣) الحموي، معجم الأدباء، ج ٢، ص ٧٦-٧٧. المسعودي، مروج، ج ١، ص ٧-٨.

(٤) مسكويه، تجارب، ج ٥، ص ٣٧-٣٨. ابن كثير: البداية والنهاية، ٩/٢٤٤. ابن الأثير: الكامل ١٥٦/٥.

الفصل الثالث

كتاب التنبيه والإشراف ومنهجية وأسلوب المسعودي فيه

أولاً- وصفه ومحتواه.

ثانياً- منهجية وأسلوب المسعودي في عرض المادة التاريخية في الكتاب.

آ- الإيجاز والاختصار والتركيز

ب- الاستفتاح في ذكره لأي موضوع بما عرضه سابقاً

ج- التعليل والمقارنة للأحداث التاريخية

د- تفسير الكلمات الأعجمية إلى اللغة العربية

هـ- العقلية والحس التاريخي النادر

و- توضيح معاني الكلمات والمصطلحات العربية

ز- مزج المعلومات التاريخية بالجغرافيا

ح- تأثير البيئة والفلك على الإنسان وغيره

ثالثاً- النقد للمادة التاريخية عند المسعودي في الكتاب.

أولاً-وصفه ومحتواه:

التنبيه والإشراف هو أحد الكتب القيمة التي أنجزها المسعودي، وهو في حقيقة أمره مختصراً لما سلف أن ألفه المسعودي من كتب، إن اختيار هذا العنوان جاء للتنبيه والتذكير بما ورد في مؤلفات المسعودي^(١).

ولا يصنف الكتاب من كتب التراجم إلا أن المسعودي أورد تراجم لبعض الشخصيات وبالأخص الحكام والملوك، وعناصر ترجمة السير مرت بمراحل عدة وحسب الشخصية والمراحل التاريخية، فعندما عرض تراجم الملوك والحكام الفرس واليونان والرومان اكتفى فيها بذكر الاسم وتسلسله في الحكم ومدة الحكم، ومن الأمثلة على ذلك ذكره لأحد ملوك اليونان، فيذكر ترجمته بقوله: "الخامس أبطليموس الأريب، ملك سبعاً وعشرين سنة"^(٢)، وقد سلف أن اليعقوبي على سبيل المثال أورد أسماء هؤلاء الملوك ومدة حكمهم لكنه لم يعط تسلسلاً لهم في الحكم^(٣).

وهكذا فإن عناصر الترجمة عند المسعودي اشتملت على (التسلسل بالحكم والاسم ومدة الحكم)، لكنه لم يبق على هذا النمط من الترجمة عندما بدأ باستعراض التاريخ الإسلامي، وأعطى معلومات وافية لتراجم الخلفاء والحكام مثلاً أعطى للخليفة أبو بكر الصديق ترجمة بالقول: "الاسم والنسب: أبو بكر عبد الله بن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تميم بن مرة بن كعب بن لؤي

اسم الأم: أم خير بنت صخر بن عامر بن كعب بن تميم بن مرة.

توليه الخلافة: بعد وفاة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم سنة ١١هـ.

مدة الخلافة: سنتين وثلاثة أشهر وعشرة أيام وقيل وعشرين يوم.

وصف الشكل: طويل، ادم نحيف العارضين، غائر العينين، مشرف الجبهة ناتئ الوجنتين يغير شبيه بالحناء والكتم.^(٤)

أبنائه: له ثلاثة أبناء هم عبد الله وعبد الرحمن ومحمد.

نقش خاتمه: هو (نعم القادر الله).

(١) - المسعودي، التنبيه، ص ٧.

(٢) - المسعودي، التنبيه، ص ٩٩.

(٣) - اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج ١، ص ١٤٦-١٤٧.

(٤) - المسعودي، التنبيه، ص ٢٤٧-٢٤٨-٢٤٩.

كاتبه: هم عثمان بن عفان وزيد بن ثابت وأيضاً عبد الله بن الأرقم.

قاضيه: عمر بن الخطاب.

حاجبه: شديد مولاه.

وفاته: في المدينة، ليلة الثلاثاء ٢٢ جمادى الآخر سنة ١٣هـ^(١)

وتبقى هيكلية الترجمة على حالها لبقية الخلفاء الراشدين، ولكن عندما يعطي تراجم للحكام الأمويين فلا يكتفي في وصف الشكل فقط، وإنما يضيف عليها السمات الشخصية فيقول: "وكان آدم شديد الأدمة، عظيم الهامة، بوجهه أثر جدي بَيْن، يبادر بلذته ويجاهر بمعصيته، ويستحسن خطاه، ويهون الأمور على نفسه في دينه إذا صحت له دنياه"^(٢).

ويلاحظ أن المسعودي لا يتردد في ذكر الصفات غير الحسنة لبعض خلفاء بني العباس فعندما يترجم للأميين ويصل إلى فقرة الوصف الشخصي له يقول: "وكان حسن الوجه، تام القامة، أبيض، صغير العينين، بعيد ما بين المنكبين، شديد في بدنه، باسط يده في العطاء، قبيح السيرة، ضعيف الرأي، سفاكاً للدماء، يركب هواه، ويهمل أمره، ويتكل في جليلات الخطوب على غيره، ويثق بمن لا ينصحه"^(٣).

وهذا الوصف الدقيق والجريء يتكرر مع بعض الخلفاء العباسيين، مما يشير إلى أن المسعودي لم يكن من مؤرخي البلاط ويدل إلى عدم اتصاله بالخلفاء والمؤسسة السياسية الحاكمة، فهو بذلك يكتب عنهم دون التأثير بسلطانهم ويعد تاريخه ثقة يمكن العودة إليه^(٤).

ومن أسلوبه أنه منح لقب خليفة إلى الخلفاء العباسيين وحجبه عن الأميين عدا عمر بن عبد العزيز الذي لقبه بالخليفة^(٥)، الأمر الذي جعل البعض ينعته بالتشيع ويختلف البعض الآخر في تحديد مذهبه، ومن هذا الاختلاف يتبين كم كان المسعودي متوازناً في طرحه، موضوعياً في استعراضه لأحداث التاريخ ومقولات الفرق والمذاهب متعالياً على الروح المذهبية فإذا تناول المذاهب تحدث عنها جميعاً بنسق واحد وساق أدلتها بكل احترام ويتكلم عن الجميع بضمير الغائب، ولم ينسب نفسه إلى أي منها بالقدر والتتقيص رغم أنه كان ناقداً لا يرحم حين يجد مسوغاً موضوعياً للنقد، وبينما الطبري

(١) - المسعودي، التنبيه، ص ٢٤٩.

(٢) - المسعودي، التنبيه، ص ٢٦٤ - ٢٦٥.

(٣) - المسعودي، التنبيه، ص ٣٠٢.

(٤) - المسعودي، التنبيه، ص ٢٦١.

(٥) - المسعودي، التنبيه، ص ٢٧٦.

يمنح اللقب لكلا الطرفين الأمويين والعباسيين^(١)، وأما اليعقوبي فيحجب اللقب عن كلا الطرفين وذلك تبعاً لميول كل مؤرخ الطائفية والسياسية^(٢).

وكما أن المسعودي استبدل فقرة الكاتب الواردة في تراجم الأمويين إلى فقرة الوزير في تراجم بني العباس، لأن هذا المنصب ظهر بشكل واضح في عهد العباسيين^(٣).

ويتحدث المسعودي تحت عنوان مستقل عن الأقدية بين المسلمين والروم، ويذكرها في العصر العباسي حصراً وفي حديثه عن ملوك الروم^(٤)، وقد ذكر المسعودي اثنا عشر فداءً وانتهج أسلوباً واحداً في عرض هذه الأقدية ومثال لذلك الفداء الثاني لعرض الفقرات التي شملها أسلوب المسعودي:

"اسم الفداء المأخوذ عادة من الشخص القائم عليه: فداء ثابت

في عهد أي خليفة جرى الفداء: بعهد هارون الرشيد.

زمان ومكان الفداء: سنة ١٩٢ هجرية، بمنطقة اللامس

الملك على الروم: نقفور بن استبرق.

القيم على الفداء: ثابت بن نصر بن مالك الخزاعي أمير الثغور الشامية.

عدد من فودي به من المسلمين: ألفان وخمسمائة ونيف.

عدد أيام الفداء: استغرق سبعة أيام^(٥).

وتعد الترجمة للشخصيات والأقدية أهم النقاط التي أوردها المسعودي في الكتاب، وتابع المسعودي على سياق ذلك الكتاب محاولاً الجمع بين الاختصار وتوضيح فكرة ما يتحدث عنه، وقد قدم صورة واضحة عن مستوى النضج المنهجي الذي وصل إليه المسعودي في ختام عمله كمؤرخ من خلال هذا الكتاب.

(١) - الطبري، تاريخ، ج ٣، ص ٢٦٩.

(٢) - اليعقوبي، تاريخ، ج ٢، ص ٢١٦.

(٣) - المسعودي، التنبيه، ص ٢٩٣.

(٤) - المسعودي، التنبيه، ص ١٦٠.

(٥) - المسعودي، التنبيه، ص ١٦١.

ثانياً- أسلوب ومنهجية المسعودي في عرض المادة التاريخية في الكتاب:

من السمات المميزة لأسلوب عرضه للمادة التاريخية أنه اعتمد على لغته العربية السلسة التي يسهل على القارئ فهمها، كونها خالية من الألفاظ الغريبة ومعروضة بأسلوب شيق وأنيق سهل ممتع، كما لهذه الرواية التي يذكر فيها محاولة اغتيال النبي (صلى الله عليه وسلم) من خلال سمّه بذراع شاة أهدتها له زينب بنت الحارث اليهودية في السنة السابعة من الهجرة، وكانت هذه المرأة قد عرفت أن النبي (صلى الله عليه وسلم) محب لذراع الشاة فأكثر فيها السّم كما سمّت سائر الشاة: "فلما وضعت الطعام بين يدي رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وتناول الذراع لآك منها مضغة فلم يستسغها وكان معه بشر فاستساغ الطعام، وأما رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فلفظها ثم قال: ان هذه العظم ليخبرني أنه مسموم فدعا المرأة فاعترفت، فقال: ما حملك على ذلك، قالت: بلغت من قومي ما لا يخفى عليك فقلت إن كان نبياً سيخبر وإن كان ملكاً استرحت منه وقومي فتجاوز عنها رسول الله (صلى الله عليه وسلم)"^(١).

ويمكن توضيح أسلوب المسعودي ومنهجه من خلال عدة محاور وهي:

أ- تقسيم التاريخ حسب الموضوعات:

التزم المسعودي في تقسيمه للتاريخ حسب الموضوعات وهو النهج الذي سبقه إليه اليعقوبي في تاريخه وأبو حنيفة الدينوري في الأخبار الطوال.

ب- الإيجاز والاختصار والتركيز:

استعمل المسعودي في عرضه لمعظم مروياته أسلوباً تميز بالإيجاز والاختصار والتركيز وقد أشار إلى هذه الميزات في أكثر من موضع من كتابه، ففي نهاية حديثه عن سنن الأمم وشهودها قال: "ولما ذكرنا شرح طويل والكلام فيه كثير، ومن ضمن الاختصار لم يجر الإكثار"^(٢)، ويقول في السياق نفسه "وإنما نذكر في هذا الكتاب طرفاً من كل باب ليستدل الناظر فيه بما رسمناه على المراد مما تركناه، قانعين بالتعرض والاشارة من التطويل في العبارة"^(٣).

(١) - المسعودي، التنبيه، ص ٢٢٣.

(٢) - المسعودي، التنبيه، ص ١٩٤.

(٣) - المسعودي، التنبيه، ص ١٩٤.

وفي موضوع حياة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يشير المسعودي إلى أنه لا يرغب بإعادة طرح المعلومات التي سلف وأن تناولها بهذا الخصوص "فأغنى ذلك عند إعادة شيء منه في هذا الكتاب لشرطنا فيه على أنفسنا الاختصار والإيجاز"^(١).

ويظهر هذا الاختصار الذي انتهجه المسعودي في كتابه هذا من خلال حديثه عن زواج رسول الله (صلى الله عليه وسلم) من السيدة خديجة بنت خويلد (رضي الله عنها) حيث اختصره ببضعة كلمات هي "فأرسلت إليه في تزويجها فتزوجها"^(٢)، وهذه الكلمات مختصرة جداً إذا ما قورنت بحديث الطبري في الموضوع نفسه حيث تناوله بثلاث صفحات^(٣).

وقد عالج المسعودي الاختصار هذا بإحالة القارئ إلى كتبه السالفة لاستكمال تفاصيل الخبر الذي ذكره في كتابة التنبيه والإشراف.

كما أن الإيجاز هذا لم يمنع المسعودي من ذكر أكثر من رواية في الحدث الواحد، كما هو الحال في ذكره لأول من آمن بالرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) من الذكور، فيورد بخصوص هذا الموضوع خمس روايات ولكن باختصار شديد وفيما يلي نص هذه الروايات:

"فقال فريق منهم أول من آمن به علي بن أبي طالب، وروى ذلك عبد الله بن عتبة، وقال آخرون أن أول من آمن به زيد بن حارثة، روى ذلك عن الزهري وقال آخرون أولهم اسلاماً خباب بن الأثر، وقال آخرون بلال بن حمامة"^(٤).

وغير ذلك لم يمنع المسعودي من ذكر الاختلافات الواردة في بعض الروايات، ففي ذكره لوفاة فاطمة الزهراء (رضي الله عنها) يقول: "ثم تتوزع في سننها فقال فريق منهم توفيت ولها ثلاث وثلاثون سنة، فقال آخرون بل ثلاثون، قال آخرون بل تسع وعشرون وقيل دون ذلك"^(٥).

ومع هذا الإيجاز الشديد لا يتردد المسعودي في ذكر الروايات التي يتفق معها، وهذا قد اتضح عندما أورد روايتين لا يتفق معهما وقد تضمنتا منح الأمويين ألقاباً كألقاب الخلفاء العباسيين حيث قال: "فلو كان الأمر على ما ذكر لظهر واشتهر واستفاض"^(٦).

(١) - المسعودي، التنبيه، ص ١٩٥.

(٢) - المسعودي، التنبيه، ص ١٩٧.

(٣) - الطبري، تاريخ الرسل، ج ١، ص ٥٢١-٥٢٣.

(٤) - المسعودي، التنبيه والإشراف، ص ١٩٨-١٩٩.

(٥) - المسعودي، التنبيه، ص ٢٥٠.

(٦) - المسعودي، التنبيه، ص ٢٩٠.

والمسعودي مع هذا الاختصار والإيجاز يعطي معلومة أساسية كاملة، لكنها في الوقت نفسه بحاجة إلى توضيح أكثر لتلك المعلومات الواردة، فعلى سبيل المثال عندما يتناول معركة ذات الصواري، فإنه يورد أهم عناصر المعلومة التاريخية التي تخص المعركة وهي:

- ❖ "أطراف المعركة: كانت بين المسلمين والروم.
- ❖ أسباب المعركة: هي محاولة الروم غزو الإسكندرية.
- ❖ القيادة: الروم بقيادة قسطنطين بن قسطنطين، والمسلمين بقيادة عبد الله بن أبي سرح والي مصر والإسكندرية.
- ❖ الموقع الجغرافي للمعركة: في البحر قبالة الإسكندرية.
- ❖ نتيجة المعركة: انتصار المسلمين ومقتل قسطنطين بعد هروبه.
- ❖ سنة المعركة: في سنة ٣٤هـ.
- ❖ تسمية المعركة: سميت ذات الصواري لكثرة المراكب وصواريخها.^(١)
- ❖ لقد أورد المسعودي هذه المعلومات الأساسية والهامة في أقل من نصف صفحة بينما الطبري أورد هذه المعركة في ثلاث صفحات^(٢)، ومع هذا الفرق في مساحة العرض بينهما والإيجاز الواضح من قبل المسعودي، إلا أنه لم يفقد المعلومة التاريخية جوهرها، وإن كانت هناك حاجة للتوسع في طرح المعلومة أحياناً لتكون الفائدة أشمل وأعم.

ج- الاستفتاح في ذكره لأي موضوع بما عرضه سالفاً:

انتهج المسعودي أسلوباً واحداً في نهاية كل موضوع، يتضمن هذا الأسلوب ذكره لما تناوله في الموضوع الذي تمّ عرضه ويبين أيضاً لمحة لما يريد أن يتناوله في الموضوع التالي ومثال ذلك ما ذكره في نهاية موضوع ذكر الأمم السبع في سالف الزمان حيث يقول "فإذا قد ذكرنا الأمم السبع ومسكنهم ولغاتهم وما اتصل بذلك، فلنذكر الآن الفرس وملوكهم وأعدادهم وما ملوكوا من سنين"^(٣)، ولهذا الأسلوب عند معظم المؤرخين فمثلاً اليعقوبي كان ينتقل من موضوع إلى آخر دون إعطاء موجز لما عرضه أو لما يعرضه^(٤).

(١) - المسعودي، التنبيه، ص ١٣٥.

(٢) - الطبري، تاريخ الرسل، ج ٢ ص ٦١٨-٦٢٠.

(٣) - المسعودي، التنبيه، ص ٩٠.

(٤) - على سبيل المثال هو يذكر موضوع فتح مكة وبعده يذكر موضوع وقعة حنين. اليعقوبي، تاريخ، ج ٢، ص ٦١-٦٢.

د- التعليل والمقارنة للأحداث التاريخية.

على الرغم من ذكر المسعودي بأن كتابه هذا "كتاب خبر لا كتاب بحث ونظر" لكنه يعلل ويقارن بعض الأحداث، فهو لا يمر عليها مرور الكرام دون أن يستوقف الخبر لأجل التعليل والمقارنة، فعندما يتناول المسعودي الألفية بين المسلمين والروم يذكرها في إبان بني العباس ويعلل ذلك بقوله "إذ لم يكن في أيام بني أمية فداء معروف مشهور فنذكره بل كان يفادي بالفرد بعد الفرد"^(١).

بينما لا يفرد ابن الأثير لهذا الموضوع عنواناً مستقلاً بل تحدث عنه من ضمن مجريات أحداث تلك السنة التي يتناولها وهو لم يعلل عدم ذكر الألفية في حقب سابقة^(٢).

ولو كان المسعودي من النوع الذي يسرد المعلومة فقط دون استيقافها ومحاورتها لكان يذكر الألفية من دون أن يوضح سبب عدم ذكر الألفية في العصر الأموي، وهو بذلك ينتهج منهجاً لا يقتصر على ذكر الرواية التاريخية فقط بل يتعداه إلى ما هو أوسع من ذلك، إذ يقدم نظرة شاملة للحدث ولكن بإيجاز وبلاغة^(٣).

وفي السياق نفسه هذا يقلل المسعودي أسباب ضبط التاريخ بشكل عام وأسباب ضبطه من الاسكندر بشكل خاص فيقول "لكي لا يضيع ما بان من أمره وحمد من سعيه"^(٤).

أما عند أردشير بن بابك فكانت لنفس الأسباب الاسكندر ويوضح المسعودي أسباب إهماله لتواريخ الحكام قبله فيقول "إلا أنه طرح ما كان قبل ذلك وتناساه لكي يكون الذكر لأيامه وسيرته فضبط ذلك ضبطاً شديداً"^(٥)، وفي جانب آخر للموضوع نفسه يبين المسعودي أسباب احتياج العرب والإسرائيليين لاستخدام السنة الكبيسة، وذلك لأن الأمم الأخرى تؤرخ بالسنين الشمسية إلا العرب والإسرائيليين فإنهم يراعون رؤية الأهلة لذلك فهم بحاجة إلى كبس أيام لتتمة مدة السنة^(٦)، أما الفرس ليس لديهم سنة كبيسة، ويعلل المسعودي ذلك لأنهم يعتقدون أن أيام شهورهم هم أسماء ملائكة وهم بذلك لا يرغبون في زيادتها^(٧)، وفي موضوع جغرافي آخر يعلل كسوف الشمس وخسوف القمر^(٨)، وعندما يتحدث عن

(١) - المسعودي، التنبيه، ص ١٦٠.

(٢) - ابن الأثير، الكامل، ج ٥، ص ٣٩٩.

(٣) - الشرقاوي، أدب التاريخ، ص ٢٨٣.

(٤) - المسعودي، التنبيه، ص ١٦٧.

(٥) - المسعودي، التنبيه، ص ١٦٧.

(٦) - المسعودي، التنبيه، ص ١٨٣.

(٧) - المسعودي، التنبيه، ص ١٨٤.

(٨) - المسعودي، التنبيه، ص ١٩١.

سقوط الأمطار يوضح أسباب هطول الأمطار في الإقليم الأول في فصل الصيف دون سائر البلدان كفسطاط مصر فيقول: "إن جزء بلاد مصر من جهة شمالها عادم الجبال والشوامخ، وأكثر ما يسيل إليه من جهته بحر الحبشة، يحجز بينه وبين مصر جبال البجة"^(١).

وفي موضوع آخر لا يكتفي المسعودي بإيراد الروايات التي تتحدث عن سنن علي بن أبي طالب (ع) عند إسلامه بل يبين أسباب ذكر بعض الروايات بأنه أسلم في سن الطفولة قائلاً: "وهذا قول من قصد إزالة فضائله ودفع مناقبه ليجعل إسلامه إسلام طفل صغير أو صبي غرير، لا يفرق بين الفضل والنقصان"^(٢).

ويظهر المسعودي من خلال هذا النص منتقداً أو معللاً في آن واحد لتلك الروايات ولا يدعها تمر دون أن يمارس دوره في نقد النصوص التاريخية، وفي حديثه عن السنة الخامسة للهجرة، يذكر غزوة ذات الرقاع^(٣)، ويعطي سبب تسميتها بهذا الاسم فيقول: "كثرة الرقاع في الرايات"^(٤)، في حين أن الطبري يعطي سبب آخر لهذه التسمية، فهو يذكر أن سبب تسمية غزوة ذات الرقاع بهذا الاسم ترجع إلى طبيعة الجبل الذي وقعت فيه المعركة إذ كان فيه سواد وبياض وحمرة فسميت الغزوة نسبة للجبل^(٥)، وفي مكان آخر يعلل المسعودي لماذا سميت السنة العاشرة للهجرة بسنة الوداع، وذلك لأن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ودعهم ولم يحج بعدها، وبين تسمية أخرى لها وهي حجة البلاغ ويوضح سبب هذه التسمية من أنه (صلى الله عليه وسلم) ذكر في خطبته "اللهم هل بلغت؟ فقالوا نعم فقال اللهم اشهد"^(٦).

كذلك الأمر في موضوع السرايا والغزوات والاختلاف في عددها فيقول: "وأرى أن السبب الذي أوجب هذا التنازع التفاوت في اعداد هذه السرايا، إن منهم من يعتد بسرايا لا يعتد بها آخرون، وذلك أنه كانت سرايا من جملة مغازر، فأفردوا بعضهم واعتد بها، وبعض جعلها في جملة تلك المغازي"^(٧)، وفي موضوع آخر يوضح سبب تسمية الخليفة العباسي المعتصم بالله بلقب (الخليفة المثلث) فيقول:

(١) - المسعودي، التنبيه، ص ١٩٣.

(٢) - المسعودي، التنبيه، ص ١٩٨.

(٣) - غزوة ذات الرقاع: هي غزوة قام بها رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ضد بني ثعلبة وبني محارب من غطفان في السنة الرابعة للهجرة بعد أن ورد أنه يعدون العدة لغزو المدينة وهرب بنو غطفان ولم يحدث قتال وعاد المسلمون منتصرون. ابن كثير، ابدية والنهاية، ج ٤/ ص ١١٣.

(٤) - المسعودي، التنبيه، ص ٢١٤.

(٥) - الطبري، تاريخ الرسل، ج ٢، ص ٨٦.

(٦) - المسعودي، التنبيه، ص ٢٤٠.

(٧) - المسعودي، التنبيه، ص ٢٤٢-٢٤٣.

"لأنه الثامن من خلفاء بني العباسي، وكان مولده سنة ١٧٨هـ وولي الخلافة سنة ٢١٨هـ، وملك سنتين وثمانية أشهر وثمانية أيام"^(١).

والملاحظ أنه أسقط الأسانيد إلا في المواضيع التي يشم فيها رائحة الطائفية، ووصل الأخبار وذكر مصادره وبما أنها تنيف عن الثمانين من كتب المؤرخين عدا غيرهم، فمن كان أقل شهرة لم يذكره المسعودي عدا المصادر الجغرافية التي اعتمدها.

وأضف إلى ذلك لم تتكرر عنده الروايات في الحدث الواحد، بل كان ينتقي من بين مصادره الخبر الذي يراه أقرب إلى الحقيقة وأكثر قبولاً.

هـ- العقلية والحس التاريخي النادر

وهي ميزة فائقة الأهمية والتي ساعدته في اكتشافه عوامل نمو الحضارات وسقوطها، ومن هذه القاعدة فله سبق الكبير عن توينبي (التحدي والاستجابة) وتظهره مفكراً يتمتع بالقدرة على تحليل التاريخ وتفسير حركته وليس استعراضه والتعليق عليه فحسب.

و- تفسير الكلمات الأعجمية إلى اللغة العربية:

قام المسعودي بتفسير الكلمات الأعجمية إلى اللغة العربية ولا سيما الأسماء الأعجمية إذ عمد إلى توضيح معانيها، ففي ذكره لأول ملوك الفرس (جيومرث كلشاه)، يقول: "تفسير ذلك ملك الطين وإليه ترجع الفرس في أنسابها وهو عندهم آدم أبو البشر"^(٢)، وينتهج النهج ذاته حينما يتحدث عن المناصب السياسية عند الفرس فيقول: "أولها وأعلها الموبذ، تفسيره حافظ الدين، لأن الدين بلغتهم (مو) و (بذ) حافظ"^(٣)، وتفسر أيضاً الفقيه في الدين المجوسي^(٤)، وفي حديثه عن الرومان يواصل المسعودي أسلوبه في تفسير الكلمات الأعجمية للعربية ومنها قوله: "وتفسير أغسطس باللغة الإفرنجية الأولى الضياء، وسمي قيصر، تفسير ذلك شق عنه"^(٥).

(١) - المسعودي، التنبيه، ص ٣٠٧.

(٢) - المسعودي، التنبيه والإشراف، ص ٧٥.

(٣) - المسعودي، التنبيه، ص ٩٠.

(٤) - الفيروز آبادي، طبقات القراء، ج ١، ص ١٩.

(٥) - المسعودي، التنبيه، ص ١٠٧.

ويورد اسم ملكة الروم (ريتي) ويقول: "وتفسير ريتي صلاح"^(١)، بينما يلاحظ عن الطبري^(٢) وابن الأثير^(٣)، والذهبي^(٤)، والسيوطي^(٥) يذكرون اسم هذه الملكة لكنهم لم يفسروا معنى اسمها كما فعل المسعودي، وأيضاً من الأمثلة على تفسير المسعودي للكلمات الأعجمية تفسيره معنى الكتاب السند هند عندهم فيقول: "تفسير ذلك دهر الدهور"^(٦)، ويذكره الحميري بالتفسير نفسه^(٧)، وقد كان هذا التفسير والتوضيح للأسماء والألقاب الأعجمية إضافة بالغة الأثر لمنهج المسعودي في عرض المادة التاريخية، وبلا شك تعبر عن سعة الأفق والمعرفة التي اكتتبتها ذاكرته.

ز- توضيح معاني الكلمات والمصطلحات العربية:

لقد سعى المسعودي إلى توضيح معاني الكلمات العربية الغير واضحة والغير مفهومة للقارئ ولاسيما الأسماء القديمة فعندما يتحدث عن ملوك اليمن يوضح معنى كلمة تبّع فيقول: "إنما قيل للملك منهم تبّع تشبهاً بالظل إذ كان الملوك السعداء ظلاً لرعيّتهم وكهفاً لهم وملجأ"^(٨)، وفي مكان آخر يعطي تفسيراً لمعنى الفجار حيث يقول: "وإنما سمو الفجار لأنهم تفاجروا فيها واقتتلوا في الأشهر الحرم وهي من أيام العرب المذكورة"^(٩).

وقد أعطى اليعقوبي^(١٠) تفسيراً للفجار مشابهاً لما أورده المسعودي بينما أشار الطبري إليه دون توضيح لمعنى الكلمة^(١١)، وفي مكان آخر فيقول معنى الآطام أنها "الحصون والقلاع"^(١٢)، وقد توافق معه ابن الأثير^(١٣) في هذا المعنى وعندما يتناول المادة المتعلقة بالغازي والسرايا التي شهدها عصر رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، يستخدم المسعودي مصطلح غزوة للحملة العسكرية التي يقودها رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بنفسه، ومصطلح سرية للحملة العسكرية التي يقودها أحد الصحابة

(١) - المسعودي، التنبيه، ص ١٤٢.

(٢) - الطبري، تاريخ الرسل، ج ٥، ص ٣٦.

(٣) - ابن الأثير، الكامل، ج ١، ص ٢٥٨.

(٤) - الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، ج ١٢، ص ٩.

(٥) - السيوطي، عبدالرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١هـ)، تاريخ الخلفاء، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة للنشر، دط، القاهرة، ١٩٥٢م، ج ١، ص ٢٨٨.

(٦) - المسعودي، التنبيه، ص ١٨٨.

(٧) - الحميري: محمد بن محمد بن عبد الله بن عبد المنعم (ت ٩٠٠هـ)، الروض العطار في خير الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، مؤسسة ناصر للنشر، ط ٢، بيروت، ١٩٨٠م، ج ١، ص ٥٩٧.

(٨) - المسعودي، التنبيه، ص ١٥٧.

(٩) - المسعودي، التنبيه، ص ١٧٩.

(١٠) - اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ١٥.

(١١) - الطبري، تاريخ الرسل، ج ١، ص ٣٨٤، ٣٨٦-٣٨٧، ٤٢٨.

(١٢) - المسعودي، التنبيه، ص ١٧٦.

(١٣) - ابن الأثير، الكامل، ج ١، ص ٥٣٢.

لیمیز بینهما فهو يقول عن الحالة الأولى: "ثم غزوته صلى الله عليه وسلم في جمادى من هذه السنة يعترض عبر قریش"^(١)، في حين أنه في الحالة الثانية لا يسمي الحملة العسكرية باسم غزوة مالم يقودها رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بنفسه فيقول: "ثم سرية زيد بن حارثة وجعفر بن أبي طالب وعبدالله بن رواحة الأنصاري في جمادى الأولى لغزو الروم إلى مؤته"^(٢).

على أن هذا السياق كان واحداً في ذكره لكل المغازي والسرايا التي شهدتها عهد النبي صلى الله عليه وسلم بينما لا يوجد هذا المنهج عند مؤرخين كبار كالطبري^(٣) إذ لا يفرق الأخير بين المصطلحين لذلك هو يعبر عن حملة مؤته بأنها غزوة، ويبدو أن معلومات المسعودي العسكرية أفضل من غيره من المؤرخين إذ لا يكتفي بتحديد مفهوم واضح لمصطلحي (غزوة، سرية) فحسب بل وضح الفرق بين السرايا والسوارب، فالسرايا عنده هي التي تخرج في الليل، بينما السوارب هي التي تخرج في النهار^(٤)، ثم زاد على ذلك فربط المسميات بالأعداد فيقول: "وإذا زاد عم الخمسمائة إلى دون الثمانمائة فهي من المناسر وما بلغ الثمانمائة فهو جيش وهو أقل الجيوش، وما زاد على الثمانمائة إلى دون الألف فهو الخشخاش"^(٥).

وقد أضفى توضيح المصطلحات العربية والكلمات والأسماء على مادة المسعودي التاريخية الكثير من التشويق، حيث مكن القارئ من التعرف على معاني الكلمات دون الرجوع إلى معاجم اللغة، كما أن التفسير والتوضيح لم يكن مطولاً وإنما مباشراً فأضاف المسعودي بذلك إلى أسلوبه في عرض المادة ميزة أخرى غير ميزات السلاسة والتشويق والأناقة في عرض المادة التاريخية.

ح- مزج المعلومات التاريخية بالجغرافيا:

يعد القرن الرابع الهجري من اخصب القرون التي ازدهر فيها علم الجغرافيا والرحلات عند المسلمين، وذلك لأن أكثر المؤلفات الأساسية فيه إنما ظهرت في هذا القرن، كما أن الناس قد استهوتهم السياحة والسفر في البلاد النائية إما بحثاً عن المعاش والتجارة وإما لطلب العلم والاطلاع على أحوال الأمم والشعوب، وقد أثرى ذلك المعرفة الجغرافية وظهرت الكتب في المسالك والممالك

(١) - المسعودي، التنبيه والأشراف، ص ٢٠٢.

(٢) - المسعودي، التنبيه، ص ٢٣٠.

(٣) - الطبري، تاريخ الرسل، ج ٢، ص ٤٣.

(٤) - المسعودي، التنبيه والأشراف، ص ٢٤٣. ينظر: العمري، بريك بن محمد بريك، السرايا والبعوث النبوية حول المدينة ومكة، تحقيق أكرم ضياء العمري، دار ابن الجوزي للنشر، المدينة المنورة، ١٩٩٦م، ج ١، ص ٥٥.

(٥) - المسعودي، التنبيه والأشراف، ص ٢٤٣.

وغيرها، وكان لا بد أن يتأثر علم التاريخ بهذا الفيض الوافر من المعلومات الجغرافية لوجود الصلة القوية بين العلمين، فظهر جيل من المؤرخين الجغرافيين الذين أسهموا مساهمات خصبة في التأليف التاريخي والجغرافي^(١).

فقد أودع كتابه التنبيه "معاً من ذكر الأفلاك وهيئاتها والنجوم وتأثيراتها، والعناصر وتراكيبها وكيفية أفعالها، والبيان عن قسمة الأزمنة وفصول السنة وما لكل فصل من المنازل والتنازع في المبتدأ به منها، والاستقصات"^(٢)، وغير ذلك، والرياح ومهابها وأفعالها وتأثيراتها، والأرض وشكلها وما قيل في مقدار مساحتها وعامرها وغامرها، والنواحي والآفاق وما يغلب عليها وتأثيراتها في سكانها وما اتصل بذلك، وذكر الأقاليم السبعة وقسمتها وحدودها وما قيل في طولها وعرضها، وقسمة الأقاليم على الكواكب السبعة الخمسة والنيرين، ووصف الإقليم الرابع، وتقضيله على سائر الأقاليم وما خص به ساكنوه من الفضائل التي باينوا بها سكان غيره منها، وما اتصل بذلك من الكلام في عروض البلدان وأطوالها والأهوية وتأثيراتها وغير ذلك، وذكر البحار وأعدادها وما قيل في أطوالها وأعراضها واتصالها وانفصالها ومصبات عظام الأنهار إليها وما يحيط بها من الممالك وغير ذلك من أحوالها"^(٣).

ومما لا يخالج الشك فيه - وحسب المعلومات المتوفرة - أن الجمع بين المعلومات الجغرافية والتاريخية عند المسلمين بهذا الأسلوب وفي مؤلف واحد هو من مبتكرات المسعودي الفذة^(٤)، حيث عمق الصلة والربط بين هذين العلمين ورأى أن كلا منهما مكمل للآخر، إذ لا يستطيع مثلاً مؤرخ من المؤرخين أن يكتب في تاريخ مدينة أو منطقة ما كتابة علمية جديرة بالتقدير وهو لا يعرف شيئاً عن طبيعتها الجغرافية وظروفها المناخية أو ما يتصل بذلك من أحوالها، ولهذا فقد جعل المسعودي دراساته الجغرافية والفلكية مقدمة لفهم التاريخ.

هذا وإن كان اليعقوبي - وهو من المؤرخين السابقين على المسعودي - قد ألف في الجغرافيا والتاريخ، إلا أنه ألف على نهج يختلف عن نهج المسعودي إذ فضل بينهما، فجعل الجغرافيا في كتاب سماه البلدان جمع فيه المعلومات بشكل استقرائي تراكمي^(٥)، وجعل التاريخ في كتاب آخر مستقل.

(١)- انظر شاكر: التاريخ العربي ٣٤٤/١.

(٢)- يقصد بها الأرض والماء والنار والهواء كما صرح المسعودي بذلك.

(٣)- المسعودي، التنبيه، ص ٥.

(٤)- انظر روزنتال: علم التاريخ عند المسلمين، ص ١٥١.

(٥)- مصطفى: التاريخ العربي، ٣٤٥/١.

وإذا تتبع الباحث بعض كتابات المسعودي الجغرافية فيلاحظ مدى استفادته من رحلاته وتجاربه الخاصة في تحري الحقائق الجغرافية ومحاولة المقارنة بين ما هو مسطر في الكتب والمؤلفات الجغرافية وبين ما هو موجود فعلاً على الطبيعة، أو ما أخبر به الرحالة والتجار الذين جابوا البحار والأقطار وشاهدوا بأعينهم ما يتحدثون عنه، كالاختلاف في تقدير المسافات والأبعاد في أطوال الخلجان والبحار أو ما إلى ذلك^(١) ومن أجل هذا رأى أن المسعودي أكثر دقة وتحديداً فيما يختص بالعالم المأهول آنذاك الذي عبر كثيراً من أجزائه.

ولكن يلاحظ على كتابات المسعودي الجغرافية افتقارها إلى حسن التبويب والتنظيم، فقد جاءت بطريقة مبعثرة لا تستند على أساس في تشكيلها، ويتحدث مثلاً عن المد والجزر والبحار وترتيبها ثم ينتقل إلى ذكر ملوك الصين والترك، ثم يعود إلى ذكر جمل من الأخبار وما فيها وما حولها من العجائب^(٢)، وتجده يتحدث عن الأمم القديمة وملوكها ثم ليعود ليتحدث عن الجغرافيا الفلكية وما يتصل بها^(٣) وتجد كثيراً من المعلومات الجغرافية منثورة في ثنايا الكتاب، لو استخلصت ونسقت بطريقة علمية منظمة لظهرت ملاحظات وأفكار جغرافية صحيحة يسبق بها المسعودي أقرانه في الفكر الجغرافي الحديث، ولعد بكل المقاييس العلمية أحد الجغرافيين البارزين في العصور الإسلامية الأولى^(٤).

وهناك نقطة يجب التنبيه لها وهي وإن كان يقصد بها الرفع من مكانة المسعودي إلا أنها في الواقع محاولة لتجريده من الأصالة والتميز في أبحاثه، وهي ما جرى عليه بعض الباحثين من تشبيهه بهيرودوت (Herodot) من حيث جمعه بين التاريخ والجغرافيا^(٥): وهؤلاء مقلدون لبعض المستشرقين الذين يحاولون في كثير من الأحيان أن ينسبوا كل منهج من مناهج العلم الأصيلة إلى بني جلدتهم أو بني دينهم، وذلك في أثناء بحوثهم في التاريخ أو الفكر الإسلامي بوجه عام.

ولم يقتصر على تشبيه المسعودي بهيرودوت بل تعدى ذلك إلى أن أكد بعضهم - أي المستشرقون - على أن لمؤلفات النصارى السابقين أو المعاصرين للمسعودي دوراً كبيراً في التأثير على فكره التاريخي، إضافة إلى أنها أيضاً "ساهمت كثيراً في تطور الوضع العلمي في الإسلام"^(٦).

(١)- المسعودي، التنبيه، ص ٥٥. المروج، ١/ ١٢٤.

(٢)- المسعودي، التنبيه، ص ٦٧-٦٨. المروج ١/ ٢١.

(٣)- المسعودي، المروج، ١/ ٢٤.

(٤)- انظر المسعودي، التنبيه، ص ٢٦٠.

(٥)- انظر: حاطوم وزملاءه، نور الدين: المدخل إلى التاريخ، ص ٢٩٥. و حسن، زكي: الرحالة المسلمون، دار المعارف، القاهرة، ١٩٤٥م، ص ٣٩.

(٦)- روزنتال: علم التاريخ عند المسلمين، ص ١٥٢.

والباحث يتساءل هنا ماهي تلك المؤلفات النصرانية التي استحوذت على فكر المسعودي ثم آلت به إلى تقليدها والسير على خطاها؟

فلو نُظر إلى تلك المؤلفات المقصودة والتي أشار المسعودي في معرض حديثه عن ملوك الروم المنتصرة لوجد أنه أورد أسماء مؤلفات لا تكاد تذكر أو تقارن بمؤلفات المسعودي نفسه لا من حيث الذبوع والشهرة، ولا من حيث قوة المادة والبناء العلمي، مثل كتاب قيس الماروني، ومحبوب بن قسطنطين المنبجي، وسعيد بن البطريق، وغيرهم^(١)، والمسعودي حينما ذكر هذه الكتب إنما يؤكد على حرصه واهتمامه بتتبع كل ما يتعلق بتاريخ وديانات وتراث الأمم المختلفة التي يتحدث عنها.

وعلى أي حال فقد لوحظ في كثير من كتابات المستشرقين الذين انخدع بهم بعض المسلمين في العصر الحاضر محاولات لتجريد المؤلفين المسلمين الأوائل من الأصالة في بحوثهم العلمية، وإظهار أنهم كانوا عالة على علماء الإغريق والسرّيان وأنهم ليسوا سوى مرّدين لأفكار من سبقهم.

ومهما يكن من أمر فإن نشاط المسعودي وجهده في الجغرافيا واضح كل الوضوح، وتصل آراؤه الجديدة في بعض الأحيان إلى درجة عالية من الدقة والصحة، فهو الجغرافي الأول الذي أعطى وصفاً صحيحاً لشكل بحر الآرال، والموقع التقريبي لبحر البلطيق^(٢)، ورسم صورة صادقة لمنطقة كشمير على الرغم من أنه لم يصل إليها في أثناء زيارته للهند، فوصف جبالها وأوديتها وغاباتها وقرأها وأثبت إحصائيات جديدة عنها^(٣)، كما قام المسعودي بتصحيح عدد من الآراء والمفاهيم الجغرافية الصادرة من بعض الكتاب السابقين أو المعاصرين، مثل تصحيحه لاعتقاد الجاحظ أن نهر مهران السند من نيل مصر، واستدلّاه على ذلك باتفاق زيادتهما ووجود التماسيح فيهما، وذلك في كتابه المترجم بكتاب الأمصار وعجائب البلدان، فأبان المسعودي سبب الخطأ الذي وقع فيه الجاحظ على الرغم من جودة وحسن كتابه هذا، وهو انه اعتمد فيه على كتب الوراقين ولم يتخذ الرحلات، والأسفار وزياره البلاد النائية سبيلاً للوقوف على الحقيقة، ثم ذكر المسعودي منابع هذا النهر وتتبع مجراه حتى مصبه في بحر الهند قرب بلاد الديبل^(٤).

ومن الأخطاء الجغرافية الشائعة لدى كثير ممن عرض لوصف البحار من الإغريق أو العرب اعتقادهم أن خليج القسطنطينية الآخذ من بحر مايطس أو بنطس متصل ببحر الخزر، لكن المسعودي

(١)- المسعودي، التنبيه، ص ١٥٤-١٥٥.

(٢)- ، وانظر المسعودي، المروج، ١١٥/١.

(٣)- انظر المسعودي، المروج، ١٩٨/١.

(٤)- المسعودي، المروج، ١١٣/١، والتنبيه، ص ٥٨.

استغرب هذا الرأي واستكره، وأورد الأدلة القطعية الكثيرة على انه لا صلة بين هذين البحرين، من تلك الأدلة ما أثبتته بجهوده الشخصية أثناء رحلاته في منطقة بحر الخزر، كركوبه فيه من ساحله الشرقي إلى الغربي، واستقصائه بالبحث والسؤال للذين وقفوا على كل من هذين البحرين وركبوهما من التجار وأرباب المراكب من ذوي الأدب والفهم وغيرهم، وكانوا متفقين جميعاً على أنه لا يوجد لأي صلة بينهما^(١)، ومن الأدلة أيضاً ذكره لقصة إغارة الروس القاطنين قرب بحر بنطس على المناطق الواقعة حول بحر الخزر، وكيف أنهم لما أرادوا هذا الغزو استأذنوا ملك الخزر "في أن يجتازوا ببلاده وينحدروا في مهرة فيدخلوا نهر الخزر ويتصلوا ببحر الخزر على أن يعطوه النصف مما يغنمون"^(٢)، ووجه استدلال المسعودي من هذه الحادثة أنه لو كان البحرين المذكوران متصلين لما كان لاستئذان الروس لملك الخزر وجه، ولما أعطوه نصف غنائمهم لأن بحر بنطس أو مايطس هو بحرهم لا يسلكه أحد غيرهم^(٣).

وعلى المسعودي بعض المظاهر الجغرافية الطبيعية تلياً منطقياً، من ذلك قوله: إن بحر الصين والهند وفارس وعمان والبصرة والبحرين واليمن والحبشة والحجاز والقلزم والزنج والسند متصلة مياهها غير منفصلة إلا أنها مع ذلك تختلف في وقت هيجها وركودها، وحدوث المد والجزر فيها، وعلى المسعودي ذلك باختلاف مهاب رياحها وإبان ثوراتها وغير ذلك، فمثلاً "بحر فارس تكثر أمواجه ويصعب ركوبه عند لين بحر الهند واستقامة الركوب فيه وقلة أمواجه، ويلين بحر فارس وتقل أمواجه ويسهل ركوبه عند ارتجاج بحر الهند واضطراب أمواجه وظلمته وصعوبة ركوبه"^(٤).

وقد عارض المسعودي الاعتقاد الذي كان سائداً بين الجغرافيين الأول أمثال عبيد الله بن خرداذبة، وهو أن نهر جيحون (أموداريا) يصب في نهر مهران السند^(٥) (الأندلس) ثم في البحر الحبشي، فقال: إن نهر جيحون يصب في البحيرة التي عليها القرية المعروفة بالجرجانية أسفل خوارزم^(٦)، ويقصد بها بحر آرال، والظاهر أن هذه هي المرة الأولى التي يذكر فيها المسعودي بحر آرال.

(١)- المسعودي، المروج، ١٤٦/١ - ١٤٨.

(٢)- المسعودي، التنبيه، ص ٥٠، المروج، ٢١٨/١ - ٢١٩.

(٣)- المسعودي، المروج، ٢١٦/١.

(٤)- المسعودي، المروج، ١٧٤/١.

(٥)- المسعودي، التنبيه، ص ٥٦، المروج، ١١٦/١.

(٦)- المسعودي، التنبيه، ص ٥٦، المروج، ١١٥/١.

ويجب أن يكون واضحاً في ذهن أنه لا يمكن أن الاستقصاء في هذا المجال المحدود كل مساهمات المسعودي في علم الجغرافيا، إذ هي أكثر من أن تُحصر في مقام كهذا، فتحتاج إلى دراسة مستقلة، لكن الهدف هو إبراز بعض النقاط التي تساعد على تحديد منهجه وتوضيحه. وسيتم الإشارة بإيجاز إلى شيء من دراساته لبعض الظواهر الطبيعية أو البشرية أو الفلكية حتى تتضح الصورة وتكتمل.

ففيما يختص بشكل الأرض فإن المسعودي كان مؤمناً بكرويتها، في الوقت الذي كانت فيه أوروبا العصور الوسطى ترمي بالكفر والإلحاد كل من قال بذلك، ومن أدلة المسعودي على ذلك أن الأشياء المرتفعة والعالية ثم الأقل ارتفاعاً وصولاً للساحل تشاهد كل الأشياء ، ولو لم تكن الأرض مقوسة لرأى الأشياء كلها دفعة واحدة^(١)، ومنها أنها لو كانت مسطحة لغمر الماء جميع أجزائها^(٢).

وفي علم المحيطات يبدو المسعودي على دراية بالمسائل والنظريات المختلفة التي كانت متداولة في عصره، علمية كانت أم رائجة، فذلك فيما يختص بأحجام وأشكال وحدود البحار، فأوضح أنه ذكر أصح ما نقل في ذلك وأشهره، وأبان عن عنايته واهتماماته بهذه المسائل بقوله: "إذ كنا عنيينا بذلك برهة من دهرنا وصرفنا إليه هممنا مشاهدة وخبراً، حتى وقفنا منه على ما نظن أنه استغلق على غيرنا علمه وغرب عليهم فهمه"^(٣)، ففي خريطة العالم أوضح المسعودي أن هناك اتصالاً بين البحر الحبشي والمحيط الدائري من جهتي الشرق والجنوب الشرقي، وكذلك يتصل مع بحر أوقيانوس (الأطلسي) بقال ضيق يقع في جنوب قارة أفريقيا^(٤).

وكان المسعودي أفضل من سابقه في توضيح شكل المحيط الهندي، وتحدث عن ساحله الشرقي، وجزر جنوب شرق آسيا بصورة واضحة^(٥)، ولعل هذا يعود إلى استفادته من الحقائق التي كانت متوفرة لدى التجار والبحارة في هذا المحيط.

وقد كان المسعودي مدركاً لطبيعة الأمواج الضخمة وحركاتها العاتية في هذه المحيطات، ومفراً بينها وبين الأمواج الصغيرة التي تكون في الخلجان والبحار الداخلية^(٦).

(١) - المسعودي، المروج، ١٠٦/١-١٠٧.

(٢) - المسعودي، التنبيه، ص ٢٧.

(٣) - المسعودي، التنبيه، ص ٥٠.

(٤) - المسعودي، المروج، ١٩٤/١، والتنبيه، ص ٦٨.

(٥) - المسعودي، المروج، ١٨٥/١.

(٦) - المسعودي، المروج، ١٢٤/١، والتنبيه، ص ٧٠.

وكان المسعودي يبدي اهتماماً وتركيزاً في وصف الأنهار، من حيث تتبع منابعها ومبادئها وأماكن جريانها وما تجتازه في طريقها من الأماكن المشهورة والمحلات المعروفة، وما تقدمه هذه الأنهار للسكان المقيمين على ضفافها، وأماكن التقاء أو تفرق بعض فروعها، ثم ما تنتهي إليه من خليج أو بحر^(١).

ومما يلفت النظر أن المسعودي كان مدركاً لدورة التعرية النهرية، وتعديل الأنهار لمجاريها حتى تسير في مجرى منتظم، لاحظ قوله: "وإن لمواضع الأنهار شباباً وهرماً وحياة وموتاً ونشأً ونشوراً كما يكون ذلك في الحيوان والنبات"^(٢).

وتحدث المسعودي عن عدد من البراكين الموجودة في عصره، كيف كانت تضيء ما حولها فتقذف بحممها وتحدث أصواتاً كالرعد يسمع من أميال كثيرة وقد بين علة تكون البراكين في كتابه المفقود أخبار الزمان^(٣).

وكان المسعودي يهتم بوصف المدن^(٤)، والطرق البرية والبحرية^(٥)، ويناقش مسائل كثيرة تتصل بالجغرافيا الفلكية^(٦).

وهكذا إن المسعودي قد شق طريقه بين المؤرخين والجغرافيين العرب بإصراره على أهمية النظرة الشاملة للأحوال العامة التي يعتمد عليها انتشار الإنسان على الأرض، ومحاولته دمج العنصر الإنساني في علم الجغرافيا، مما أعطى الجغرافيا اتجاهاً وحافزاً جديداً وأعطاه منعطفاً علمياً، وذلك بحقنها بروح الاستقصاء والبحث، ولا مبالغ بالقول: إن المسعودي من أبرز الرواد في علم الجغرافية الإنسانية الحديث.

ومن هنا تظهر أن ملاحظات المسعودي ومناقشاته لكثير من المسائل الجغرافية ودراساته العميقة الجادة لها في كثير من الأحيان تشكل جزءاً هاماً من منهجه التاريخي الأصيل المنبثق من واقع الرؤية الصحيحة المتكاملة للمكان الذي هو في الواقع المسرح الحقيقي للأحداث التاريخية.

(١)- انظر المسعودي، المروج، ١١١/١-١٢٣. والتنبيه، ص ٥١-٥٦.

(٢)- المسعودي، المروج، ١١١/١.

(٣)- انظر المسعودي، التنبيه، ص ١٠٦، والمروج، ٢٢٢/١.

(٤)- التنبيه، ص ١٣٩. المسعودي، والمروج، ٤٥/٢.

(٥)- المسعودي، المروج، ١٨٥/١-١٨٦.

(٦)- المسعودي، التنبيه، ص ٧-١٤. والمروج، ١٠٢/١-١٠٥.

ط-تأثير البيئة والفلك على الإنسان وغيره:

مع أن هذا الموضوع ذو صلة وارتباط بالموضوع السالف أي الدراسات الجغرافية لدى المسعودي، إلا أن إفراده بالدراسة - نظراً لأهميته وحيويته - قد يضيف عليه نوعاً من الوضوح والتركيز ولاسيما أنه من منجزات المسعودي المهمة.

ومع أن هذا الموضوع أيضاً قد تناوله المؤلفون السابقون للمسعودي كأبقراط (Hippocrates) اليوناني، وابن رسته الجغرافي المسلم، إلا أنهما قد طرقاه بصورة جزئية، ولم يحيطا بتفاصيله كما هو واضح عند المسعودي، فأبقراط تحدث عن تغير حالات الهواء وأنه "هو الذي يغير حالات الناس مرة إلى الغضب ومرة إلى السكون وإلى الهم والسرور وغير ذلك، وإذا استوت حالات الهواء استوت حالات الناس وأخلاقهم"^(١)، وعن التأثير على الحيوان والأشياء ذكر "أن الشمس والكواكب تغير الهواء بحركاتها وإذا تغير بتغيره كل شيء"^(٢).

وابن رسته عزا الذكاء والخلق القويم وجمال الأجسام وبياض السحنة وضمور الأجسام وبياض السحنة عند البابليين إلى المناخ المعتدل في بلادهم، وبنفس الطريقة فسر حمرة السحنة وضمور الأجسام وغزارة الشعر لدى الأتراك إلى كثرة البرد في بلادهم^(٣).

أما المسعودي فقد تصور هذا الموضوع من خلال نطاقين:

➤ **الأول:** التصور الفلكي المناخي الذي يعد الإنسان جزءاً من الكون، وبذا فإن شخصيته وشكله وأفعاله تتأثر بالنجوم التي تتحكم في بيئته وبالأهوية التي تهب عليها^(٤).

➤ **الثاني:** التصور الجغرافي الطبيعي، حيث العناصر الجغرافية تتحكم في رد الفعل البشري. ومن هنا فإن التأثير الفلكي أو المناخي على الإنسان أو الحيوان أو النبات أو الجمار قد يكون مميزاً واضحاً في بعض الأحيان، بينما يكون تأثير الموقع الجغرافي أظهر في الوضوح في أحيان أخرى، لكن التأثير المشترك لهذين العنصرين معاً مرتبط كل الارتباط في جميع الحالات.

وإذا اتبعت بعض النماذج من دراسات المسعودي في هذا الخصوص وُجد أنه قد أبدى ملاحظات قيمة عن تأثير كل من القمر والشمس والهواء في هذا العالم السفلي، ففي حديثه عن القمر ذكر تأثيره في المد والجزر، وفي أبدان الناس والحيوان وغيرهم من القوة وغلبة السخونة والرطوبة، والأخلاق التي

(١)- المسعودي، التنبيه، ص ٢٨. المسعودي، المروج، ٣٧٤/٢.

(٢)- المسعودي، المروج، ٣٧٥/٢.

(٣)- ابن رسته، أحمد بن علي: الأعلام النفسية، مطابع بريل، ليدن، ١٨٩١م، ص ١٠١-١٠٣.

(٤)- المسعودي، المروج، ٣٦٠/٢، والتنبيه، ص ٢٩.

تكون في أبدان الناس، وأثره في إنتاج سائر الحيوان من الزيادة أو النقصان في شعره وأدمغته وألبانه، وكذا في "الببيض وحيض النساء وكثرة السمك في البحار والأنهار وغيرها، ونمو الأشجار والبقول والفواكه والرياحين وسائر النبات وغير ذلك مما يعلمه أصحاب الفلاحة"^(١)، وكذا له تأثير على المعادن في جواهرها وصفائها، وعلى حشرات الأرض من الحيات والعقارب في لسعها وعلى سائر السباع في أفعالها، وغير ذلك"^(٢).

وعن القمر أيضاً قال: "إن الشهور به تكون وعلى حسب حركته يجري أمرها، وأفعاله ترى أعظم وأبين في حيوان البحر خاصة، وهو ينمي النبات، ويعظم الثمار ويسمن الحيوان، ويلزم النساء الطمث أزماناً محدودة"^(٣).

وقد أدرك المسعودي قلة تأثير الشمس على المناطق الواقعة في الشمال بعيداً عن سمتها، وتأثيرها الشديد على المناطق الواقعة على خط الاستواء فقال:

"وأما أهل الربع الشمالي وهم الذين بعدت الشمس عن سمتهم الواغليين في الشمال كالصقالبة والافرنجة ومن جاورهم من الأمم فإن سلطان الشمس ضعف عندهم لبعدهم عنها فغلب على نواحيهم البرد والرطوبة وتواترات الثلوج عندهم والجليد، فقل مزاج الحرارة فيهم فعظمت أجسامهم وابتضت ألوانهم حتى أفرطت فخرجت من البياض إلى الزرقة، ورقت جلودهم وغلظت لحومهم وازرقت عيونهم أيضاً فلم تخرج من طبع ألوانهم، وسببت شعورهم وصارت صهباً لغلبة البخار الرطب، وأما أهل الربع الجنوبي كالزنج وسائر الأحابيش والذين كانوا تحت خط الاستواء وتحت مسامته الشمس فإنهم بخلاف تلك الحال من التهاب الحرارة وقلة الرطوبة فاسودت ألوانهم واحمرت أعينهم وتوحشت أنفسهم، وذلك لالتهاب هوائهم وإفراط الأرحام في نضجهم، حتى احترقت ألوانهم وتقلقت شعورهم لغلبة البخار الحار اليابس، وكذلك الشعور السبطة إذا قربت من حرارة النار دخلها الانقباض ثم الانضمام ثم الانعقاد على قدر قربها وبعدها عنها"^(٤).

(١)- المسعودي، التنبيه، ص ٧٢.

(٢)- انظر المسعودي، التنبيه، ص ٧١- ٧٢، وهذا يجب الالتفات إلى أنه قد يظهر كلام المسعودي أحياناً نوع من المبالغات أو التفصيلات غير الدقيقة، لكن هذا لا يمنع أن تكون أكثر ملاحظاته على درجة من الصحة.

(٣)- المسعودي، المروج، ٣/ ٣٥٤.

(٤)- المسعودي، التنبيه، ص ٢٣- ٢٤.

وهكذا فقد أوضح المسعودي أثر الشمس على المناطق حسب قربها أو بعدها عن خط الاستواء "لأن البعد والقرب موجبات متنافية متغايرة"^(١) من حيث التأثير على ألوان الأجسام من البياض أو السواد أو غيرهما، ومن حيث الطباع والأمزجة^(٢)، وكلما أفرط البعد نحو الشمال أو الجنوب أثرت شدة البرودة أو الحرارة في حياة الحيوان والنبات أيضاً^(٣).

وإضافة إلى التأثير الفلكي أو المناخي تحدث المسعودي أيضاً عن التأثير البيئي على حياة البشر، فقد وصف أثر البيئة الجغرافية وفعلها في الأبدان، وذكر أنه يختلف لثلاثة أسباب: كمية المياه، وكمية الأشجار، ومقدار ارتفاعها أو انخفاضها، فالأرض كثيرة المياه ترطب الأبدان، والعادمة للمياه تجففها، والأرض كثيفة الأشجار تكون حارة وساخنة بعس الأرض الجرداء، وكذلك الأرض العالية المشرفة تكون فسيحة باردة، والمنخفضة تكون حارة، ولكل أرض من هذه الأرضين أثر خاص في أمزجة وأبدان ساكنيها^(٤).

ولم يغفل المسعودي عن الانتباه إلى تأثير البيئة المحيطة أو المجاورة، فذكر أثر البحر أو الجبل إذا كان قريباً من المدينة بحسب موقعه منها، وتأثيره في هبوب الرياح، ولا ينسى أخيراً أن يذكر أثر طبيعة التربة في امتصاص الحرارة أو البرودة، فمن تربة صخرية إلى تربة جصية إلى تربة طينية وهكذا^(٥).

وفي تحدث المسعودي عن خاصيات البلدان على لسان أحد الحكماء حينما سأله عمر بن الخطاب - رضي الله تعالى عنه - أن يصف له "المدن وأهويتها ومساكنها وما يؤثره التربة والأهوية في سكانها"^(٦)، فذكر الشام ومصر واليمن والحجاز وبلاد المغرب والعراق والجال وخراسان وخوزستان، وأرض الجزيرة، وذكر ما تورثه كل منطقة أو إقليم منها في أجسام ساكنيها من حرارة أو برودة أو رطوبة أو يبوسة، وأثرها في صفاء الأجسام وألوانها، وفي الطباع والأمزجة والقرائح، وفي الهمم والفظن والألباب وما تجبل عليه من الفضائل والصفات الحميدة أو عكس ذلك من الطباع والخلائق المذمومة^(٧).

(١) - المسعودي، المروج، ٣٦١/٢.

(٢) - المسعودي، المروج، ٣٦٣/٢-٣٦٤، وانظر أيضاً: التنبيه، ٢٧٤.

(٣) - المسعودي، المروج، ٣٦٢/٢.

(٤) - المسعودي، التنبيه، ص ٢٨. وانظر أيضاً المروج، ١٠٩/٢.

(٥) - المسعودي، التنبيه، ص ٢٩.

(٦) - المسعودي، المروج، ١٧٩/٢.

(٧) - المسعودي، المروج، ١٨٠/٢-١٨٣. التنبيه، ص ٣٣ حيث تحدث عن فضائل بابل وموقعها الجغرافي المتوسط كتوسط =

وعلى أي حال فإن المسعودي على الرغم من كثرة ما شاهده من البلدان بنفسه، أو سمعه من غيره، أو قرأه في الكتب، عن خاصيات البلدان وتأثيرات أهويتها وتربها في سلوك وأجسام ساكنيها لم ير مثل بلد العراق في جمعه لفضائل البلدان، فهو "فانر المشرق وسرة الأرض وقلبها إليه تطاربت المياه وبه اتصلت النضارة وعنده وقف الاعتدال فصفت أمزجة أهله ولطفت أذهانهم واحتدت خواطرهم وتصلبت مرائرهم، فظهر منهم الدهاء وقويت عقولهم وثبتت بصائرهم، ولأهله أعدال الألوان وأنقى الروائح وأفضل الأمزجة وأطوع القرائح، وفضائله كثيرة لصفاء جوه وطيب نسيمه واعتدال تربته وإغداق المياه إليه ورفاهة العيش به"^(١).

ويحسن الالتفات في هذه المناسبة إلى أن حنين المسعودي وشوقه إلى بلده الأول وهو العراق والذي سطره في مناسبات عديدة وأطنب فيه إنما هو في الواقع أثر من آثار البيئة- التي صارت فيها النشأة الأولى- على النفوس حتى أن المسعودي ليعزو ذكره لكثير من التفاصيل في هذه المعاني إلى هذا السبب نفسه^(٢).

ويتجلى إدراك المسعودي لأثر المناخ والبيئة على الإنسان في حديثه عن البدو والأعراب الذين ينتقلون في البوادي من مكان إلى آخر بحسب الأحوال التي تكون عليها في الصيف والشتاء، من حرارة أو برودة ومن جذب أو إخصاب، والأهم من ذلك أنهم إنما سكنوا البرمن أجل أنهم "لا يخافون فيه من حصر ولا منازل ضرر، هذا مع ارتفاع الأقداء وسماحة الهواء وعدم الوباء، ومع تهذيب الأحلام في هذه المواطن ونقاء القرائح في التنقل في المساكن مع صحة الأمزجة وقوة الفطن وصفاء الألوان ومثانة الأجسام، فإن العقول والآراء تتولد من حيث تولد الهواء وطبع القضاء وفي هذا الأمن من العاهات والأسقام والعلل والآلام، فآثرت العرب السكنى في البوادي والحلول بالبيداء: فهم أقوى الناس همماً وأشدهم أحلاماً وأصحبهم أجساماً، وأعزلهم جاراً وأحماهم ذماراً وأفضلهم جوداً وأجودهم فطناً لما أكسبهم إياه صفاء الجو ونقاء الفضاء، لأن المدن يحتوي هواؤها على متكاثف الأقدار وغشاء الأقدار لما يرتفع إليه ويتلاطم في عرضاته وأفقه من جميع المستحيلات والمستتقات من المياه ففي أكنافه جميع ما يتصعد إليه، ولذلك تراكبت الأقداء والأدواء والعاهات في أهل المدن وتركبت في أجسامهم وتضاعفت في أشعارهم وأبشارهم"^(٣).

=القلب في البدن.

(١)- المسعودي، التنبيه/ ص ٣٥ وانظر: المروج، ١٨١/٢، ١٨٤-١٨٥.

(٢)- المسعودي، والتنبيه، ص ٤٢-٤٣ وانظر المروج، ١٨٤/٢-١٨٦.

(٣)- المسعودي، المروج، ٢٤٧/٢.

وهكذا من خلال هذا التحليل الجيد من المسعودي تقف على أثر واضح ومعلوم من آثار البيئة في حياة وأخلاق وأجسام طائفة من الناس، مع ذكر مقارنة بسيطة توضح شيئاً من الفروق بين هذه الطائفة وبين غيرها ممن لم يحدّد حذوها.

وقد أخذ ابن خلدون نظرية المسعودي في البداوة وسكنى العرب البوادي، وجعل منها العامل المحرك في تاريخ العرب، وعلى أساسها فسر تاريخ المغرب الإسلامي بصفة خاصة من حيث أنه صراع بين ممالك الغرب ودوله وبين قبائل البدو فيه من العرب والبربر^(١).

ومن الموضوعات المتعلقة بهذا الباب قضية التأقلم مع البيئة التي لها صدى واضحاً في مؤلفات المسعودي، حيث يمكن أن يستشف وميضاً من تصويره لتأقلم كل من الإنسان والحيوان والنبات للعيش في البيئة التي وجد بها، أو البيئة الجديدة التي ينتقل إليها، فمن حيث تأثير البيئة الأصلية وتأقلم الحيوانات والحشرات عليها، واكتسابها ألواناً من اللون الطبيعي للبيئة يقول: "غلب طبع كل أرض على ساكنها كما نشاهد الحرار السود والأغوار وحشها إلى السود، ووحش الرمال البيض على ذلك اللون، فأن كان لون الرمال أحمر فوحشها غفر وهو لون التراب، وكذلك وحش الجبال من الأراوي وغيرها يكون على ألوان تلك الجبال إن حمراً وإن بيضاً وإن سواداً، وعلى هذا السبيل تكون القملة في الشعر الأسود سوداء وفي الشعر الأبيض بيضاء وفي المشيب شهباء وفي الأحمر حمراء"^(٢).

أما من حيث التأقلم على البيئة الجديدة، ففي حديثه عن الأتراك الذين هاجروا إلى الهند واستقروا بها أشار إلى فقدانهم لملاحمهم وألوانهم الأصلية واكتسابهم ألواناً جديدة تتناسب مع البيئة التي حلوا بها^(٣)، وكذلك النباتات إذا نقلت من مكانها الأول في البيئة التي ظهرت بها إلى مكان جديد فقد يتغير لونها أو طعمها أو حتى يتغير شكل ثمارها^(٤).

وبهذا تتضح الآثار القوية الخاصة لكل بيئة من البيئات على الحياة التي تكون فيها وعلى مظاهرها أيضاً، فالأمة القديمة المتحضرة التي كان لها باع طويل في تقدم العلوم والفنون لم يكن ليتيسر لها ذلك لو لم تسكن في مناطق معتدلة مناسبة في خصائصها وتأثيراتها، وحتى النبوءات والشرائع كانت تنتزل على كل أمة مراعى فيها البعد المكاني الذي تعيش فيه، "وكانت شرائع كل أمة

(١) - عبد الحميد: ابن خلدون مؤرخاً، ص ٣١.

(٢) - المسعودي، التنبيه، ص ٢٩.

(٣) - المسعودي، المروج، ١٥٥/١-١٥٦.

(٤) - المسعودي، المروج، ١٨٠/١.

بحسب مناسكهم وحسب الجهات التي فيها معاشهم وشيمهم الطبيعية التي فطروا عليها ومن يجاورهم من سائر الأمم^(١).

ومن الغريب بعد ملاحظة ما تقدم أن يوجد من يقول: إن المسعودي لم يع وعياً واضحاً قضية التفاعل بين الأمة وبيئتها الجغرافية^(٢)، فإذا كان المسعودي بملاحظاته السديدة ودراساته القيمة في هذا الموضوع لم يدرك التفاعل بين الإنسان والبيئة، فمتى سيكون الإدراك؟ وإن استقراء ما تقدم من ملاحظات المسعودي في تأثير العناصر الجغرافية الممثلة في المناخ والسطح وغيرهما في تحديد مناقب الانسان الطبيعية والسلوكية والعقلية والثقافية، وإدراكه لأثرها الفعال في مستواه الحضاري، وإدراكه أيضاً لتأثيرها في سائر الحيوان والنبات والجماد وتكراره المستمر لبيان هذه الآثار، ليؤكد بحق عمق نظرته وصدق إدراكه لهذه القضية.

ثالثاً - النقد للمادة التاريخية في الكتاب:

يظهر المسعودي في عرضه للمادة التاريخية كمؤرخ يتمتع بذكاء عالي، إذ لا يترك المجال للأخطاء التي يعتقد وقوع الرواة بها، أو من سبقه من المؤرخين فتراه يصحح المعلومة التاريخية إن وجد فيها خطأ، اعتماداً على مقاييسه في تصديق الأخبار والحقائق أو تكذيبها^(٣)، وهذا النقد يتسع لكل جوانب العمل التاريخي والمصادر والدوافع نحو الكذب وأسباب الخطأ وأهمية المشاهدة، وهذا المنهج غاب عن بعض المؤرخين الكبار من المسلمين كالطبري الذي انتهج منهج جمع الخبر والمعلومة التاريخية دون نقد أو تصحيح، وما انتهجه المسعودي هنا إنما كان من بين ما ميزه كمؤرخ صاحب فكر وحس تاريخي متقدم.

فهو يبدأ مع الأخطاء التي يقع بها البعض ممن سبقه من المؤرخين فمثلاً في الإشارة إلى نهر جيحون^(٤)، بين المسعودي الأخطاء التي وقع بها غيره في وصف هذا النهر فيقول: "وقد قيل إن نهر جيحون ينتهي إلى آجام، وقد قيل أنه يصب في بحر الهند مما يلي كرمان"^(٥).

(١) - المسعودي، المروج، ٢/٢٤٧.

(٢) - انظر نصار: مفهوم الأمة بين الدين والتاريخ، ص ٨٣، ومن الغريب أنه هو نفسه كان يقول قبل ذلك بقليل وفي الصفحة نفسها: "العلاقة بين الأرض والأمة في نظرته الاجتماعية الجغرافية علاقة أكيدة".

(٣) - روزنتال، مناهج العلماء المسلمين، ص ١٥٧.

(٤) - نهر جيحون: أصل الكلمة بالفارسية هرون وهو اسم وادي في خراسان في وسط المدينة يقال لها جيهان فنسبه الناس إليها وقالوا جيحون وهو نهر منبعه في موقع يقال له ويوساران وهو جبل يتصل بناحية السند والهند وكابل، الحموي، معجم البلدان، ج ٢، ص ١٩٦.

(٥) - المسعودي، التنبيه، ص ٥٨.

ثم ينتقد ما ورد في هذه المعلومة ويؤكد بأنها معلومة غير صحيحة، إذ زار المكان بنفسه وتبين له أن هذا الوصف لنهر جيحون غير دقيق فيقول: "وقد دخلنا بلاد فارس وكرمان وسجستان فلم نجد لذلك حقيقة"^(١).

وفي تناوله للبحر الرابع (بحر بنطس)^(٢) انتقد المسعودي من سبقه من المصنفين الذين إذا ذكروا ووضعوا هذا البحر مشيراً إلى ما وقعوا به من أخطاء فيقول: "غلط قوم من مصنفي الكتب في البحار ومعمور وراء القسطنطينية طوله ألف وثلاثمائة ميل وعرضه ثلاثمائة ميل ويتصل ببحيرة مايطس"^(٣). ولا يكتفي المسعودي بالإشارة إلى الخطأ في المعلومات بل يتعدى ذلك ليعطي المعلومة الصحيحة، والمسعودي لم يبين الأخطاء الجغرافية فحسب، بل كان شديد الملاحظة على تفاصيل الخبر التاريخي وبالخصوص على السندات والأرقام وهذا ما يدعو لوصفه بالمؤرخ الفذ، ففي حديثه عن هيلاني أم قسطنطين ملك الروم وقدمها إلى الشام ينتقد المسعودي مصنفي الكتب التاريخية وسير النصارى الذين ذكروا بأنها قدمت إلى الشام بعد سبع سنين من حكم ابنها فيقول:

"وهذا غلط فاحش لأن قسطنطين دان بالنصرانية بعد مضي عشرين سنة في ملكه"^(٤)، وهذا يعني أن هيلاني لم ترد الشام إلا بعد مضي أكثر من عشرين سنة على حكم ابنها وليست سبع سنين، فدقة الملاحظة تبدو في منهج المسعودي، فهو لم يكن ناقلاً للخبر التاريخي فحسب، بل كان ملاحظاً ومصححاً وداعياً للاعتماد أو لترجيح خبر على خبر آخر ويدعو المسعودي الكتاب والمؤرخين إلى أخذ الخبر والمعلومة من مصادرها تجنباً للوقوع في الخطأ تماماً كما يفعل هو، ففي حديثه عن الاختلاف في أنساب الفرس يؤكد المسعودي أنه لم يذكر في أنساب الفرس إلا ما ذكره الفرس أنفسهم، ولم يأخذ من غيرهم لأنهم أحق أن يؤخذ عنهم تاريخهم^(٥)، هذه الرؤية التاريخية للمسعودي كانت عاملاً مهماً في إعطائه ثقة كبيرة بدقة ما يمتلكه من معلومات، دفعه بالتالي إلى تصحيح ما وقع به الآخرون من أخطاء.

وينتقد بصراحة وثقة كبيرة ما ذكره الجاحظ (الأخبار عن الأمصار) حول نهر النيل ومخرجه وأنه ونهر مهران السند ينبعان من موضع واحد، مستنداً الجاحظ في ذلك لكونهما يتفقان في الزيادة وكذلك

(١) - المسعودي، التنبيه، ص ٥٨.

(٢) - بحر بنطس: يقع وسط المعمورة بأرض الصقالبة والروس ويتفرع منه خليج يمر بسور القسطنطينية ضيق حتى يصل إلى بحر الشام الذي تطل عليه بلاد الشام ومصر والإسكندرية، الحموي، معجم البلدان، ج ١، ص ٣٤٢.

(٣) - المسعودي، التنبيه، ص ٥٩.

(٤) - المسعودي، التنبيه، ص ١٢٤.

(٥) - المسعودي، التنبيه، ص ٩١ - ٩٢.

لوجود التماسيح فيها وأدلة أخرى أوردتها الجاحظ في كتابه ،وقد سلف ذكر ذلك ويرد المسعودي عليه ناقداً: "ولا أرى كيف ذلك وقع له وقد توجد التماسيح في أكثر أغوار الهند وتلحق بالناس وسائر الحيوانات الأذى"^(١)، ولا يتوانى المسعودي في انتقاده لمتكلمي الإسلام من أصحاب الكتب والمقالات في ردهم عن الزرداشتية إذ يرى بأن أصحاب الكتب كانوا غير دقيقين في عرض أفكار الزرداشتية وإنما قاموا بتعميم هذه الأفكار على الجميع والرد عليها، وهذا الخطأ إنما تم لأن الكتاب لم يرجعوا إلى المصادر الأصلية لمعرفة تفاصيل أدق عن أحوال وأفكار الزرداشتية^(٢).

ومن ناحية أخرى يمكن ملاحظة أن المسعودي يورد روايتين أو أكثر لحادثة واحدة وما يلبث أن يرجح إحداها على الأخرى ويدعو للاعتماد عليها ففي حادثة توزيع النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) لغنائم معركة بدر التي وقعت في السنة الثانية من بعد الهجرة وبالتحديد في منح النبي (صلى الله عليه وسلم) أسهماً لثمانية من الصحابة لم يشهدوا القتال في هذه المعركة، يورد المسعودي روايته ويقول في الأولى: "وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثهم لما خرج من المدينة يتحسسون أخبار السير فعادوا بعد انقضاء الحرب"^(٣)، ويقول في الرواية الثانية: "وقيل إنهم كانوا بالشام في تجارة لهم"^(٤)، ثم يرجح إحدى الروايات على الأخرى بشكل واضح وصريح حيث يقول "والأول أشهر وعليه العمل"^(٥).

وهو لا يكتفي بترجيح واحدة على الأخرى فحسب، بل ينتقد أحياناً ما يرد في الرواية نفسها من مضمون، ويذهب أكثر من ذلك حينما ينتقد الجانب الرومي في مضمون الرواية كما حصل في انتقاده الشديد لبعض المسلمين وقد أسماهم القوم الذين ربطوا بين وفاة إبراهيم بن رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين كسوف الشمس، إذ قالوا بأنها كسفت لموته، ويستشهد المسعودي في معرض انتقاده لهؤلاء بحديث لرسول الله صلى الله عليه وسلم قال فيه: "أيها الناس إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله عز وجل ولا يكسفان لموت واحد ولا لحياته، فإذا رأيتم ذلك فافزعوا إلى الله"^(٦).

(١) - المسعودي، التنبيه، ص ٤٩.

(٢) - المسعودي، التنبيه، ص ٨٦.

(٣) - المسعودي، التنبيه والإشراف، ص ٢٠٥.

(٤) - المسعودي، التنبيه والإشراف، ص ٢٠٥.

(٥) - المسعودي، التنبيه، ص ٢٠٥.

(٦) - المسعودي، التنبيه، ص ٢٣٨.

هذا الحس التاريخي الذي يتمتع به المسعودي لم يكن واضحاً عند الكثير من مؤرخي الإسلام الأوائل، فهو ينتقد المضمون ويستشهد بحديث نبوي شريف، ويدرك أن هذا الاستشهاد سيكون له الأثر الأكبر في نفوس الناس ولن يكون لانتقاده أهمية عند الآخرين من دون هذا الحديث النبوي الشريف. وتجد المسعودي في موقف ناقد آخر، لا يكتفي بترجيح رواية على أخرى بل ينتقد الروايتين معاً، ويظهر هذا بشكل واضح عندما يذكر روايتين يرد فيها ألقاباً للأُمويين كألقاب الخلفاء العباسيين فيورد الرواية الأولى بالشكل التالي: "روى محمد بن عبدالله بن محمد القرشي، قال حدثنا مصعب بن عبدالله عن أبيه عن جده، قال حدثني سابق مولى عبد الملك بن مروان، قال سمعت أمير المؤمنين عبد الملك يقول: "تلقب أمير المؤمنين معاوية بن أبي سفيان (بالناصر لحق الله)، ويزيد بن معاوية بالمنتصر، ومعاوية بن يزيد بالراجع إلى الله"^(١)، ويذكر في الرواية الثانية: "حدثنا أبو مطرف من أبيه عن جده قال: تلقب عبد الملك بالمؤثر لأمر الله والوليد بالمنتقم لله ولقب سليمان بن عبد الملك بالمهدي..^(٢)، وبعد أن يذكر هاتين الروايتين ينتقد مضمونهما معاً ولا يقبل ما ورد فيهما فيقول: "قلو كان الأمر على ما ذكر لظهر واشتهر واستعاض، وجاء في الأخبار المنقولة القاطعة للغدر، وما دونه مصنوع الكتب في التواريخ والسير ممن ذكر أخبارهم ووصف أيامهم علم أن ذلك لا أصل له"^(٣).

ولا يتوقف المسعودي عند نقده لهاتين الروايتين لعدم ورودهما في الأخبار المنقولة، وإنما يسعى كمؤرخ مجتهد يبحث عن الحقيقة في التدقيق عن أصل هاتين الروايتين في حادثة أخرى أثناء زيارته لمدينة طبرية ومشاهدته هناك بعض موالي بني أمية وأنه وجد عندهم كتاباً بعنوان (البراهين في إمامة الأمويين).

ويستثمر المسعودي هذا الحدث ليتأكد من مضمون الروايتين السابقتين، وهنا تتجلى سمات المؤرخ الجاد الذي لا يريد أن ينقد رواية أو أن يصدر حكماً دونما أن تتوتر لديه معرفة تاريخية يقول: "ولم يذكر في هذا الكتاب هذه الألقاب ولا شيئاً منها"^(٤)، وإذا تعذر على المسعودي تصحيح الأخطاء فهو لا يبالي في التصريح بذلك ففي حديثه عن صاحب البحرين من القرامطة وتحركاته في بلاد الشام والعراق ومكة، يذكر المسعودي الاختلافات في عدد من قام القرامطة بقتلهم في هذه الأمصار، فمنهم من زاد في أعداد القتلى ومنهم من أنقص، وكان المسعودي منتقداً شديداً لواضعي هذه الأعداد سواء

(١) - المسعودي، التنبيه، ص ٢٩٠.

(٢) - المسعودي، التنبيه، ص ٢٩٠.

(٣) - المسعودي، التنبيه، ص ٢٩٠ - ٢٩١.

(٤) - المسعودي، التنبيه، ص ٢٩٢.

أكانت زيادة أو نقصان فضبط وحصر أعداد القتلى أمر مستحيل، وإنما وضعهم لهذه الأعداد إنما كان من باب الظن والاحتمال^(١).

ويتعدى المسعودي نقد الروايات إلى نقد أداء الدولة بشكل عام ففي حديثه عن أرض السواد، بين خراجها والأموال الكثيرة التي تدرها وإن هذه الأرض لم تغز، ولم يتم إبادة سكانها، ولكنه يرى أنه بحاجة أن يكون لملاكها ومدبريها فيهم تقوى الله وعدل وغيره وعفة، لتستقيم الأمور وتورد الأموال لكي يسد بها نفقات الملك ويتم إعمار البلاد، وأيضاً لا ينسى المسعودي وهو يتناول هذا الموضوع أهمية الثغور وضرورة الاعتناء بها وشحنها بالمقاتلين ليتم بعد ذلك قمع العدو وهو يرى أن ظلم الرعية سيؤدي إلى جلب البلية^(٢)، وعندما يتناول خلافة الرازي ينتقد أوضاع الدولة ومؤسسة الخلافة حيث يقول "ولم نعرض لوصف أخلاق النقي والمستكفي والمطيع ومذاهبهم، إذ كانوا كالمولى عليهم لا أمر ينفذ لهم"^(٣).

ثم يصف الأوضاع السيئة للدولة حيث يقول: "كل قد غلب على صقعه يحامي عنه ويطلب الازدياد إليه مع قلة العمارة وانقطاع السبل وخراب كثير من البلاد، وذهاب الأطراف وغلبة الروم وغيرهم من الممالك على كثير من ثغور الإسلام"^(٤).

فالمسعودي كان متميزاً في طريقة عرضه للمادة التاريخية ونقدها وهذا التميز يدل على أنه مؤرخ بارع قد تمتع بذكاء حاد وحس تاريخي لم يكن واضحاً عند الكثيرين من أبناء عصره ومؤرخي الإسلام الأوائل.

(١) - المسعودي، التنبيه، ص ٣٣٤.

(٢) - المسعودي، التنبيه والإشراف، ص ٣٦.

(٣) - المسعودي، التنبيه، ص ٣٤٦.

(٤) - المسعودي، التنبيه، ص ٣٤٧.

رابعاً-الفصل الرابع- موارد ومواضيع الكتاب-الجانب
الحضاري والتمهيد لبعض العلوم عند المسعودي

أولاً-موارد المسعودي في كتابه التنبيه والإشراف

١- كتبه ومؤلفاته.

٢- الشعر العربي

٣- الكتب السماوية المقدسة

أ-القرآن الكريم

ب-التوراة

ج-الإنجيل

٤- الحديث النبوي الشريف

٥- كتب ومؤلفات متفرقة

أ-كتب الفلاسفة اليونانيين

ب-كتب الهيئة(الفلك) والجغرافيا العربية

ج-كتب الإخباريين والمؤرخين

ثانياً-الجانب الحضاري في تاريخ المسعودي

ثالثاً- تمهيد المسعودي لبعض العلوم الاجتماعية

أولاً- موارد المسعودي في كتابه التنبيه والإشراف

١-كتبه ومؤلفاته:

ذكر المسعودي بأن كتابه التنبيه والإشراف هو موجز لما ألفه وكتبه، واستكمالاً للمنهج الذي اتبعه في الإيجاز بإيراد المعلومة فإنه عوض ذلك باعتماده على الإحالة لكتبه السالفة، ولذلك يجد الباحث أن مؤلفاته التي كتبها مسبقاً هي المصدر الرئيسي في تأليف هذا الكتاب والحالات التي عاد بها إلى كتبه هي كما يلي:

- ١- كتاب (فنون المعارف وما جرى في الدهور والسوالف) وهو أكثر الكتب التي عاد لها وأحال إليه وكان ذلك في ستة وعشرين مرة^(١).
- ٢- كتاب (مروج الذهب ومعادن الجوهر) ذكره وأحال إليه إحدى وعشرين مرة^(٢).
- ٣- كتاب (الاستذكار لما جرى في سالف الإعصار) ذكره وأحال إليه عشرين مرة^(٣).
- ٤- كتاب (أخبار الزمان وما أباده الحرفان) ذكره وأحال إليه اثنا عشر مرة^(٤).
- ٥- كتاب (مقاتل وفرسان العرب) ذكره وأحال إليه مرتين^(٥).
- ٦- كتاب (المسال والعلل في المذاهب والملل) ذكره وأحال إليه مرة واحدة^(٦).
- ٧- كتاب (سر الحياة) ذكره وأحال إليه مرتين^(٧).
- ٨- كتاب (تقلب الدول وتغيير الآراء والملل) ذكره وأحال إليه مرة واحدة^(٨).
- ٩- كتاب (المقالات في أصول الديانات) ذكره وأحال إليه مرتين^(٩).
- ١٠- كتاب (الإبانة في أصول الديانة) ذكره وأحال إليه مرة واحدة^(١٠).
- ١١- كتاب (وصل المجالس) ذكره وأحال إليه مرة واحدة^(١١).

(١)- المسعودي، التنبيه، ص ص ١٨، ٢٨، ٧٢، ٨٥، ١٠٠، ١٠٢، ١٢٤، ١٢٧، ١٢٩، ١٣٠، ١٣٥، ١٣٦، ١٤١، ١٤٦، ١٤٨، ١٤٩، ١٥٣، ١٥٥، ١٦٦، ١٧٢، ١٨٢، ٢٢٧، ٢٤٣، ٢٨٤، ٢٨٨، ٣٤٧.

(٢)- المسعودي، التنبيه، ص ص ٥٣، ٧٥، ٨٢، ٨٤، ٩١، ٩٢، ٩٣، ٩٦، ٩٧، ١٢٤، ١٢٥، ١٣٣، ١٣٦، ١٤٣، ١٤٤، ١٤٩، ١٨٢، ٢٨٤، ٢٩٣، ٣٤٦، ٣٤٧.

(٣)- المسعودي، التنبيه، ص ص ٤٨، ٧٢، ٧٣، ٨٥، ٨٩، ١١١، ١١٦، ١١٩، ١٢٤، ١٤٩، ١٦٦، ١٨٢، ١٩٦، ٢٣٦، ٢٣٧، ٢٤٣، ٢٥٠، ٢٦١، ٢٨٤، ٣٤٧.

(٤)- المسعودي، التنبيه، ص ص ٨٢، ٨٤، ١١٧، ١٢٤، ١٢٨، ١٢٩، ١٣٥، ١٤٠، ١٤٩، ٢٥٧، ٣٠٨، ٣٤٧.

(٥)- المسعودي، التنبيه، ص ص ٩٠، ١٨٠.

(٦)- المسعودي، التنبيه، ص ١٣٣.

(٧)- المسعودي، التنبيه، ص ص ٣٠٦، ١٣٣.

(٨)- المسعودي، التنبيه، ص ٢٨٩.

(٩)- المسعودي، التنبيه، ص ص ١٣٧، ٣٦.

(١٠)- المسعودي، التنبيه، ص ٣٠٦.

(١١)- المسعودي، التنبيه، ص ٢٨٨.

- ١٢- كتاب (أخبار المسعوديات) ذكره وأحال إليه مرة واحدة^(١).
 - ١٣- كتاب (الكتاب الأوسط) ذكره وأحال إليه ثلاث مرات^(٢).
 - ١٤- كتاب (خزائن الدين وسر العالمين) ذكره وأحال إليه ثلاث مرات^(٣).
 - ١٥- كتاب (ذخائر العلوم وما جرى في سالف الدهور) ذكره وأحال إليه أربع مرات^(٤).
 - ١٦- كتاب (نظم الجواهر في تدمير الممالك والعساكر) ذكره وأحال إليه مرة واحدة^(٥).
 - ١٧- كتاب (نظم الأعلام في أصول الأحكام) ذكره مرة واحدة في المقدمة وليس في المتن^(٦).
 - ١٨- كتاب (نظم الأدلة في أصول الملة) ذكره مرة واحدة في المقدمة وليس في المتن^(٧).
- فمن خلال التنبيه والإشراف أراد المسعودي أن يوضح أن أهم كتبه هي مروج الذهب والاستدكار وفنون المعارف، فقد أحال إليها وذكرها أكثر من عشرين مرة لكل كتاب، هذا وقد أشار المسعودي في كتابه التنبيه إلى مجموعة من كتبه المفقودة وإلى ماهية هذه الكتب وما حوته من معلومات.

٢- الشعر العربي:

قد لا تخلو صفحة من صفحات كتاب التنبيه والإشراف من الاستشهاد بالشعر العربي، إلا أنه لا يأخذ من القصيدة إلا بضعة أبيات ذات علاقة بالحدث، وأكثر مرة اخذ فيها كانت سبعة أبيات من قصيدة لزفر بن الحارث الكلابي^(٨)، ولا يُريد الباحث الاستقصاء تحت هذا العنوان كل ما يتعلق بالشعر لدى المسعودي، لأن ذلك أكثر وأدق من أن تأتي عليه في مثل هذا المقام، ولكن قصد هنا هو إبراز أن المسعودي كان يعتمد في بعض الأحيان على إيراد الأشعار وذلك لأهداف مختلفة، ولكن يبدو أن ولعه بالشعر يعود لثلاثة أمور:

١. نزعتة الشعرية وذوقه الأدبي الرفيع، حيث يلاحظ منه ميلاً واضحاً إلى التنبيه إلى الأساليب الأدبية القوية والمعاني السامية من كلام العرب وغيرهم من الأمم القديمة التي كان لها نصيب

(١)- المسعودي، التنبيه، ص ٢٨٨.

(٢)- المسعودي، التنبيه، ص ٨٤، ١، ٣٤٠.

(٣)- المسعودي، التنبيه، ص ص ٨٩، ١٣٧، ٣٤١.

(٤)- المسعودي، التنبيه، ص ص ١٤٧، ١٤٩، ١٨٥.

(٥)- المسعودي، التنبيه، ص ٣٤٧.

(٦)- المسعودي، التنبيه، ص ١.

(٧)- المسعودي، التنبيه، ص ١.

(٨)- المسعودي، التنبيه، ص ٢٦٨.

من الحكمة وجازت فنوناً من المعرفة، ومما يوضح هذا الاتجاه لدى المسعودي حسن اختياره للأبيات الشعرية ذات المعاني البليغة المؤثرة وذات الألفاظ السهلة الجميلة^(١).

٢. موسوعيته، حيث لم يترك فناً من الفنون إلا وقد خاض فيه، وكان الشعر منها الأقرب إلى قلبه، يحفظ منه عيونه وشواهد^(٢).

٣. إن المؤرخ -في ذلك العصر- كان أدبياً بطبيعة الحال، ولا يمكن أن يعرف التاريخ جيداً إلا بعد أن يأخذ قسطاً وافراً من الأدب وفنونه، ولا سيما أن التاريخ في نظر المسعودي يحتاج إلى أن يطعم بالأدب لإضفاء المتعة وطرده الملل والسأم عن القارئ.

ومن المعروف أن الشعر العربي القديم يعد مصدراً قيماً من المصادر التي تكشف كثيراً من الجوانب التاريخية والاجتماعية والدينية وحتى الاقتصادية في عصر قبل الإسلام، وذلك لأنه السجل المحفوظ المتداول بين الناس ولكن المسعودي -كمؤرخ- استخدم الشعر بصفة عامة وهو يرمي إلى تحقيق عدد من الأهداف منها:

❖ تدعيم مصادره، وتوضيح بعض الحقائق التاريخية بإدراج الشواهد من الشعر عليها، والأمثلة على ذلك كثيرة جداً^(٣)، وكفي إيراد مثلاً واحداً منها للإيضاح، التأكيد أن عثمان بن عفان قتل ليلة الأضحى فدعم ذلك بقول الفرزدق^(٤):

عثمان إذ قتلوه وانتهكوا دمه صبيحة ليلة النحر

❖ دعم وإثبات الآراء التي يميل إليها، أو آرائه الخاصة، مثل ما ذكره من أن يزيد بن معاوية كان عاجز عن استلام الخلافة فأورد قول الشاعر^(٥):

إني أرى فتنة تغلي مراحلها وذلك بعد أبي ليلى لمن غلبا

والى غير ذلك من الأهداف التي قصد بها المسعودي زيادة على الارتقاء بمنهجه التاريخي إلى الاستفادة من كل ما هو متوفر من المصادر والمناهج

❖ التعبير عن العواطف الجياشة العميقة، أو التحدث عن أخلاق الناس وعاداتهم وخرافاتهم، أو إعطاء النكهة الأدبية للعمل التاريخي المحض.

(١)- المسعودي، التنبيه، ص ٢٦٥، ١٩٥، وينظر المسعودي، المروج، ١٩٤/٥-١٩٥.

(٢)- المقصود بالشواهد الشعرية التي تقال في مناسبات مهمة تاريخية أو غيرها. أنظر: المسعودي، التنبيه، ص ٢٠٨.

(٣)- المسعودي، التنبيه، ص ٢٦٤، ٢٦٣، ٢٤٨، ٢٠٨، ٧٧، ٧٦، ٣٨، ٣٤، ١٧، ٦، ٧، الخ. المسعودي المروج، أنظر مثلاً:

١٩٠، ٥٦/١، ٥٦-٥٥، ١٦٦-١٦٧، و

(٤)- المسعودي، التنبيه، ص ٢٥٣

(٥)- المسعودي، التنبيه، ص ٢٦٥

ومما يلاحظه الدارس لمؤلفات المسعودي وخاصة التنبيه أن الشعر لا يكاد يختفي في أثناء عرض المادة التاريخية، لكنه يلاحظ أنه يطغى إيراده في الصفحات التي تحدث فيها عن شخصيات الخلفاء وأخلاقهم في الأجزاء المخصصة لبحث التاريخ الإسلامي، وفي هذه الأجزاء يبرز الطابع الأدبي لدى المسعودي بصورة قوية.

كما يلاحظ أنه يميل في استشهاده إلى أغراض معينة من الشعر كالرثاء والزهد وما يتصل بذلك من الأشعار التي تحمل طابع التعبير عن ما يحدث في هذا العالم من تقلبات الدهر وفناء المناهج الدنيوية وحدوث المآسي البشرية، والثورات والدمار الذي تخلفه الحروب، يوجد لديه قصائد كثيرة قيلت في رثاء الخلفاء والعلماء والوجهاء^(١).

ويلاحظ تقضيل المسعودي لبعض الشعراء واستحسانه لأشعارهم كأبي تمام وأبي العتاهية، وابن الرومي، ويمكن أن يعزى ذلك إلى أن المسعودي كان يفضل الأشعار التي تتناول الحقائق وتتسم بالواقعية كما يلاحظ من الطابع العام لأشعار انتقاها لهؤلاء الثلاثة^(٢).

وأخيراً فإن الباحث يلاحظ أن المسعودي لم يكن مجرد ناقل هاوٍ للشعر فحسب بل هو بالإضافة إلى ذلك ناقد متبصر يميز الغث من السمين، ويعرف مواطن الضعف والقوة في الأبيات أو القصائد التي يتحدث عنها، ولذلك يختار أفضل ما قيل من القصائد وأفضل الأبيات من القصيدة مثل ذكره لحنين الشخص لموطنه الأصلي بعد أن كثر ترحاله فأخذ من قصيدة أبو دلف القاسم بن عيسى العجلي^(٣):

أيا نكبة الدهر التي طوحت بنا أيادي سبا من شراقها والمغرب
قض بالتي نهوى فقد طرت بالتي إليها تناهت فاجعات المصائب

وهكذا فإن المسعودي استفاد من الشعر في منهجه التاريخي مستخدماً إياه في مواطن كثيرة، حيث يؤكد حقيقة، أو يوضح مسألة أو يكشف عن غامض، وكل ذلك عن معرفة ودراية وتبصر في هذا الشعر.

(١) - المسعودي، التنبيه، ص ١٨٧، ويلاحظ أن قصائد الرثاء في آل أبي طالب كثيرة جداً لدى المسعودي.

(٢) - المسعودي، التنبيه، ص ٢٠٨، ٧٦، ٧٧، المسعودي، المروج، ٣٣٦-٣٣٣/٤، ٣٧٤-٣٦٤، ٨٤/٥-١٨٥.

(٣) - المسعودي، التنبيه، ص ٣٨.

٣- الكتب السماوية المقدسة:

عند دراسة مصادر المسعودي عن التوراة والإنجيل والقرآن يجب العودة إلى كتابه المروج لأن المسعودي رجع إليها في هذا الكتاب وخاصة التوراة ، وعدها مصدراً رئيساً من مصادره، ولا سيما في الأبواب الثلاثة الأولى من كتاب المروج، والذي هو أحد أهم مصادر كتاب التنبيه المهمة:

آ- القرآن الكريم:

عُدَّ المسعودي القرآن الكريم مصدراً مهماً من مصادره التي اعتمد عليها ونقل منها، وخاصة في الأبواب التي تتحدث عن المبدأ وشأن الخليقة وذرة البرية، وعن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وأخبارهم مع أممهم، ولو تم تتبع الأماكن والمواضع التي استشهد فيها المسعودي بآيات القرآن الكريم لوصل ذلك إلى حد الإسهاب^(١)، ولكن ما يجب الالتفات إليه هو أن المسعودي كان عندما يجد نصاً من القرآن الكريم مبيناً لقضية من القضايا أو مسألة من المسائل يقف عنده ويحترمه وينسف كل الأقوال الأخرى التي لا تتفق معه أو تنافيه. ومن الأمثلة التي توضح ذلك، أنه عندما تحدث عن كيفية تصور الجنين في الرحم، أورد آراء أهل القدم، وهم فلاسفة اليونان: جالينوس وأرسطاطاليس وغيرهم وآراء أصحاب الاثنين وغيرهم ممن تقدم وتأخر، ثم ختم حديثه عن هذا الموضوع بالقول: "والذي يقضي على سائر ما تقدم وصفه وينقطع علم العقول عنده هو ما أخبر به الباري عز وجل في كتابه بقوله: {هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ ۚ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} (٢)، ولم يخبر عن كيفية وقوع ذلك وما سبب مواده، بل استأثر بعلمه وأبدى الدلالة بظهور حكمته دالة على توحيده وإتقانه لما أظهر لعباده من حكمته، ثم أخبر تعالى عن المبدأ الذي خلقهم منه فقال: {إِنَّ كُنُتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِّنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِّنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِّنْ مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُّخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقَرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ مُّطْفَلًا ثُمَّ لِنَبْلُغْهُنَّ أَشُدَّكُمْ وَأَسَدُّكُمْ وَمِنْكُمْ مَّنْ يُّتَوَفَّىٰ وَمِنْكُمْ مَّنْ يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْدَلَالٍ عُمُرٍ لَّكَيْلَا يَعْلَمَ مِّنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْنًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ} (٣)".

(١)- انظر: المسعودي ، التنبيه، ٢٩٤، ٢٤٣، ٢٣٦، ٢٢٩، ٢٢٧، ٢٢٥، ٢٢٢، ٢٠٣، ١٨٦، ١١٦، ٨٢، ٦٦، ١٩.

(٢)- سورة آل عمران: الآية رقم ٦.

(٣)- سورة الحج: الآية رقم ٥.

ب- التوراة^(١):

رجع المسعودي إلى التوراة وعدّها مصدراً مهماً ، والتي تناولت قصة المبدأ والخلق، وقصة إبراهيم عليه السلام ومن تلا عصره من الأنبياء والملوك من بني إسرائيل^(٢).
وقد أفصح المسعودي في مواضع كثيرة من هذه الأبواب^(٣) ومن غيرها^(٤) بأخذه من التوراة المترجمة إلى اللغة العربية، وكان عدد من أحبار اليهود قد نقلوها إلى اللغة العربية، منهم حنين بن إسحاق، وقد أثنى المسعودي على ترجمته، وقال عنها إنها: "أصح نسخ التوراة عند كثير من الناس"^(٥) مما يدل على أن المسعودي قد عوّل عليها، وكان حنين قد ترجمها عن اليونانية من النسخة التي ترجمت لملك اليونان أبطليموس الكسندرس في الإسكندرية، حيث قام اثنان وسبعون حبراً من أحبار اليهود بنقلها من العبرانية إلى اليونانية^(٦) ومن المؤكد اطلاع المسعودي على أكثر من نسخة من نسخ التوراة المترجمة^(٧). ويوجد عدد من اليهود قد ترجموها مثل أبي كثير يحيى بن زكريا الكاتب الطبراني، وسعيد بن يعقوب الفيومي، وقد نقل الاثنان من النص العبري الأصل^(٨).

ج- الإنجيل^(٩):

وقد استفاد المسعودي من الإنجيل وسجل بعض المعلومات المتعلقة بالمسيح عليه السلام^(١٠)، وأورد قصة دعوة الحواريين، وذكر أسماء أصحاب الأناجيل الأربعة، وتحدث عن هذه الأناجيل حتى كأنه قد رآها^(١١).

(١)- هي العهد القديم وهو كتاب اليهود الذي أنزله الله تعالى على نبيه عليه، ولكن اليهود حرفوه وبدلوه بعد وفاته. أنظر: ابن حزم: الفصل في الملل والأهواء والنحل ٩٢/١ وما بعدها، وانظر: هوروفتزر (Horovitz): مادة توراة، دائرة المعارف الإسلامية، الترجمة العربية ٥/٦.

(٢)- قام شارل بلا منفتح ومصحح كتاب المروج بمقابلة ما ذكره المسعودي في هذه الأبواب الثلاثة مع نصوص التوراة مشيراً إلى أسفارها وأرقام نصوصها، وهي مقابلة دقيقة بين فيها أوجه التطابق والاختلاف بين ما ذكره المسعودي وما هو موجود في التوراة، أنظر: المسعودي، المروج، ٣١/١-٧١.

(٣)- المسعودي، المروج، ٣٦/١، ٤٥، ٥٥، ٥٧، ٦٩.

(٤)- المسعودي، التنبيه، ص ٧٨، ٨١. المروج، ٣٣/٢، ١٦٩، ٢٣٥، ٢٤٩، ٦/٣.

(٥)- المسعودي، التنبيه، ص ١١٤.

(٦)- المسعودي، التنبيه، ص ١١٢.

(٧)- المسعودي، المروج، ٥٧/١-٦٩.

(٨)- انظر: هوروفتزر: مادة التوراة، ٥/٦.

(٩)- هو العهد الجديد، وهو كتاب المصاري الذي أنزله الله تعالى على عيسى بن مريم عليه السلام ولكنه أيضاً قد دخله التحريف والتغيير، لأنه لم يكتب إلا بعد أن رفع الله عيسى إلى السماء. كتبه الحواريون الأربعة وهم متى ويوحنا ومرقس ولوقا، وغيرهم. أنظر: ابن حزم: الفصل في الملل والأهواء والنحل ١٩/٢ وما بعدها، وكارادفو: مادة إنجيل، دائرة المعارف الإسلامية، الترجمة العربية ٣/١٣-١٤.

(١٠)- المسعودي، المروج، ٣٤/٢.

(١١)- المسعودي، المروج، ١٧/١، ٣٧/٢.

وتحدث عن قيام بعض تلاميذ المسيح^(١) بالدعوة إلى الله تعالى، وما لاقوه في سبيل ذلك من الحبس والضرب والقتل والصلب منكسين على رؤوسهم^(٢)، ثم أشار إلى تفرق أولئك التلاميذ في الأرض ووفياتهم وأماكن قبورهم^(٣) وإلى عددهم وبعض تشريعاتهم^(٤).

ومن الغريب أن المسعودي لم يتطرق إلى ذكر أي معلومات واضحة تفيد عن ترجمة الإنجيل إلى اللغة العربية، لكن من المؤكد أنه قد اطلع على إحدى الترجمات القديمة المنقولة عن اليونانية والسريانية والقبطية^(٥). بدليل ما أورده من معلومات دقيقة عن المسيح وتلاميذه، وبدليل بعض الإشارات العابرة إلى ذلك^(٦).

مما سلف ظهر أن المسعودي كان ينقل من مصادره بدقة مستخدماً الألفاظ نفسها التي يجدها في الكتب^(٧)، ويخبر أنه كان في بعض الأحيان يعرض عن ذكر بعض التفاصيل التي يجدها في الكتب المقدسة عند اليهود والنصارى، كالتوراة والإنجيل، وذلك إذا رأى أنها لم ترد في كتاب الله تعالى وهو القرآن الكريم، أو لم يخبر بها نبيه محمد صلى الله عليه وسلم^(٨).

٤- الحديث النبوي الشريف:

وأما في استناده للحديث النبوي الشريف، فقد كان المسعودي يحفظ كثيراً من أقوال الرسول صلى الله عليه وسلم ويستشهد بها في مناسبات عديدة^(٩)، وقد خصص أحد أبواب كتاب المروج لـ "ذكر ما بدأ به عليه السلام من الكلام مما لم يحفظ قبله عن أحد من الأنام"^(١٠). في استناده للحديث النبوي الشريف، وفي مكان آخر يتعامل مع ما يرد في الحديث النبوي الشريف تعامل جدي وعملي إذ يورد حديثاً لرسول الله ص الذي يشير فيه إلى كذب النسابة وعدم دقتهم، وتفاعلاً مع مضمون هذا الحديث النبوي لا يذكر المسعودي بقية نسب الرسول ص إلى نهايتها بل انه يتوقف بالسلسلة عند معد^(١١).

(١)(١) - هم بطرس- وبولس وتوما.

(٢) - المسعودي، المروج، ٧٣/١ - ٧٤، ٣٥/٢.

(٣) - المسعودي، التنبيه، ص ١٢٨. المروج، ٣٦/٢.

(٤) - المسعودي، المروج، ٣٧/٢.

(٥) - انظر: كارادفو: مادة إنجيل، ١٠/٣.

(٦) - انظر: المسعودي، المروج، ٧١/١، ٤٠١/٢.

(٧) - المسعودي، المروج، ٣٥/١.

(٨) - المسعودي، المروج، ٧١/١.

(٩) - انظر: المسعودي، التنبيه، ٢٤٠، ٢٣٨، ٢٣٦، ٢٣٤، ٢٣٣، ٢٣٢، ٢٢٧، ٢٢٢، ٢٢١، ٢٠٨، ١٩٥، ١٨٧، ٩٠.

(١٠) - المسعودي، المروج، ٣٨-٣٣/٣.

(١١) - المسعودي، التنبيه، ص ١٩٥.

٥- مؤلفات متفرقة:

ومن مصادره المهمة مجموعة من الكتب والمؤلفات التي عاد لها وذكرها في كتابه التنبيه فقد أخذ عن عدة من العلماء وقد سلف ذكر بعض منهم، فقد عقد المناظرات والمناقشات أثناء تجواله، وكان شعاره "الحكمة ضالة المؤمن فخذ ضالتك ولو من أهل الشرك"^(١).

وكان إدخال صناعة الورق إلى بلدان العالم الإسلامي في بداية القرن الثاني الهجري/الثامن الميلادي^(٢) من العوامل الرئيسية التي ساعدت على انتشار العلوم والمعارف وتنوع الثقافات، وذلك بتيسير استتساخ الكتب وسهولة تداولها بين الناس، وظهور المكتبات العامة والخاصة ومحلات بيع الكتب في مختلف مراكز الثقافة الإسلامية.

وإن إلقاء نظرة سريعة على كتاب الفهرست للنديم أو على غيره من الكتب المماثلة يظهر وفرة إنتاج المسلمين الثقافي، وتنوع التراث الذي خلفوه في شتى ميادين العلم والمعرفة، وما من شك في أن المسعودي قد استفاد إلى حد بعيد من مثل تلك التسهيلات ومن ذلك الثراء الفكري الناضج، وتمكن من الاطلاع على المؤلفات التاريخية والأدبية والفقهية وغيرها من المؤلفات التي كتبت بواسطة علماء عاصروه أو عاشوا في العصر الذي سبقه، واطلع كذلك على مؤلفات العلماء والفلاسفة الإغريق والمسلمين ودراساتهم الفلسفية والعلمية، وتظهر بجلاء حقيقة هذا القول إذا ما دقق النظر في عدد الكتب والمؤلفات التي ذكرها المسعودي في ثانيا كتابه التنبيه، والتي تزيد على المائة عدداً.

ومهما يكن من أمر فإنه كان يشير إلى المصادر عند المناسبة أو في الأمكنة الملائمة التي اعتمد فيها على تلك الموارد، وهي موارد متنوعة مختلفة بعضها في التاريخ وبعضها في الجغرافيا وبعضها في الأدب وبعضها في الفلسفة والطب وغير ذلك من الفنون^(٣).

ولم يكتف المسعودي بسرد مصادره التي اعتمد عليها في ثانيا كتابه، وإنما جاوز ذلك إلى الحكم على بعضها ونقدها نقداً علمياً صحيحاً، فهو أحياناً يعلق على المؤلف ويبين طريقته في التأليف ومزايا مصنفاته وتأثيره على المؤلفين الآخرين الذين جاؤوا بعده^(٤)، وأحياناً أخرى يبين لماذا وصلت

(١)- المسعودي، مروج، ج ٤، ص ٧٤.

(٢)- انتقلت صناعة الورق من الصين إلى سمرقند، ومنها إلى بغداد ثم بقية بلدان العالم الإسلامي وقد كثر الورق وفشا بين الناس منذ عهد هارون الرشيد. انظر: القلقشندي: صبح الأعشى ٤٨٦/٢.

(٣)- انظر: علي: موارد تاريخ المسعودي، ص ٢٥.

(٤)- المسعودي، المروج، ١/٤، انظر ثناءه على عبيد الله بن خرداذبة.

بعض المؤلفات إلى مرتبة سامية ودرجة رفيعة من الكمال^(١)، وأحياناً أخرى ينتقد بعض المؤلفين أو مؤلفاتهم، ويبين الأسباب التي دعت به إلى ذلك^(٢)، وأحياناً يكشف عن المؤرخين الذين يعتمدون إلى سلب أو نقل ما هو موجود في مؤلفات غيرهم فينسبونهم إلى أنفسهم^(٣)، ومن هنا يرى الباحث كيف أن المسعودي كان حريصاً على عرض مصادره وتحليلها وبيان قيمتها الموضوعية، والدلالة على فضل أصحابها وبيان منزلتهم من العلم.

هذا وسوف يتم الحديث عن مصادر المسعودي مقتصرًا على تلك التي صرح برجوعه إليها في ثنايا كتابه التنبيه، وبالإضافة إلى الأخذ من كتابه المروج، ووجب التنبيه في هذه المناسبة إلى أن المسعودي في الكتابين المذكورين قد ذكر عدداً كبيراً جداً من أسماء المؤلفات والكتب المؤلفة قبله، ولكن ذلك لا يعني بالضرورة رجوعه إليها كلها، فقد يكون سمع بها أو أقر عنها شيئاً، أو حتى اطلع عليها لكنه لم يذكرها على أنها أحد مصادره، ولهذا فليس كل ما ذكر من هذا القبيل يعد مصدراً من مصادر المسعودي.

وسيتناول الباحث الحديث عن مصادر المسعودي من الكتب على النحو التالي:

آ- كتب الفلاسفة اليونانيين:

منذ أن نهضت دولة بني العباس اعتنى خلفاؤها بنقل العلوم من اللغات الأجنبية إلى اللسان العربي، وبخاصة علوم اليونان، من فلسفة وهندسة وطب وغيرهما^(٤)، وقد ازدهرت حركة النقل والترجمة في عهد الخليفة هارون الرشيد ولا سيما بعد أن امتد نفوذ المسلمين إلى بعض المدن الرومية الكبرى التي يوجد فيها أعداد كبيرة من المؤلفات اليونانية القديمة، وكذلك بفضل تشجيع البرامكة للمترجمين وبذلهم الأموال الضخمة لهم، أما في عهد المأمون فقد وصلت حركة الترجمة ذروتها وازدهرت العلوم بشكل عام، وقد كان بين المأمون "وبين ملك الروم مراسلات -وقد استظهر عليه المأمون- فكتب إلى ملك الروم يسأله الإذن في إنفاذ ما يختار من العلوم القديمة المخزونة ببلاد الروم، فأجاب إلى ذلك بعد امتناع، فأخرج المأمون لذلك جماعة منهم الحجاج بن مطر، وابن البطريق، وسلماً صاحب بيت الحكمة وغيرهم، فأخذوا مما وجدوا ما اختاروا، فلما حملوه إليه أمرهم

(١)- المسعودي، المروج، ١/١٥، انظر حديثه عن تاريخ الطبري.

(٢)- المسعودي، التنبيه، ص ١١٥، انظر إشارته إلى سنان بن ثابت بن قرة.

(٣)- المسعودي، المروج، ٣٥٩/٢، انظر إشارته إلى ابن قتيبة ونقله عن أبي حنيفة الدينوري.

(٤)- النديم: الفهرست، ص ٣٤٠.

بنقله فنقل^(١)، وصارت دائرة النقل تتسع وتتداح حتى جاء عصر المسعودي فكانت أغلب المصنفات اليونانية بأيدي القراء^(٢).

ومما يلفت النظر اهتمام المسعودي البالغ بدراسة وتقصي ذلك التراث حتى أصبح لديه إلمام بأغلب ما ألف في ميادين الجغرافيا والفلك والطب والفلسفة والمنطق، وأصبحت أسماء الفلاسفة اليونانيين وأسماء مصنفاتهم تتردد في كتبه، ولم يكن المسعودي مجرد قارئ وناقل وحسب، بل كان ينقد ويحلل ويدقق في بعض المشكلات والمسائل التي طرقتها، ويبين عن أوجه النقص والعيوب فيها، وقد كان ذا معرفة واطلاع على ما ألفوه منذ أقدم عصورهم، فيبدو أنه شاهد بعض مصنفات أنبديليس (ت ٤٣٥ ق.م.)، حيث ذكر في معرض حديثه عن كيفية تصور الجنين في الرحم أن "هذا موجود في كتاب أنبديليس الكبير فيما ذكره من مذهبه في كيفية تركيب العالم واتصال النفس بعالمها وغير ذلك"^(٣). أما سقراط الحكيم (ت ٣٩٩ ق.م.) فكان يعرف بعض آرائه^(٤)، وتحدث عن زهده^(٥)، وكيفية مقتله^(٦).

وأما أبقرط (ت ٣٧٠ ق.م.)، فقد عرف المسعودي كتبه المصنفة في الطب التي ترجمها وشرحها جالينوس وغيرها، وكتاب الفصول، وكتاب مقدمة المعرفة وهو كتاب الأمراض الحادثة^(٧)، وكتاب ماء الشعير وهو كتاب تدبير الأمراض، وكتاب أبديما^(٨) وهو كتاب الأهوية والبلدان، وغير ذلك من الكتب المنسوبة إليه من السنن وغيرها^(٩). وعرف "كتاب إيمان أبقرط"^(١٠) الذي فسره وشرحه جالينوس. وقام بترجمته حنين بن إسحاق، وحكى المسعودي عنه كثيراً من حكمه ومقالاته، ومن أعمال أفلاطون (ت ٣٤٧ ق.م.) كان يعرف كتاب السياسة المدنية^(١١)، الذي هو كتاب الجمهورية، وكتاب فادون^(١٢)، الذي يبحث في النفس، و "كتابه المعروف بطيماوس فيما بعد الطبيعة وهو ثلاث مقالات إلى تلميذه طيماوس مما ترجمه يحيى بن البطريق، وهو غير كتابه طيماوس الطبي الذي ذكر فيه كون العالم

(١)- النديم، الفهرست، ص ٣٣٩.

(٢)- لمعرفة أشهر الفلاسفة اليونانيين وأسماء مصنفاتهم، انظر: النديم، ص ٣٧١ وما بعدها.

(٣)- المسعودي، المروج، ٣٥٥/٢.

(٤)- المسعودي، التنبيه، ص ١١٧، والمروج ٢٨٩/١.

(٥)- المسعودي، التنبيه، ص ١١٧-١١٨. المروج، ٣٨١/٤.

(٦)- المسعودي، المروج، ٣١٧/٢.

(٧)- يسمى النديم هذا الكتاب الأمراض الحادة ويعد كتاباً مستقلاً. انظر: الفهرست، ص ٤٠١.

(٨)- اسمه عند النديم (أبيديما)، الفهرست، ص ٤٠١.

(٩)- المسعودي، التنبيه، ص ١٣٢.

(١٠)- المسعودي، التنبيه، ص ١٣١.

(١١)- المسعودي، التنبيه، ص ١٣١، ١١٨. المروج، ٣١٧/٢.

(١٢)- المسعودي، التنبيه، ص ١٣٢. المروج، ٣١٧/٢.

الطبيعي وما فيه، والهيئات والألوان وتراكيبها واختلافها وغير ذلك، شرحه جالينوس، وفسره حنين بن إسحاق، وذكر بأنه سقط عنه منه كراستان، الأولى والثانية، والذي حصل من ترجمته أربع مقالات^(١). وأما أرسطاطاليس بن نيقوماخس (Aristotle)^(٢) (ت ٣٢٢ ق.م.)، فقد أحاط المسعودي بأكثر مصفاته وأشار إليها في مناسبات عديدة، ومن أشهرها كتاب المنطق الذي أفاض في الحديث عنه^(٣)، وكتاب الحيوان تحدث فيه عن أجزاء الحيوانات ومنافع أعضائها^(٤)، وقد نقله إلى العربية ابن البطريق^(٥)، وكتاب السياسة "الذي رسمه بسياسة المدن وهو كتاب ذكر فيه سياسة أمم ومدن اليونانيين، ويسمى باليونانية (بوليطيا)^(٦)، ومن كتبه عرف المسعودي أيضاً كتاب ما بعد الطبيعة، الذي ذكر فيه ترتيب العوالم، وفسره ثامسطيوس^(٧)، وترجمه إلى العربية إسحاق بن حنين^(٨)، وكتاب الآثار العلوية^(٩)، وكتاب السماء والعالم، وكتاب سمع الكيان^(١٠)، وكتاب النفس^(١١)، وعرف رسائله التي التي كان يبعث بها إلى الاسكندر في السياسات الديانية والملوكية^(١٢)، وقد كان أرسطاطاليس معلماً للإسكندر ووزيراً له^(١٣).

قال المسعودي: "وأرسطاطاليس هو تلميذ أفلاطون، وأفلاطون تلميذ سقراط وسقراط تلميذ أرسيلوس، وأرسيلوس تلميذ انكساغورس^(١٤)".

ومن المحتمل اطلاع المسعودي على مصنفات كل من ثاوفرسطس (ت ٢٨٧ ق.م.)، وهو ابن أخت أرسطاطاليس^(١٥)، وأوديموس في الفلسفة المدنية^(١٦).

(١)- المسعودي، التنبيه، ص ١٦٢-١٦٣.

(٢)- أنظر: تفسير المسعودي، لمعنى هذا الاسم في التنبيه، ص ١١٦.

(٣)- أنظر: المسعودي، والتنبيه، ص ١٣٢. المروج، ٥٦/١، ١١٦، ١٥٠، ٩/٢، ٧٣، ١١٢، ١٢٣، ١٣٧، ٣١٦، ٣٥٤، ٣٩١، والتنبيه، ص ٦٩-٧٠.

(٤)- المسعودي، التنبيه، ص ١١٦. المروج، ١١٦/١، ١١٢/٢، ١٢٣.

(٥)- النديم: الفهرست، ص ٣٥٢.

(٦)- المسعودي، التنبيه، ص ٧٨.

(٧)- هو ثامسطيوس: هو فيلسوف وخطيب وشارح لأرسطو ومن أحد أتباعه ابن تيمية، الرد على المنطقيين، ص ٣٨١-٣٨٢.

(٨)- المسعودي، التنبيه، ص ١٦٣، ١٢٠، والمروج ٩/٢.

(٩)- المسعودي، التنبيه، ص ٣٠-٤٧، ٦٩-٧٠.

(١٠)- المسعودي، التنبيه، ص ١٢٠-٩٦.

(١١)- المسعودي، المروج، ٣١٦/٢، ٣١٧، ٣٩١.

(١٢)- المسعودي، التنبيه، ص ٨٧، ٢٠٢.

(١٣)- المسعودي، المروج، ٢٧٦/١، ٩/٢.

(١٤)- المسعودي، التنبيه، ص ١٢١، والمروج ٩/٢.

(١٥)- النديم: الفهرست، ص ٣٥٣.

(١٦)- المسعودي، التنبيه، ص ١٢١.

ورأى المسعودي كتاب جغرافيا في صورة الأرض وشكلها وبحارها وأنهارها وعامرها وغامرها^(١) لمؤلفه مارينوس وأثنى عليه^(٢)، كما اطلع على أرساد أبرخس^(٣) أو هيبارخس وهو أحد واضعي أسس علم الهيئة وقياس الدرجات^(٤).

أما بطليموس القلوزي (ت ٢٦١م)^(٥)، فقد كان المسعودي متشبعاً بكتبه ومطلعاً على معظمها، ولعل هذا يعود إلى إعجابه الشديد به وميله إلى آرائه، وقد استفاد المسعودي من مصنفاته في الجغرافيا وفي الهيئة والفلك، مثل كتاب جغرافيا^(٦)، وقد كشف المسعودي عن محتوياته^(٧)، وكتاب المجسطي^(٨)، وكان "أول من عني بتفسيره وإخراجه إلى العربية يحيى بن خالد بن برمك، ففسره له جماعة فلم يتقنوه ولم يرض بذلك، فندب لتفسيره أيا حسان وسلم (هكذا) صاحب بيت الحكمة، فأتقناه واجتهدا في تصحيحه بعد أن أحضرا النقلة المجودين، فاخترتوا نقلهم وأخذوا بأفصح وأصح^(٩)"، وعرف المسعودي كتابه في الهيئة^(١٠)، وكتاب مسكون الأرض^(١١) وقد انتقد المسعودي بطليموس في هذا الكتاب الأخير لأنه كان قد عاب على بعض الفلاسفة قبله اعتمادهم على أقوال المخبرين من التجار وغيرهم، فلما جاء يؤلف كتابه هذا وقع فيما حذر منه وعاب عليه، "وهذا دخول منه فيما أنكره"^(١٢) على غيره، وقرأ كتابه في المدخل إلى الصناعة الكريّة^(١٣)، ونقل منه، كما عرف كتبه الأخرى مثل: المقالات الأربع، والقانون الذي عمل عليه ثاون الاسكندراني، وكتاب الأنوار، وكتاب الموسيقى^(١٤).

وكان المسعودي عارفاً أيضاً بمؤلفات جالينوس (ت ٢٠٠م) وهو "تاج الأطباء وإمامهم في عصره الذي به يقتدون وعلى كتبه يعولون"، فقد عرف كثيراً من شرواته وتعليقاته على كتب أبقراط،

(١)- المسعودي، التنبيه، ص ١٢٧.

(٢)- المسعودي، التنبيه، ص ٣٣.

(٣)- المسعودي، التنبيه، ص ١٢٩، ٢١٩، ٢٢٠، ٢٢٢.

(٤)- عاصي: موارد تاريخ المسعودي، ص ٣٣.

(٥)- يسميه المسعودي في المروج بطليموس، والتنبيه أبطليموس.

(٦)- المسعودي، التنبيه، ص ٢٧، ٣٣، ١٢٧، ١٢٩. المروج، ٣٥٩/٢، و

(٧)- المسعودي، المروج، ١٠١/١.

(٨)- المسعودي، التنبيه، ص ١٢، ١٢٩. المروج، ١٠٤/١، ٢٦٩، ٣٣٦/٢، ٣٥٩، ٢١١/٥،

(٩)- النديم: الفهرست، ص ٣٧٤.

(١٠)- المسعودي، التنبيه، ص ١٢، ١٩٨-١٩٩، والمروج، ١٠٤/١، ٣٣٦/٢، ٣٥٩.

(١١)- المسعودي، التنبيه، ص ٣٠.

(١٢)- المسعودي، التنبيه، ص ٣٠.

(١٣)- المسعودي، التنبيه، ص ٦٩.

(١٤)- المسعودي، التنبيه، ص ١٤٥، ١٧، ١١٢، ١٢٩، ١٣٦، ٢٢٢.

وأفلاطون، وتعزیداته لبطلیموس فی کثیر من أقواله وأرصاده، كما عرف مؤلفاته الخاصة، ومنها كتابه فی المنی، وكتابہ فی الأخلاق، وأثبت کثیراً من حکمه، وأقواله المشهورة المعتمدة^(١).

وأثبت المسعودي نقولا عن فرقوريوس الصوري (ت ٣٠٥م) من كتابه إساجوجي فی المدخل إلى كتب أرسطاطاليس فی المنطق^(٢)، وهكذا يُلاحظ ان المسعودي كان على معرفة وعلم بكثیر من أعمال الفلاسفة اليونانيين القدامى والمحدثين كفيثاغورس، وثاليس، وأنبدقليس والرواقين وأميروس، وأرسيلوس، وسقراط، وأفلاطون وأرسطاطاليس، وثاوفرسطس وثامسطيوس، وأبقراط وجالينوس، وغيرهم من الفلاسفة والأطباء^(٣).

ب- كتب الهيئة (الفلك) والجغرافيا العربية:

فی المؤلفين الباقين من مصنفات المسعودي وهما المروج والتنبيه، وقبل أن يدخل فيهما إلى معالجة الموضوعات التاريخية ابتداءً بمقدمة جغرافية طرق فيها بعض الموضوعات الجغرافية الهامة المطروحة على الساحة آنذاك، مثل: الأرض، والبحار والأنهار، والجبال، والأقاليم السبعة^(٤)، والمد والجزر، وتحدث أيضاً عن الأفلاك وهيئاتها، والنجوم وتأثيراتها، والعناصر وتراكيبها وكيفية أفعالها، وقسمة الأزمنة وفصول السنة، والرياح ومهابها وتأثيراتها^(٥)، وغير ذلك.

وقد استعان المسعودي في حديثه عن الموضوعات السالفة بالمؤلفات الإغريقية القديمة وبما صنفه العلماء والفلاسفة المسلمون المحدثون لذين برعوا وأجادوا في تلك العلوم، ومن انضوى تحت لوائهم من صابئة الحرانيين، ومن هنا تأتي إشارات المسعودي إلى مصنفات في الجغرافية هي الآن مفقودة^(٦). ويأتي إبراهيم بن حبيب الفزاري^(٧) (ت حوالي ١٨٠هـ/٧٩٦م)، وهو من أوائل العلماء المسلمين الذين اشتغلوا بعلوم النجوم وهيئات الفلك، يأتي في مقدمة من أخذ عنهم المسعودي مقادير الأطوال

(١)- المسعودي، التنبيه، ص ١٦٣، ١٣١، ٧٤، ٧٣، ٧٢. المروج، ٩١/١، ٢٢٣، ٢٢٥، ٨٤/٢، ٢٤٣/٤، ٣٧٩، وقد ذكر المسعودي أن لثابت بن قرة الحراني كتاباً جمع فيه ما ذكره جالينوس في سائر كتبه، من أفعال النيرين- وهما الشمس والقمر- في هذا العالم.

(٢)- المسعودي، التنبيه، ص ٦٠-١٦٢، والمروج، ١٤٦/٢.

(٣)- المسعودي، التنبيه، ص ١١٥.

(٤)- أنظر: المسعودي، التنبيه، ص ٢٢. المروج، ٩٩/١.

(٥)- المسعودي، التنبيه، ص ١٧، ١٤، ٧.

(٦)- أنظر: زيادة: الرحالة العرب، ص ٤٧.

(٧)- إبراهيم بن حبيب بن سليمان بن سمرة بن جندب الفزاري، أبو إسحاق، جغرافي ومنجم، قيل: إنه أول من عمل في الإسلام أسطرلاباً، ترجم لأبي جعفر المنصور كتاب السند هذ له من المصنفات زيادة على قصيدته في علم النجوم، كتاب المقياس للزوال، وكتاب الزيج على سني العرب، وكتابان آخران في عمل الأسطرلاب.

والمسافات، خاصة في إفريقية^(١)، لكنه يقرن النقل عنه بكلمة (زعم) مما يوحي بعدم القبول التام أو الرضا الكامل عن كل ما حكاه عنه.

ومن أصحاب علوم الهيئة استفاد المسعودي في مصنفات محمد بن موسى الخوارزمي (ت في حدود سنة ٢٣٦هـ) وهو الرياضي والفلكي المشهور، وصاحب الزيج^(٢)، التي كان الناس يعولون عليها في عصره وبعده، وقد رأى المسعودي له كتاباً في التاريخ يبدو أنه قد رجع إليه، كما رجع إلى زيجه وإلى غيرها من مصنفاته^(٣)، ورجع المسعودي إلى كتاب الفصول الثلاثين لمؤلفه محمد كثير الفرغاني^(٤)، المتوفي (بعد سنة ٢٤٧هـ)، وقد أشار إليه أكثر من مرة وصرح بالنقل منه^(٥).

واستخدم المسعودي أيضاً زيجات حبش بن عبدالله المروزي^(٦)، (المتوفي نحو سنة ٢٥٠هـ) وذكر أنه له ثلاث زيجات هي زيج الممتحن، والسند هند، والشاه، وقال: "إنه إذا قيل زيج حبش مطلقاً فإنما يراد به الممتحن"، لأنه هو المشهور، وما من شك في اطلاع المسعودي على زيج الممتحن^(٧) والسند هند^(٨)، أما زيج الشاه فلم يذكر شيئاً عن رجوعه إليها.

ومن بين مصادر المسعودي المكتوبة التي يلهج بذكرها دائماً نجد مؤلفات الكندي^(٩) فيلسوف العرب والإسلام (المتوفي نحو ٢٦٠هـ)، وكان صاحب كتب كثيرة في الفلسفة والنجوم والفلك والجدل

(١) - انظر عنه: المسعودي، المروج، ١١٢/٥، والنديم: الفهرست، ص ٣٨١.

(٢) - محمد بن موسى الخوارزمي، أبو عبد الله، من أهل خوارزم، كان منقطعاً إلى خزانة بيت الحكمة للمأمون، وعهد إليه بجمع الكتب اليونانية وترجمتها، من كتبه: الزيج والتي هي الجداول الفلكية، وكتاب الجبر والمقابلة، وقد اشتهر هذا الكتاب في أوروبا وترجم إلى اللاتينية ثم الإنجليزية، وارتبط باسم الخوارزمي بكثير من المسائل الرياضية التي طرّقها.

انظر عنه: النديم: الفهرست، ص ٣٨٣، ٢٢-٨/٩.

(٣) - المسعودي، والتنبيه: ص ٤٥، ١٨٦، ١٩٩، ٢٢٢. المروج، ١٠٤/٢، ٣٥٩.

(٤) - محمد بن كثير الفرغاني، منجم مشهور، وكان فاضلاً مقدماً في صناعته، له من الكتب: الفصول الثلاثين، عمل الرخامات، أنظر عنه: النديم، الفهرست، ص ٣٨٩، وكحالة، عمر رضا: معجم المؤلفين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١٩٩٣، ١، ١٤٥/٢.

(٥) - المسعودي، التنبيه، ص ١٩٩. المروج، ٤٠/٢، ١٠٤، ٣٥٩.

(٦) - حبش بن عبد الله المروزي الحاسب، كان عالماً بالرياضيات في زمن المأمون والمعتصم وبعده، وقد جاوز المائة من السن، له من التصانيف: الأبعاد والأجرام، الرخائم والمقاييس، وغيرها إضافة إلى كتب الزيج، انظر عنه: الفهرست، ص ٣٨٤، القفطي، جمال الدين علي بن يوسف: أخبار العلماء بأخبار الحكماء، الدار المصرية للتأليف، القاهرة، ١٣٢٦هـ، ص ١٧٠.

(٧) - المسعودي، التنبيه، ص ٢٢٣.

(٨) - المسعودي، التنبيه، ص ٢٢٢.

(٩) - يعقوب بن إسحاق بن الصباح الكندي، أبو يوسف، أحد أبناء الملوك من كندة، نشأ في البصرة وانتقل إلى بغداد فتعلم ونبغ في علوم كثيرة، ومن تصانيفه: رسالة في التنجيم، اختيارات الأيام، تحاويل السنين. انظر عنه: النديم، الفهرست، ص ٣٥٧-٣٥٦، ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء، ص ٢٨٥-٢٩٣.

والحساب والهندسة والطب والمنطق والنفس والسياسة وغير ذلك من سائر فنون المعرفة^(١)، وكانت رسالته في البحار والمد والجزر من الكتب التي أفاد منها المسعودي ورجع إليها كثيراً^(٢)، ونرى من مصادر المسعودي كتابين لـ أبي معشر البلخي (المتوفي سنة ٢٧٢هـ) هما كتاب المدخل الكبير إلى علم النجوم^(٣) وكتاب الألو، والظاهر أن المسعودي كان يقدر مصنفات أبي معشر ويحترمها^(٤)، كما رجع المسعودي لبعض مؤلفات ابن البازيار^(٥)، ومن أهمها كتابه المنتخب^(٦) من كتاب الألو لأبي معشر.

وتأتي مؤلفات أحمد بن الطيب السرخسي^(٧) (ت ٢٨٣هـ) - وهو تلميذ لصيق للكندي - في مرتبة هامة لدى المسعودي، وغالباً ما كان يقرن ذلك مع الكندي في مقامات متعددة^(٨)، وذكر من مؤلفاته التي اطلع عليها أو نقل منها رسالة في منافع البحار والجبال والأنهار^(٩)، ومختصراً لكتب المنطق^(١٠)، وكان له مصنفات على شكل رسائل عن أصحاب الكهف والرقيم^(١١)، وذكر أن له "كتاباً حسناً في المسالك والممالك والبحار والأنهار وأخبار البلدان وغيرها"^(١٢)، والمسعودي يقدر منزلة السرخسي من العلم ويجله، ولهذا فإنه حين رأى كتاباً فيه جمل من اخبار العالم ويحتوي على معلومات لا يوافق

(١) - لقد أحصى النديم من مصنفاته، ما يزيد على ثلاثمائة كتاب أو رسالة، وفصلها بحسب الموضوعات التي كتبت فيها.

(٢) - المسعودي، التنبيه، ص ٥٧، وانظر المروج، ١/١٣٥، ١٣٩، ١٤٨.

(٣) - جعفر بن محمد بن عمر البلخي، أبو معشر، عالم فلكي مشهور، كان أولاً من أصحاب الحديث ثم تعلم النجوم بعد سبع وأربعين سنة من عمره، توفي بعد أن جاوز المائة بواسطة سنة ٢٧٢هـ، من مؤلفاته: كتاب المدخل الكبير، المدخل الصغير، الألو في بيوت العبادات، هيئة الأفلاك، طبائع البلدان، وغيرها.

أنظر عنه: النديم، الفهرست، ص ٣٨٦، وابن خلكان، فيات الأعيان، ١/٣٥٨-٣٥٩.

(٤) - المسعودي، التنبيه، ص ١٩٩. المروج، ٢/٤٠٧. المسعودي، المروج، ١/١٧٥، ٢/٣٥٩.

(٥) - محمد بن عبدالله بن عمر بن البازيار، كان فاضلاً مقدماً في صناعة النجوم، وتلمذ على أبي معشر وحيش بن عبدالله، له من الكتب كتاب الأهوية، كتاب الزيج، كتاب القرائن وتحويل سني العالم وغيرها.

أنظر عنه: الفهرست، ص ٣٨٥، والبغدادي، إسماعيل بن محمد أمين بن مير: هدية العارفين، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٥١م، ٢/١٤.

(٦) - المسعودي، المروج، ٢/٤٠٧.

(٧) - أحمد بن محمد بن مروان السرخسي، أبو العباس، كان متقناً في علوم كثيرة من علوم القدماء العرب، حسن المعرفة جيد القريحة كان معلماً للخليفة المعتضد بالله ثم نادمه وخص به، ثم غضب عليه فحبس، ثم قتل، من مصنفاته: كتاب السياسة الكبير، وكتاب السياسة الصغير، وكتاب المدخل إلى صناعة النجوم، وكتاب المدخل إلى صناعة الطب وغيرها.

أنظر عنه: النديم، الفهرست، ص ٣٦٥-٣٦٧، وابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء، ص ٢٩٣-٢٩٥.

(٨) - المسعودي، المروج، ١/١٣٥، ١٣٩، ١٤٨، ٢/٣٩.

(٩) - المسعودي، التنبيه، ص ٥١.

(١٠) - المسعودي، التنبيه، ص ٦٠.

(١١) - المسعودي، المروج، ٢/٤٠.

(١٢) - المسعودي، التنبيه، ص ٧٥.

عليها المسعودي، قدر أنه منسوب إلى السرخسي ولا يمكن أن يكون من تأليفه، لأن أكثر الأخبار المذكورة فيه على خلاف ما هو موجود في كتبه^(١).

وقد روى المسعودي خبر قبض الخليفة المعتضد بالله (٢٧٩-٢٨٩هـ) على السرخسي واحتواء جميع أمواله بنغمة حزن والم، وأثنى عليه لمكانته المرموقة في الفلسفة ولمصنفاته الحسان في أنواع الفلسفة وفنون الأخبار^(٢).

وكان المسعودي يعرف بعض مؤلفات ثابت بن قرة الحراني^(٣) المتوفي سنة ٢٨٨هـ مثل كتابه الذي "جمع فيه ما ذكره جالينوس في سائر كتبه من أفعال النييرين"^(٤)، وقد علمه المسعودي عن طريق ابنه سنان بن ثابت بن قرة، وكذا رسالته "في نصرة رأي أبرخس، على أن لأوج الشمس حركة مخالفاً لقول أباطليموس، وقد امتحن هذه الرسالة عدة من أهل الهندسة"^(٥)، وكان ثابت من العلماء الذين اهتموا بعلم اليونان، وخدموا في مجال الطب والفلسفة، وأصبح لهم تلاميذ مبرزون فيهما^(٦).

ومن المؤرخين والجغرافيين البارزين استعان المسعودي بمصنفات عبيد الله بن عبد الله بن خرداذبة^(٧) (ت في حدود سنة ٣٠٠هـ) أثنى عليه وقال: "إنه كان إماماً في التأليف متبرعاً في ملاحاة التصنيف، أتبعه من هذه طريقته واخذ منه ووطئ على عقبه وبقى أثره، وإذا أردت أن تعلم صحة ذلك فانظر إلى كتابه الكبير في التاريخ فإنه أجمع هذه الكتب جداً وأبرعها نظاماً وأكثرها علماً وأحوى لأخبار الأمم وملوكهم وسيرها من الأعاجم وغيرها، ومن كتبه النفيسة كتابه في المسالك والممالك وغير ذلك، مما إذا طلبته وجدته وإن تفقدته حمدته"^(٨). ومن واقع هذا الثناء يبدو أن المسعودي كان معجباً بمؤلفات ابن خرداذبة أيما إعجاب، فنقل عنه من كتابه في التاريخ^(٩)، ومن كتابه في الجغرافيا "المسالك والممالك" كثيراً من الأخبار^(١٠).

(١)- المسعودي، المروج، ٢٤١/١.

(٢)- المسعودي، المروج، ١٦١/٥.

(٣)- المسعودي، التنبيه، ص ٧٢.

(٤)- المسعودي، التنبيه، ص ٢٢٢.

(٥)- المسعودي، التنبيه، ص ١١٣.

(٦)- له من المصنفات: كتاب جمهرة أنساب الفرس، كتاب الشراب، إضافة إلى كتبه في التاريخ والجغرافيا التي شاهدها المسعودي واستفاد منها. أنظر عنه: المروج، ١٤/١، النديم، الفهرست، ص ٢١٢-٢١٣، كحالة، معجم المؤلفين، ٢٣٦/٦.

(٧)- المسعودي، المروج، ١٤/١.

(٨)- هذا الكتاب في عداد المفقود الآن، ومن هنا تأتي أهمية نقل المسعودي عنه، انظر المروج، ٤٩/٢.

(٩)- المسعودي، التنبيه، ص ٧٥. المروج، ٢٤١/١.

واستعمل المسعودي زيج محمد بن جابر البتاني^(١) (المتوفي سنة ٣١٧هـ) وأشار إليه مرتين في المروج وهي الزيج الكبير^(٢). لأن للبتاني نسختين منه أولى وثانية، والثانية أجود من الأولى^(٣)، وهي الزيج الكبير، وللبتاني آراء خالف فيها بعض أصحاب الزيجات في النجوم والقوانين التي أجمعوا عليها^(٤).

ولا بد أن المسعودي قد اطلع على الكتاب الذي ألفه محمد بن أحمد الجيهاني^(٥) العالم الجغرافي المعروف، (المتوفي سنة ٣٣٠هـ) "في صفحة العالم وأخباره وما فيه من العجائب والمدن والأمصار والبحار والأنهار والأمم ومساكنهم وغير ذلك من الأخبار العجيبة والقصص الظريفة"^(٦)، وهو كتاب المسالك والممالك لأن حديثه عنه حديث مطلع خبير.

وهناك احتمال كبير أن المسعودي قد استفاد من رسالة ابن فضلان^(٧)، وهي الرسالة التي كتبها بعد أن عاد من البعثة التي أرسلها إلى بلاد البلغار والصقالبة الخليفة العباسي المقتدر بالله^(٨) (٢٩٥-٣٢٠هـ)، وقد اكتسبت هذه الرسالة أهمية كبيرة وأصبحت عمدة للمؤرخين والجغرافيين الذين جاؤوا بعد ابن فضلان، نظراً لاحتوائها على معلومات قيمة ونادرة عن تلك البلاد.

ومن مصادر المسعودي في كتاب التنبيه والإشراف كتاب المدينة الفاضلة للفارابي^(٩) (المتوفي في رجب سنة ٣٣٩هـ)، حيث وُجد اقتباسات منه ومن مقدمته على وجه الخصوص، ويبدو أن المسعودي كان على علم تام بمحتويات الكتاب، وقد استفاد منه أيضاً في كتابه فنون المعارف وما جرى في

(١)- محمد بن جابر بن سنان البتاني، أبو عبدالله، حاسب منجم، ولد في بتان من ضواحي جران بعد سنة ٢٣٥هـ، من آثاره: كتاب معرفة مطالع البروج، والزيج، رسالة في تحقيق أقدار الاتصالات وغيرها، أنظر عنه: النديم، الفهرست، ص ٣٨٩-٣٩٠، ووفيات الأعيان، ١٦٤/٥-١٦٧، وأبا الفداء: المختصر في أخبار البشر، ٧٤/٢.

(٢)- المسعودي، التنبيه، ص ١٩٩ المروج، ١٠٤/٢، ٢٨٠/٥، وانظر: ١٣٧/١.

(٣)- النديم، الفهرست، ص ٣٩٠.

(٤)- المسعودي، التنبيه، ص ٢٢٣.

(٥)- محمد بن أحمد بن نصر الجيهاني، أبو عبدالله، أديب وكاتب تولى الوزارة لنصر الثاني الساماني (٣٠١-٣٣١هـ) في خراسان، ومن آثاره: كتاب الرسائل، وكتاب المسالك والممالك، وكتب العهود للخلفاء والأمراء.

(٦)- المسعودي، التنبيه، ص ٧٥.

(٧)- أحمد بن فضلان، المعلومات عن شخصه نادرة، يعرف عنه أنه أحد أعضاء البعثة التي قامت من بغداد سنة ٣٠٩هـ إلى بلاد البلغار استجابة لطلب ملكهم من الخليفة العباسي أن يرسل إليهم بعثة تفقههم في الدين الإسلامي الذي اعتنقوه وتبني لهم مسجداً وحصناً يتحصنون به من ملوك الخزر، وقد التقى ابن فضلان وهو في طريق رحلته بالوزير الساماني محمد بن أحمد الجيهاني وتبادل معه بعض المعلومات، وبعد أن رجع ابن فضلان من تلك الرحلة كتب كتاباً صغيراً ضمنه مشاهداته وأفكاره عنها، وأصبح ذلك الكتاب أو الرسالة مرجعاً هاماً للباحثين.

(٨)- نقولا زيادة: الرحالة العرب، ص ٤٦، وانظر أيضاً كراتشكوفسكي، الجغرافية والرحلات عند العرب، ص ١٩٥.

(٩)- محمد بن محمد بن طرخان بن أوزلغ، أبو نصر الفارابي، من أكبر فلاسفة المسلمين، يعرف بالمعلم الثاني، كان يجيد لغات كثيرة من بينها اليونانية، توفي بدمشق، له نحو مائة كتاب منها: إحصاء العلوم، المبادئ الملوكية، إبطال أحكام النجوم، السياسة المدنية، جوامع السياسة. أنظر عنه: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ١٣٥/٥-١٥٧، وابن الوردي: تنمة المختصر، ٤٢٤/١.

الدهور السوالف، فالشواهد التي أوردها في كتاب التنبيه تدل على ذلك^(١)، وقد أعطى فيه إطاراً عاماً لتاريخ الفلسفة عند الإغريق والعرب بشيء من التفصيل واقتبس كثيراً من الفارابي.

هذا ومن غير المستبعد أن يكون المسعودي قد نقل عن سليمان التاجر السيرافي^(٢) بعض الفقرات التي تتضمن معلومات جغرافية، ومما يقوي هذا الاعتقاد أن أحد المستشرقين لما قام بنشر ترجمة جديدة لمذكرات سليمان التاجر سنة ١٩٢١م وحاول أن يستعير من مروج الذهب فقرات يسد بها النقص الذي وجدته في المذكرات^(٣)، وأشار المسعودي إلى كتاب رآه لـ محمد بن أحمد بن النجم بن أبي عون الكاتب، يترجم بكتاب النواحي والآفاق والأخبار عن البلدان وكثير من عجائب ما في البر والبحر^(٤). وإلى زيغ بني المنجم^(٥)، وبعض مصنفاتهم^(٦). وبصفة عامة توجد إشارات مقتضبة إلى عدد من العلماء الذين استفاد المسعودي من مصنفاتهم، مثل العالم اليهودي الأصل ما شاء الله بن أثري^(٧)، ومحمد بن خالد المرورودي^(٨)، وابن الفرخان الطبري^(٩)، وأبي بكر الحسن بن الخصيب^(١٠) والنيريزي^(١١) وغيرهم.

- (١)- انظر المسعودي، التنبيه، ص ١٢١-١٢٢، وانظر أيضاً، ١١٧-١١٩.
- (٢)- سليمان التاجر رجل من أهل سيراف، المعلومات عن شخصه شحيحة جداً، ولا يعرف عنه إلا أنه قد سافر مراراً إلى الهند والصين بغرض التجارة في القرن الثالث الهجري، وقد وصف خط سيره ورحلاته البحرية في مذكرات دونها على درجة عالية من الدقة والأهمية لقدمها أولاً ولقربها من الحقيقة ثانياً، وقد أضاف إليها أبو زيد السيرافي ذيلاً يحتوي على معلومات إضافية كثيرة، انظر كراتشكوفسكي، تاريخ الأدب الجغرافي ١/٤١، ونقولاً زيادة: الرحلات والجغرافية عند العرب، ص ١٤٩.
- (٣)- انظر حسين فوزي: حديث السندباد القديم، ص ٢٣.
- (٤)- المسعودي، التنبيه، ص ٧٥.
- (٥)- بنو المنجم أسرة فارسية الأصل، كان جدها أبو منصور منجماً للخليفة أبي جعفر المنصور، أما ابنه أبو علي فكان مولى للمأمون وأسلم على يديه، وساهم في الأرصاد التي أجريت في أيامه، وألف بعض المصنفات الفلكية، وتوالى عدد من أحفادهم في النبوغ والظهور.
- أنظر عنهم: الفهرست، ص ٢٠٥ وما بعدها، ومعجم الأدباء ١١٢/١٥ - ١٢٠.
- (٦)- انظر المسعودي، والتنبيه، ص ١٩٩. المروج، ١/٤٨، ٢/١٧١، ١٥٩.
- (٧)- المسعودي، المروج، ٢/١٠٤، ٣٥٩، والتنبيه، ص ١٩٩، ما شاء الله بن أثري كان يهودياً في أيام المنصور وإلى أيام المأمون، وكان أحد زمانه في علم الاحكام، له من الكتب: كتاب المواليذ الكبير، المعاني، الأمطار والرياح، الدول والملل، انظر عنه: النديم، الفهرست، ص ٣٨٦.
- (٨)- المسعودي، التنبيه، ص ١٩٩، وهو من أصحاب الأرصاد، كان فاضلاً وعاملاً، سماه النديم عمر بن محمد، له من الكتب: تعديل الكواكب، صنعة الاسطرلاب المسطح، انظر عنه: النديم، الفهرست، ص ٣٨٦.
- (٩)- المسعودي، التنبيه، وهو عمر بن حفص، أبو حفص، من مصنفاته: كتاب المحاسن، كتاب اتفاق الفلاسفة واختلافهم في خطوط الكواكب.
- أنظر النديم، الفهرست، ص ٣٨١.
- (١٠)- المسعودي، التنبيه، ص ١٩٩. المروج، ١/١٠٠، وهو أحد المنجمين الحذاق بصناعة النجوم، من مؤلفاته: كتاب يسميه الكار مهتر يحتوي على أربعة كتب. أنظر عنه: النديم، الفهرست، ص ٣٨٥.
- (١١)- المسعودي، التنبيه، ص ١٩٩. المروج، ٢/١٠٤، ١٥٩، وهو الفضل بن حاتم النيريزي أبو الفضل، ممن يشار إليه في علم النجوم، من كتبه: كتاب الزيج الكبير، كتاب الزيج الصغير، كتاب سمت القبلة، انظر عنه: النديم، الفهرست، ص ٣٨٩.

وهكذا لوحظ من خلال الاستعراض لمصادر المسعودي الجغرافية والفلكية نقطتين بارزتين الأولى: اهتمامه بالإفصاح عن مصادره في هذا المجال وبيانها تفصيلاً أو الإلماح إليها إجمالاً. الثانية: فيما يتعلق بالتواريخ وحساب السنين يلاحظ أنه يبدي ميلاً إلى ما يذهب إليه أصحاب الزيج والمنجمون أقرب من ميله إلى ما دونه المؤرخون في كتبهم^(١) ويعول عليهم وخاصة في تاريخ ما قبل الهجرة.

ج- كتب الإخباريين والمؤرخين:

يعود المسعودي ليبين ويوضح في أثناء كتابته عن المواطن التي استفاد فيها من تلك المصادر بالتفصيل وكما سلف وان ألمح الباحث وسيركز في بحث مصادر المسعودي على تلك التي أشار إليها صراحة في ثنايا مؤلفاته، لأنه لا يمكن أن يتطرق شك في صحة رجوعه إليها. كما يجب التنبيه هنا إلى أن من بين تلك الكتب التاريخية التي استخدمها المسعودي وخاصة في بحث التاريخ الإسلامي كتب كثيرة مفقودة، أو لم يكشف النقاب عنها حتى الآن، ولذا فإن رجوع المسعودي إليها وتدوينه بعض الفقرات منها ذو أهمية كبيرة^(٢).

وفي الحديث التفصيلي الآتي عن كتب الإخباريين والمؤرخين كمصدر من مصادر المسعودي يجد الباحث أن اطلاعه عليها كان واسعاً شاملاً، وان استفادته منها كانت واضحة وقيمة، حيث أن اطلاعه على حشد كبير من تلك المؤلفات مكنه من الوقوف على وجهات نظر مختلفة وآراء متباينة أو متوافقة، فأصبح لديه رصيد جم من المادة العلمية في موضوعات كثيرة صاغها في القالب الذي يرضى عنه في مؤلفاته.

ولو ذهب وتتبع الباحث كتب الأخبار الأولى التي دونت في صدر التاريخ الإسلامي لوجد من بين الرواة الأوائل الذين اطلع المسعودي على مصنفاتهم عبيد بنشرية الجرهمي (المتوفي نحو سنة

(١)- المسعودي، المروج، ٥٣/٢، ٣٠٣، ٤٠/٣، ٢٧٩/٤ - ٢٨٠.

(٢)- كان قد أزمع الباحث أن يميز في الحديث عن كتب الإخباريين والمؤرخين التي رجع إليها المسعودي بين الكتب المفقودة والكتب الموجودة، فتحدث أولاً عن المفقودة ثم أتبعها بالموجودة، ولكن هناك بعض الصعوبات والمحاذير وقفت دون تحقيق ذلك، منها: أن المسعودي في بعض الأحيان لا يفصح عن اسم الكتاب الذي ينقل منه ويكتفي بمجرد الإشارة إلى مؤلفه، وهذا يوقع في حرج لأن المؤلف قد يكون له أكثر من مصنف واحد وأحياناً في موضوع واحد أيضاً، ومنها أن الكشف عن ما إذا كان الكتاب مفقوداً أو موجوداً يحتاج إلى وقت طويل وجهد كبير، وقد لا يثمر ذلك في النهاية عن نتيجة صادقة وحاسمة في الموضوع، ولهذا سيتم التحدث حسب التسلسل الزمني لوفيات المؤلفين، مع الإشارة بقدر الإمكان وحسب المعلومات القريبة المتوافرة إن كان الكتاب الذي رجع إليه المسعودي موجوداً أو مفقوداً.

٦٧هـ/٦٨٦م)، وهو الذي وفد على معاوية بن أبي سفيان فسأله عن أخبار اليمن وملوكها وتواريخ سنيها^(١).

وصنف كتاباً في ذلك كان متداولاً بين الناس ومشهوراً في أيام المسعودي، يظهر أن المسعودي كان يعد أخبار عبيد عن حمير وكهلان وغيرهم من الأمم الماضية التي سكنت اليمن هي المصدر الأول الذي يجب ان يستقى منه وذلك لثبوت مروياته وصحتها عند كثير من الاخباريين^(٢).

ومن أوائل الاخباريين والقصاص الذين استقى منهم المسعودي وهب بن منبه (المتوفي في حدود سنة ١١٤هـ/٧٣٢م)، وكان كتابه المبتدأ الذي أشار إليه المسعودي وغيره من المؤرخين^(٣) أول محاولة لكتابة تاريخ الرسالات السماوية^(٤)، وهذا الكتاب مفقود الآن، وتوجد منه مقتطفات لدى ابن قتيبة والطبري والمسعودي والثعلبي صاحب كتاب عرائس المجالس^(٥).

وفي موضع واحد فحسب يوجد نقلاً مباشراً^(٦) دونه المسعودي عن الزهري (ت سنة ١٢٤هـ/٧٤١م) قد يكون من أحد مؤلفاته المفقودة التي ألفها في السيرة والمغازي، أو نسب قريش، أو من مجموعة الأحاديث المسماة الزهريات، والمسعودي يشك في صحة الخبر الذي رواه الزهري، لأنه "مجتنب من حيث الآحاد، ومرسل عند من لا يرى قبول المراسيل"^(٧).

كما استفاد أيضاً مما صنفه النسابة والخباري محمد بن السائب الكلابي (المتوفي سنة ١٤٦هـ/٧٦٣م) وهو من رواة ونسابي اليمن الرواد الذين ساهموا في ظهور علم الأنساب، وقد أسند إليه المسعودي بعض الأخبار التي رواها من مصنفاته مباشرة أو عن طريق ابنه هشام^(٨).

وفي بحث السيرة النبوية والمغازي رجع المسعودي إلى ابن إسحاق (المتوفي سنة ١٥٢هـ/٧٦٩م)، وكان يعتمد آراءه ويقدمها، ويوردها أحياناً بصيغة الجزم، ونقل عنه بعض الأخبار المتصلة بحياة معاوية بن أبي سفيان بعد ان شاخ وهرم^(٩) ويقرر المسعودي أن محمد بن إسحاق هو

(١)- المسعودي، المروج، ٢/٢٠٨، ٢١٠، ٢٦٤.

(٢)- المسعودي، التنبيه، ص ٨٢، والمروج، ٢/٤٠٦.

(٣)- المسعودي، المروج، ١/٧٣، ٢/٢٩٢.

(٤)- الدوري: بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب، ص ٢٦.

(٥)- هوروفتس، يوسف: المغازي الأولى ومؤلفوها، ترجمة حسين نصار، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ط ١، القاهرة، ١٣٦٩هـ/١٩٤٩م، ص ٣٢.

(٦)- المسعودي، التنبيه، ص ٢٩٠.

(٧)- المسعودي، التنبيه، ص ٢٩٠.

(٨)- المسعودي، المروج، ١/٧٩، ٢/١٩١-١٩٢، ١٩٥، والتنبيه، ص ٧٩، ٨١.

(٩)- المسعودي، المروج، ٣/٢٤٢.

أول من جمع "كتب المغازي والسير وأخبار المبتدأ، ولم تكن قبل ذلك مجموعة ولا معروفة ولا مصنفة"^(١)، وذلك في عهد الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور (١٣٦-١٥٨هـ/ ٧٥٣-٧٧٤م).

ولاحظ الباحث من بين مصادر المسعودي من الرواة والاختباريين الأوائل الشرقي ابن القطامي^(٢) (ت نحو سنة ١٥٥هـ/ ٧٧١م) وقد استفاد منه المسعودي في حديثه عن معركة صفين^(٣)، وعن أنساب اليمن^(٤)، كما نقل عنه أخباراً أخرى^(٥).

ويأتي أبو مخنف لوط بن يحيى الغامدي^(٦) (١٥٧هـ/ ٧٧٣م) في طليعة المؤرخين الأوائل الذين رأى المسعودي مصنفاتهم ونقل منها في مواضع كثيرة من كتبه^(٧)، وقد كان لنقل المسعودي وغيره من المؤرخين كالتطبري من مصنفات أبي مخنف^(٨) أثر بالغ الأهمية لفقدان تلك المصنفات وضياعها، ومن ثم فإن تلك النقول هي الشواهد الحية الباقية التي تدل على نوعية آثار مؤلفها.

أما الهيثم بن عدي الطائي^(٩) (ت سنة ٢٠٦هـ/ ٨٢١م) الإخباري والمؤرخ فكان المسعودي مطلعاً على مصنفاته مستفيداً منها، وخاصة أثناء تدوينه للأخبار المتعلقة بالقبائل اليمنية وأنسابها^(١٠)، وفي وقعتي الجمل وصفين، بعض الخلفاء الأمويين^(١١) والعباسيين^(١٢) ولا سيما أنه كان شاهد عيان لكثير من الأمور التي تمت في عهودهم، حيث كان جليساً للمنصور والمهدي والهادي والرشيد، والظاهر أن مؤلفاته قد ذهبت كلها في عالم الضياع.

(١)- المسعودي، المروج، ٢١١/٥.

(٢)- هو الوليد بن الحصين بن حبيب بن جمال الكلبي، أبو المثني، عالم بالأدب والنسب، من أهل الكوفة، استفاد منه أبو جعفر المنصور إلى بغداد ليؤدب ولده المهدي، قالوا عنه: إنه ضعيف الحديث، أنظر عنه المسعودي، المروج، ١٧٨/٤، الجاحظ، البيان والتبيين ١/٣٢٢، ٤٥/٣-٤٨، البغدادي، تاريخ بغداد ٩/٢٧٨-٢٧٩.

(٣)- المسعودي، المروج، ١٤٣/٣.

(٤)- المسعودي، التنبيه، ص ٨١، المروج، ١٩٢/٢.

(٥)- المسعودي، المروج، ١١٨/١، ١٩١/٢، ٢٤٨.

(٦)- لوط بن يحيى بن سعيد بن مخنف الأزدي الغامدي، أبو مخنف، رواية غام بالسير والأخبار ولكنه متروك الحديث، له مؤلفات كثيرة، منها: فتوح العراق، فتوح الشام، الجمل، صفين، الخوارج، والملهب، وغيرها، أنظر عنه: الحموي، معجم الأدباء ١٧/٤١-٤٣، الكتبي، فوات الوفيات ٣/٢٢٥-٢٢٦.

(٧)- انظر على سبيل المثال: المسعودي، التنبيه، ص ٣٥٨، المروج، ٧٩/١، ١١٨، ٦٩/٣، ٩٨، ١٤٣، ٢٠٤، ٢٠٧، ٢١٠، ٢٤١، ٢٩٦.

(٨)- الفهرست، ص ١٣٦-١٣٧.

(٩)- الهيثم بن عدي عبد الرحمن الثعلبي الطائي البحتري الكوفي، أبو عبد الرحمن، مؤرخ عالم بالأدب والنسب، قيل أنه كان يرى رأي الخوارج، وهو عند علماء الحديث من المدلسين ومن غير الثقة، من تصانيفه: تاريخ الإشراف، الخوارج، التاريخ على السنين، ولادة الكوفة، خطط الكوفة، بيوتات قریش، أنظر عنه:

النديم، الفهرست، ص ١٤٥، ياقوت الحموي، معجم الأدباء ١٩/٣٠٤-٣١٠، وابن خلكان، وفيات الأعيان ٦/١٠٦-١١٤.

(١٠)- المسعودي، التنبيه، ص ٨١، المروج، ١٩٢/٢-١٩٤.

(١١)- المسعودي، المروج، ١١٠/٣، ١٤٣، ٢٢٩، ٢٤١، ٣٢١، ٤٤/٤، ٤٧.

(١٢)- المسعودي، المروج، ١٨٠/٤.

ومن المؤرخين القدامى الذين استعان المسعودي بمصنفاتهم الواقدي (ت سنة ٢٠٧هـ/ ٨٢٢م) وهو من المتصلين بمعرفة التاريخ الإسلامي وحركات الفتوح والمغازي فيه، ولم يصرح المسعودي بالإشارة إلا إلى كتاب واحد فحسب من مصنفات الواقدي، هو كتاب فتوح الأمصار^(١)، أما كتبه الأخرى فلم يذكر شيئاً منها، مع وجود احتمال قوي برجوعه إلى بعضها على الأقل وخاصة كتاب المغازي، وذلك لكثرة تردد اسم الواقدي في مصنفات المسعودي^(٢).

ولأبي عبيدة كتاب مناقب قريش وفصائلها^(٣) وكتاب المثالب يذكر فيه أنساب العرب وفسادها ويرميهم بما يشيء الناس ذكره ولا يحسن وصفه^(٤)، وكتاب الديباج^(٥) وكتاب الخيل، وكتاب النوائح، وقد كان المسعودي مطلعاً على هذه الكتب مفيداً منها.

وكان من ضمن مصادره عن سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم كتاب السيرة النبوية^(٦)، وهو المعروف بسيرة ابن هشام لعبد الملك بن هشام^(٧) (ت سنة ٢١٨هـ/ ٨٣٣م) وهو من أصول مصادر السيرة النبوية المعتمدة.

وكذلك كتاب غريب الحديث^(٨) لأبي عبيد القاسم بن سلام^(٩) (ت سنة ٢٢٤هـ/ ٨٣٨م) روى عنه المسعودي قصة أكل النبي صلى الله عليه وسلم للذراع المسمومة في غزوة خيبر.

وقد أفاد المسعودي من مصنفات أبي الحسن علي بن محمد المدائني^(١٠) (ت سنة ٢٢٥هـ/ ٨٣٩م) وهو الإخباري والمؤرخ المشهور وصاحب المصنفات الغزيرة في أخبار النبي صلى الله عليه وسلم وسيرته، وفي المغازي والفتوح، وأخبار النساء، وتاريخ الخلفاء والوقائع والأحداث، والجاهليين، والشعراء

(١)- المسعودي، المروج، ٤٩/٢، ٥٠/٣.

(٢)- أنظر : المسعودي، التنبيه، ص ٢٣٨، ٢٧٨، ٣٠٥، ٣٥٢، ٣٥٨. المروج، ٢١/٣، ٦٣، ٨٧، ١١٠، ٢١٢، ٤٠/٤، ١٩٩.

(٣)- المسعودي، التنبيه، ص ٢١٠.

(٤)- المسعودي، المروج، ٣٣٣/٤.

(٥)- المسعودي، التنبيه، ص ٢٤٣، والنديم، الفهرست، ص ٧٩.

(٦)- المسعودي، المروج، ٢٤/٣.

(٧)- عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري، أبو محمد، مؤرخ وعالم بالأنساب واللغة وأخبار العرب، ولد ونشأ بالبصرة وتوفي بمصر، له غير السيرة النبوية كتاب التيجان في ملوك حمير رواه بسنده عند وهب بن منبه، والقوائد الحميرية وغير ذلك. أنظر عنه: السهيلي، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله: الروض الأنف، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد، دار الفكر، بيروت، دت، ج ١، ص ٧، ابن خلكان، وفيات الأعيان ١٧٧/٣، وابن كثير، البداية والنهاية ١٠/٢٦٧.

(٨)- أنظر: المسعودي، التنبيه، ص ٢٥٨.

(٩)- القاسم بن سلام الهروي الأزدي الخزاعي ولاء، أبو عبيد، من كبار العلماء بالحديث والأدب والفقه، ولد بهراة وتوفي بمكة المكرمة، وكتابه الغريب ألفه في نحو أربعين سنة وهو أول كتاب ألف في غريب الحديث، ومن كتبه: المقصور والممدود، فضائل القرآن، الأمثال، النسب، الأموال وغيرها.

انظر عنه: الإشبيلي، أبا بكر محمد بن خير: فهرسة ما رواه عن شيوخه، تحقيق قرنشكة قدادة زيدان، ط ٢، المكتب التجاري، بيروت: ، و مكتبة المثنى، بغداد: ، و مؤسسة الخانجي، القاهرة، ١٣٨٢هـ، ١٩٦٣م، ص ٤٧٤-٤٧٥، ٥٠٩، ٥٣٤، وطبقات الشافعية ١/٢٧٠-٢٧٤.

(١٠)- علي بن محمد بن عبد الله بن أبي سيف المدائني، أبو الحسن، ولد ونشأ بالبصرة، وسكن المدائن، وانتقل إلى بغداد وتوفي بها، كان عجباً في معرفة السير والمغازي، والأنساب، مصداقاً فيما ينقله، عالي الإسناد، من مؤلفاته: كتاب عهود النبي صلى الله عليه وسلم، كتاب المغازي، كتاب أخبار الخلفاء، كتاب الخوارج، أنظر عنه: البغدادي، تاريخ بغداد ١٢/٥٤-٥٥، الحموي، معجم الأدباء ١٤/ ١٢٤-١٣٩، الذهبي، سير أعلام النبلاء ١٠/٤٠٠-٤٠٢.

والبلدان، ومصنفات المدائني في هذه الموضوعات على الرغم من كثرتها وتعددتها^(١)، إلا أنها قد ضاعت ولم يبق منها إلا النزر اليسير^(٢)، وما حفظه المؤرخون المتأخرون من نقول في مؤلفاتهم كالطبري والمسعودي وغيرهما، وعلى الرغم من أن المسعودي كان لا يهتم كثيراً بالإشارة إلى أسماء مصنفات المدائني، إلا أن اسمه كان يتردد بين الرواة والإخباريين الذين أفاد منهم، فقد نقل عنه مثلاً روايات تتصل بوقعة الجمل، وصفين^(٣)، وعن تمصير البصرة وعمرانها^(٤)، وبعض أخبار الخلفاء الأمويين^(٥)، والحجاج بن يوسف الثقفي^(٦) وأخبار الدعوة العباسية والخلفاء العباسيين^(٧)، ويرى المسعودي أن المدائني كان من المهتمين وذوي العناية بأخبار العباسيين، ويرى المسعودي أن المدائني كان من المهتمين وذوي العناية بأخبار العباسيين^(٨)، وأنه كثير الكتب إلا أنه كان يؤدي ما سمع^(٩)، أي أنه كان لا يهتم بالنقد والتحليل وإبداء الرأي. ويستفيد الباحث من هذا حرص المسعودي على نقد مصادره، وبيان الطريقة التي سار عليها مؤلفوها، ويبدو أن المسعودي قد استفاد كثيراً في كتابه أخبار الزمان من مصنف المدائني المعروف بتابع أخبار القلاع الذي ذكر فيه طرقاً من أخبار قلاع العالم الكثيرة، وما فيها من الأخبار العجيبة^(١٠).

وُجِدَ من مصادر المسعودي كتاب سلمويه^(١١) (ت ٢٢٥هـ/ ٨٣٩م) عن الدولة العباسية وأمراء خراسان^(١٢)، ومع أن المسعودي لم يشير إليه إلا مرة واحدة إلا أن نقله عنه ذو أهمية بسبب ضياع ذلك الكتاب.

ومن معاصري المدائني العتبي الأموي^(١٣)، (ت ٢٢٨هـ/ ٨٤٢م) كان المسعودي يأخذ منه بعض الأخبار^(١٤)، وأحياناً يشير إليه هو والمدائني مقترنين^(١٥).

(١) - أنظر: النديم، الفهرست، ص ١٤٧-١٥٢.

(٢) - بقي من كتبه المردفات من قريش وهي رسالة مطبوعة، والتعازي مخطوط، أنظر "الزركلي، الإعلام ١٤٠/٥.

(٣) - المسعودي، المروج، ٣/٢٦٣، ١١٥.

(٤) - المسعودي، التنبيه، ص ٣٥٨، المروج، ٣/٦٤،

(٥) - المسعودي، المروج، ٣/٢٤١، ٣٢٦، ١٩/٤، ٢٠، ٤٧.

(٦) - المسعودي، المروج، ٣/٣٤٨.

(٧) - المسعودي، المروج، ٤/٩٢، ١٠٤، ١٢٨.

(٨) - المسعودي، المروج، ٤/٢٦١.

(٩) - المسعودي، المروج، ٤/١٠٤.

(١٠) - المسعودي، المروج، ١/٢٤٠.

(١١) - سلمويه بن بنان: طبيب حاذق، جعله المعتصم بالله طبيبه الخاص سنة ٢١٨هـ، وقد كان على معرفة بالسياسة وبواطن الأمور من جراء مخالطته وخدمته للخلفاء، وكان يدين بالنصرانية.

أنظر عنه: ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص ٢٣٤-٢٤٠.

(١٢) - المسعودي، التنبيه، ص ٦٥.

(١٣) - محمد بن عبدالله بن عمر، أبو عبد الرحمن من بني أمية، أديب فاضل، يروي الأخبار وأيام العرب، ولد بالبصرة وتوفي بها، ومن مصنفاته: الخليل، الأخلاق، أشعار الأعراب، وغيرها.

أنظر عنه: الجاحظ، البيان والتبيين ٢/١٨٢، والنديم، الفهرست، ص ١٧٦، والبغدادي، تاريخ بغداد ٢/٣٢٤-٣٢٦.

(١٤) - المسعودي، المروج، ٣/٣٥٤، ٣٦٩، ٣٧٦.

(١٥) - المسعودي، المروج، ٤/٨، ٢٦١.

ويصرح المسعودي بنقله من كتاب أبي عيسى محمد بن هارون الوراق^(١) (ت سنة ٢٤٧هـ/ ٨٦١م) وهو كتاب المجالس^(٢)، ومن المحتمل جداً أن يكون المسعودي قد رأى شيئاً من كتب أبي عيسى غير هذا الكتاب^(٣) لأنه يذكر أن له أيضاً "تصنيفات كثيرة حسان، منها كتابه في المقالات في الإمامة وغيرها"^(٤).

ويحتمل احتمالاً قوياً أن المسعودي قد أفاد من مؤلفات مسلم بن أبي مسلم الجرمي^(٥)، وخاصة فيما كتبه عن الروم وبلادهم ونظمهم ومن جاورهم من الأمم، حيث ذكر المسعودي أن له "مصنفات في أخبار الروم وملوكهم وذوي المراتب منهم وبلادهم وطرقها ومسالكها وأوقات الغزو إليها والغارات عليه، ومن جاورهم من الممالك من برجان والأبر والبرغر والصقالبة والخزر وغيرهم"^(٦)، ومصنفات هذا الرجل مفقودة الآن، وربما تعزى كثير من تفصيلات المسعودي عن بلاد الروم إلى استقاداته من تلك المصنفات.

وعلى الرغم من أن المسعودي كان ينقم على الجاحظ (ت ٢٥٥هـ/ ٨٦٦م) نزعته العدائية لآل البيت، ومناصرته لخصومهم الذين نافسهم الخلافة من بني أمية وبني العباس، وذلك بتأليفه الكتب في تأييدهم والانتصار لهم - قيل: على الرغم من ذلك فإن المسعودي كان مولعاً بمصنفات الجاحظ ومعجباً بها أيما إعجاب، وكان يقدر فيه فكرة المستقل وحجته الواضحة وبلاغته وأدبه وأسلوبه السلس الواضح، وحين أتى على ذكر وفاته أشاد به وقال: إنه "لا يعلم أحد من الرواة وأهل العلم أكثر كتباً منه - مع قوله بالعثمانية - وكتب الجاحظ - مع انحرافه المشهور -^(٧) تجلو صدأ الأذهان وتكشف واضح البرهان، لأنه نظمها أحسن نظم ووصفها أحسن وصف وكساها من كلامه أجزل لفظ، وكان إذا تخوف ملل القارئ وسأمة السامع خرج من جد إلى هزل ومن حكمه بليغة إلى نادرة ظريفة، وله كتب

(١) - محمد بن هارون الوراق، أبو عيسى، عالم معتزلي شيعي من أهل بغداد، كانت وفاته فيها في الجانب الغربي المعروف بالرملة.

انظر عنه: ابن حجر، لسان الميزان ٤١٢/٥.

(٢) - المسعودي، المروج، ٢٣/٤.

(٣) - المسعودي، والتنبيه، ص ٣٩٦. المروج، ٤٥/٤، ٧٧.

(٤) - المسعودي، المروج، ٢٣/٤.

(٥) - لم يجد لهذا الرجل ترجمة وافية سوى ما ذكره المسعودي عنه، وهو أنه رجل من أهل الثغور المرابطين على حدود الدولة البيزنطية، وكان ذا منزلة رفيعة ومكانة عالية ومحل من العلم كبير، أسره البيزنطيون، وفي إحدى مرات تبادل الأسرى بين المسلمين والروم عرض عليه القول بخلق القرآن مقابل فدائه، فأبى الانقياد إلى ذلك، فأهين وترك. انظر عنه: المسعودي، التنبيه، ص ١٩١.

(٦) - المسعودي، التنبيه، ص ١٩٠ - ١٩١.

(٧) - يقصد المسعودي بهذه العبارة التي قالها وهي (قوله بالعثمانية) ميل الجاحظ إلى الجانب الآخر المناهض للعلويين والشيعية.

حسان، منها: كتاب البيان والتبيين، وهو أشرفها لأنه جمع فيه بين المنثور والمنظوم وغرر الأشعار ومستحسن الأخبار وبليغ الخطب ما لو اقتصر عليه مقتصر لاكتفى به، وكتاب الحيوان، وكتاب الطفيليين، وكتاب البخلاء، وسائر كتبه في نهاية الكمال مما لم يقصد منها إلى نصب ولا إلى دفع حق، ولا يعلم ممن سلف وخلف من المعتزلة أفصح منه^(١) ومن هنا فإن المسعودي قد تعرض لذكره في مواطن كثيرة^(٢) واقتبس من مؤلفاته فقرات، وإن كان في بعض الأحيان لا يشير إلى مصدرها، وينتقد المسعودي الجاحظ لقوله إن نهر مهران السند من نيل مصر بدليل وجود التماسح فيه^(٣) وذلك في كتابه المترجم بكتاب الأمصار وعجائب البلدان فهو نقد صحيح إن كان الجاحظ قال ذلك حقاً، وكان المسعودي يثني على ذلك الكتاب بأنه في نهاية الحسن، وإن كان الجاحظ لم يسلك البحار ولا أكثر الأسفار ولا تقرى الممالك والأمصار^(٤) وقد سلف القول بذلك.

ومن مصنفات الأخباريين والمؤرخين التي استقاد منها المسعودي مصنفات الزبير بن بكار (ت سنة ٢٥٦هـ/٨٦٩م) وخاصة كتابه المترجم بكتاب أنساب قريش الذي كان مصدراً رئيساً للمسعودي في حديثه عن أنساب آل أبي طالب^(٥) وذويهم من بني هاشم^(٦) وغيرهم من قريش^(٧)، وكذلك كتابه في الأخبار المعروفة بالموفقيات^(٨) التي صنفها للموفق بن المتوكل العباسي، وكان مؤدباً له في صغره. ومن مصادر المسعودي عن فتوح الأمصار كتاب عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم (ت سنة ٢٥٧هـ/٨٧٠م) الذي وضعه عن فتوح مصر والإسكندرية والمغرب والأندلس وأخبارها^(٩). وقد ذكر المسعودي ابن قتيبة الدينوري (ت سنة ٢٨٢هـ/٨٩٥م) في مقدمة كتاب المروج ضمن قائمة المصادر^(١٠) ونقل من مؤلفاته، ومن بينها كتاب المعارف، ولكنه لم يشير إلى ذلك النقل^(١١)، كما اتهمه بالنقل والسرقة من كتب أبي حنيفة الدينوري.

(١)- المسعودي، المروج، ١٠٤/٤-١٠٥.
(٢)- انظر مثلاً المسعودي، التنبيه، ص ٧٦. المروج، ٩٢/١، حيث ذكر المسعودي أن له كتاباً في فخر السودان ومناظرتهم مع البيضان، وانظر ١٧٠/٣، ٢٢٣/٣.
(٣)- المسعودي، التنبيه، ص ٥٥. المروج، ١١٣/١، ١٩٧، ٢٣٣.
(٤)- المسعودي، المروج، ١١٣/١.
(٥)- المسعودي، المروج، ٢٦١/٣، ٢٧٧.
(٦)- المسعودي، التنبيه، ص ٣٠٠. المروج، ٩٥/٣، ٢٦١.
(٧)- المسعودي، المروج، ١١٠/٣.
(٨)- المسعودي، التنبيه، ص ٣٢٤. المروج، ٣٣٨/٤.
(٩)- المسعودي، التنبيه، ص ٣٥٩.
(١٠)- المسعودي، المروج، ١٥/١.
(١١)- انظر مثلاً: المروج، ٤٥/١-٤٦، ٢١٣/٣، ٢٧١، ٢٩٠.

قال المسعودي: "وقد سلب ذلك^(١) ابن قتيبة فنقله إلى كتبه نقلاً وجعله عن نفسه، وقد فعل ذلك في كثير من كتب أبي حنيفة الدينوري" ويوحى لنا المسعودي بهذه العبارة إلى أن ابن قتيبة كانت تعوزه الأصالة والاستقلال وأنه في كتبه مجرد ناقل عن غيره وناسب إلى نفسه، ويعتري الشك هذه المقولة لأن المعروف عن ابن قتيبة أنه صدوق دين فاضل^(٢).

ولا بد أنه كان من ضمن مصادر المسعودي مؤلفات أحمد بن يحيى البلاذري (ت سنة ٢٧٩هـ)، ولا سيما مؤلفيه المشهورين وهما كتابا أنساب الأشراف، وفتوح البلدان، ويعرب المسعودي عن أصالة مؤلفات البلاذري، ويصف مؤلفه الأخير قائلاً: "ولا نعلم في فتوح البلدان أحسن منه"^(٣)، ومن هذا الكتاب أخذ المسعودي معلوماته عن فتح المسلمين لبعض البلدان وبناء المدن الجديدة وتمصيرها، مثل الفسطاط بمصر^(٤)، والرملة بفلسطين^(٥)، وواسط بالعراق^(٦).

وكذلك استفاد المسعودي من مصنفات أحمد بن أبي طاهر^(٧) (ت سنة ٢٨٠هـ) فقد أخذ من كتابه المشهور بكتاب تاريخ بغداد^(٨) أو أخبار بغداد ومن كتاب آخر له يسمى أخبار المؤلفين^(٩).

وقد صرح المسعودي برجوعه إلى كتاب أخبار الوزراء لأبي عبد الله محمد بن داود بن الجراح^(١٠) (ت سنة ٢٩٦هـ / ٩٠٨م) الذي شرحه وزاد فيه أبو العباس أحمد بن عبيد الله بن محمد بن عمار^(١١)، وقد استفاد منه المسعودي في مجال تعيين الخليفة العباسي الهادي (١٦٩ - ١٧٠هـ / ٧٨٥ - ٧٨٦م) لبعض وزرائه^(١٢). هذا ومن المعروف إن المسعودي لم يكن مقتصرًا على النظر في المؤلفات ذات الصيغة الإسلامية البحتة فحسب لكنه تعدى ذلك إلى النظر في كل ما تسنى له النظر فيه ووقع

(١)- يعني حديثه عن أرباع العالم والمعمور من الأرض.

(٢)- الذهبي: ميزان الاعتدال، ٥٠٣/٢.

(٣)- المسعودي، المروج، ١٤/١.

(٤)- المسعودي، التنبيه، ص ٣٥٨.

(٥)- المسعودي، التنبيه، ص ٣٥٩ - ٣٦٠.

(٦)- المسعودي، التنبيه، ص ٣٦٠.

(٧)- أحمد بن أبي طاهر (طيفور) الخراساني، أبو الفضل، مؤرخ وكاتب بليغ، ولد ببغداد وتوفي بها، من تصانيفه: المنشور والمنظوم، سرفات الشعراء، فضل العرب على العجم. انظر عنه: البغدادي، تاريخ بغداد ٢١١/٤، الحموي، معجم الأدباء ٣/ ٩٨ - ٨٧.

(٨)- المسعودي، التنبيه، ص ٣٦٠. المروج، ١٣/١.

(٩)- المسعودي، المروج، ٥٤/٤.

(١٠)- محمد بن داود بن الجراح، أبو عبدالله، أديب وكاتب عارف بأيام الناس وأخبار الخلفاء والوزراء، من أهل بغداد، كان صديقاً لعبدالله بن المعتز ووزر له يوم خلافته، قضى مقتولاً بإشارة من ابن الفرات، له كتب منها: الورقة، الشعر والشعراء، من سمي من الشعراء عمرو في الجاهلية والإسلام، انظر عنه: النديم، الفهرست، ص ١٨٥ - ١٨٦، والبغدادي، تاريخ بغداد ٥/ ٢٥٥، والكتبي، فوات الوفيات ٣/ ٣٥٣ - ٣٥٤.

(١١)- انظر المسعودي، التنبيه، ص ٣٣٤، وأبو العباس هذا رجل من ثقيف كاتب ومؤرخ وأديب شيعي من أهل الكوفة، توفي سنة ٣١٤هـ، له مصنفات منها: المبيضة في مقاتل آل أبي طالب، الزيادات في أخبار الوزراء وهو شرح كتاب ابن الجراح الانواء، وعدد من الكتب في أخبار الشعراء، أنظر عنه: الزركلي، الاعلام، ١٦٠/١.

(١٢)- المسعودي، التنبيه، ص ٣٤٤، وانظر، ٣٥٢.

تحت يده بغض الطرف عن ميول واتجاهات أو ديانات مؤلفيها- ولعل هدف المسعودي من ذلك كان الوقوف على وجهات النظر المختلفة وعلى الآراء والمعتقدات من مصادرها الأصلية التي يقر بها أصحابها، فعلى سبيل المثال يتحدث عن بعض المصنفات التي ألفها علماء ينتمون إلى فرق بالغت في غلوها وتعدت حدود الشرع والدين الإسلامي من الشيعة وغيرهم، مثل كتاب الصراط الذي ألفه إسحاق بن محمد النخعي المعروف بالأحمر، والقسطاس لمؤلفه الفياض بن علي بن محمد بن الفياض وغير ذلك^(١)، وعن تواريخ الروم والديانة النصرانية بشكل عام وجد أن المسعودي قد تحدث عنها حديث خبير ومطلع، ولا سيما أنه بعد استقراره بمصر وزيارته المتكررة للشام كان يلتقي أثناء ذلك بكثير من النصارى، وتمكن من الاطلاع على مؤلفات رومية ونصرانية في الكنائس والاديرة التي كان يرتادها في بعض الأحيان لهذا الغرض، وأثناء وجوده في مصر تحدث عن تفسير اسم (فرعون) فلجأ إلى جماعة من العلماء من أقباط مصر بالصعيد، ولكنه لم يجد جواباً فاجتهد في تفسيره،

لذلك يمكن القول أن المسعودي كان على إلمام تام بدقائق وتفاصيل تتصل بالديانة النصرانية، وكان على معرفة بالكتب الخاصة بأسرار هذه الديانة، مثل الكتاب المعروف ببركسيس، وكتاب ديونوسيوس "الفلوبا خيطوا" وغيرهما^(٢) وفي مدينة أنطاكية رأى بعض تواريخ الروم الملكية في كنيسة القسيان^(٣)، وقرأها ودون ما يحتاجه منها، ويبدو أن المسعودي كان شغوفاً بالاطلاع على كل ما رآه فيها وخاصة كتب التاريخ، وكانت لغة الكثير من هذه الكتب رومية^(٤)، ومع ذلك توجي عبارات المسعودي وألفاظه بأنه كان على علم بمحتوياتها وتفاصيله^(٥)، وكان للمسعودي اتصالات مع النصارى واليعاقبة^(٦)،

وذكر أن اليعاقبة يكثر في مصر^(٧)، ومن علماء السريان أخذ المسعودي بعض المصطلحات التي أطلقوها على عيسى بن مريم عليه السلام^(٨)، واتصل كذلك بالصابئة في مدينة حران "وناظر علمائها ومنهم مالك ابن عقوب وكذلك في شأن قرايينهم وذباحهم وبعض القضايا المنسوبة إليهم"^(٩)،

(١)- المسعودي، التنبيه، ص ٣٩٥- ٣٩٦. المروج، ٢/ ٢٥٨،

(٢)- المسعودي، التنبيه، ص ١٦٠.

(٣)- المسعودي، المروج، ٣٤/٢.

(٤)- المسعودي، المروج، ٤٠/٢.

(٥)- المسعودي، التنبيه، ١٤٧. المروج، ٤٠/٢.

(٦)- فرقة نصرانية اختلفت في طبيعة المسيح. للمزيد أنظر: الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم: الملل والنحل، تحقيق: أحمد فهمي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٢م، ج ٤، ص ٤٨- ٥٢.

(٧)- المسعودي، التنبيه، ص ١٤٦.

(٨)- علي، موارد تاريخ المسعودي، ص ٤٥.

(٩)- المسعودي، مروج، ج ٢، ص ٢٥٠.

وترجم له أي مالك للمسعودي كتابة رأها على مجمع الصابئة بجران ومعناها "من عرف ذاته تأله"^(١). وبالنسبة للأخذ عن اليهود فقد كانت مصادر معلوماته عن الفرق والأديان من علماء قاموا بترجمة الكتب العبرانية والتوراة والزبور وهي أربعة وعشرون كتاباً^(٢)، ومن أولئك أبو يحيى بن زكريا الطبراني الشيعي المذهب (ت ٣٢١هـ / ٩٣٣م)^(٣) ومنهم سعيد بن يعقوب الفيومي (ت ٢٣١هـ / ٨٤٥م)^(٤)، وهو من أفاضل اليهود وعلمائها المتمكنين من اللغة العبرانية^(٥) ومنهم يهودا بن يوسف المعروف بابن أبي التثاء وهو تلميذ ثابت ابن قرة، وقد ناظره المسعودي في الفلسفة والطب وذلك في مدينة الرقة، ومنهم كذلك سعيد بن علي المعروف بابن اسلميا فقد ناظره المسعودي في مدينة الرقة كذلك، والتقى في بغداد بمُتَكَلِّمِيهِمْ ومنهم يعقوب بن مردويه ويوسف ابن قيوما

وأجرى معهم مناظرات، وفي بغداد التقى إبراهيم اليهودي التستري، وكان متضلعا في العلوم ومن أحد المتأخرين من اليهود في النظر وأحسنهم تصرفاً فيه، ويذكر المسعودي أنه استقى مادته عن المجوس "ومن علمائها.. ومن ذوي المعرفة بأخبارهم بأرض العراق وبلاد فارس"^(٦). وصرح المسعودي أنه ناظر مجموعة علماء من الخرمية^(٧).

ومن مصنفات أبي عبد الله محمد بن عبدوس الجهشياري^(٨) (ت سنة ٣٣١هـ) التي كان المسعودي على علم بها كتابه الذي صنفه عن أخبار المقتدر بالله العباسي في ألوف من الأوراق، وقد وقع بين يدي المسعودي أجزاء يسيرة من هذا الكتاب^(٩) وكذلك كتابه في أخبار الوزراء والكتاب^(١٠)،

(١)- المسعودي، التنبيه، ص ٢٤٨.

(٢)- المسعودي، التنبيه، ص ١١٤.

(٣)- يحيى بن زكريا الطبراني، مترجم للتوراة، اعتنق المذهب الإسمعيلي. والاشمعي هو مذهب يهودي من مذاهب بني إسرائيل وهو يؤمنون بالعدل والتوحيد. المسعودي، التنبيه، ص ١١٤.

(٤)- وقد حضر الفيومي مجلس الوزير علي بن عيسى، وترأس كثير من مجالس العلم، (ت ٣٣٠هـ / ٩٤١م) المسعودي، التنبيه، ص ١١٤.

(٥)- النديم، الفهرست، ص ٣٤.

(٦)- المسعودي، التنبيه، ص ١١٥، ١١٢.

(٧)- وهي مجموعة من الفرق، تلتقي على أفكار أهمها الإباحية وتناسخ الأرواح، ظهر صنف منها قبل الإسلام وهم المزائية ومنها بعد البعثة النبوية البابكية والمزيارية، وتنسب الخرمية إلى بابك الخرمي، وهو مجوسي الأصل، قتل عام ٢٢٣هـ / ٨٣٧م في عهد المعتصم الذي أمر بقتله. المسعودي، مروج، ج ٣، ص ٣٠٥. ج ٤، ص ٥٥. المسعودي، التنبيه، ص ٣٢٢، البغدادي، الفرق، ص ٢٦٦، ٢٦٧.

(٨)- محمد بن عبدوس بن عبد الله الجهشياري، أبو عبدالله، مؤرخ وكاتب مترسل، نشأ في بغداد، وأصبح بعد أبيه حاجباً للوزير علي بن عيسى ثم للوزير حامد بن العباس في خلافة المقتدر بالله، وتوفي ببغداد مستتراً، من آثاره: كتاب الوزراء والكتاب، ميزان الشعراء، أسماء العرب والعجم والروم وغيرهم، انظر عنه: النديم، الفهرست، ص ١٨٤، وابن الأثير: الكامل في التاريخ، ٦/ ٢٩٤، ابن تغري بردي، والنجوم الزاهرة، ٣/ ٢٧٩.

(٩)- المسعودي، المروج، ٥/ ١٩٣- ١٩٤.

(١٠)- المسعودي، التنبيه، ص ٣٤٤- ٣٤٥، ٣٥٢.

وكان الجهشيارى معاصراً للمسعودي إلا أن الباحث لم يجد أية إشارة تدل على لقاء بين العالمين، وقد يكون لبعد المسعودي عن بغداد موطن الخلافة والتي كانت داراً لكثير من العلماء وذوي الشأن دور في ذلك.

وهكذا في ختام هذا الفصل لوحظ أن المسعودي قد رجع إلى مصادر كثيرة ومتنوعة، وحصل على معلومات قيمة ونادرة، منها ما استطاع الوصول إليه بنفسه عن طريق الرحلة والمشاهدة، ومنها ما توصل إليه عن طريق المسائلة والمحادثة، ومنه ما عرفه من خلال قراءاته الشخصية وغوصه في بطون المؤلفات والكتب، واستطاع المسعودي أن يسكب كل معلوماته ذات المصادر المتنوعة والمشارب المختلفة في قالب واحد مميز، وأن يعرضها بشكل مغرٍ جذاب، وأسلوب سهل ممتنع.

ثانياً- الجوانب الحضارية في تاريخ المسعودي:

لم يقتصر تاريخ المسعودي على السرد الروائي لأحداث التاريخ بطريقة جافة مملة تعتمد على إيراد سير الملوك والخلفاء وجعلها محوراً تدور حوله الدراسة التاريخية، كما كان شائعاً ومتبعاً لدى عامة المؤرخين، بل سلك نهجاً مستقلاً مميزاً عمد فيه إلى تسجيل كل ما يتعلق بالإنسان - مناط بالتاريخ - فنظر إليه نظرة شاملة من غير فصل بين ما يتعلق بشؤونه الحربية أو السياسية وبين ما يتعلق بحياته الدينية أو الاجتماعية أو الثقافية أو الاقتصادية أو ما يمس أخلاقه ونظمه في الحياة، أو ما يؤثر فيه من الأشياء في محيط بيئته الجغرافية، وكيفية تغلبه على الظروف والعوامل التي وقفت في سبيله حائلة بينه وبين تحقيق أهدافه والوصول إلى مراميه في هذه الحياة. فقد أتى المسعودي في كتبه على ذكر "كثير من أخبار العالم وخواص بقاعه وأبنيته وجباله وبدائع ما فيه من الخلق من الحيوان وغيره، وكذلك ذكر ما خص به كل بلد من أنواع الفواكه دون غيره من البلدان في الإسلام وغيره من الممالك، وما بان به أهل كل بلد من اللباس والأخلاق دون غيرهم، وما تفردوا به من أنواع الأغذية والمآكل والمشارب والشيم، وعجائب كل بلد"^(١).

وكان من أبرز الجوانب التي اهتم المسعودي بمعالجتها وتحليلها القيم الدينية والمبادئ العقائدية لكل أمة من الأمم التي تناولها في كتبه^(٢)، والدليل على ذلك أن لديه كتباً متخصصة في بحث العقائد والأديان مثل كتابي المقالات في أصول الديانات، ونظم الأدلة في أصول الملة وغيرهما.

(١)- المسعودي، المروج، ٤١٠/٢.

(٢)- انظر حمود، منهج المسعودي في بحث العقائد والفرق الدينية، ص ٤٦ وما بعدها.

وفي كتاب مروج الذهب لديه فصولاً متعددة خاصة ببحث وتفسير كثير من القضايا المتعلقة بهذا الجانب، فقد تحدث عن ديانات العرب وآرائها قبل الإسلام وما ذهبوا إليه في النفوس والهيام والصفر، وأقاويلهم في الغيلان والتغول وما لحق بها، وفي الهواتف والجبان، وما ذهبوا إليه من القيافة والزجر والقيافة والسائح والبارح، والكهانة، وغير ذلك.

كما تحدث عن البيوت المعظمة والهيكل المشرفة وبيوت النيران والأصنام وعبادة الكواكب وغيرها، فذكر البيوت المعظمة عند اليونانيين، وعند أوائل الروم، وعند الصقالبة، ثم ذكر البيوت المعظمة والهيكل المشرفة لدى الصابئة وغيرها، ثم فصل القول عن أخبار بيوت النيران المنتشرة في بلاد فارس ومن رسمها من ملوك الفرس الأولى والثانية^(١).

وإلى جانب هذه الفصول المخصصة لبحث الديانات والعقائد وما يتصل بها من بيوت معظمة وهيكل مشرفة، يوجد في ثنايا الفصول التاريخية سواء في كتاب المروج أو التنبيه لمعاً منبهة على بعض المعتقدات الدينية وغيرها من الأفكار المتأصلة والمتوارثة لدى الأمم المختلفة، مثل تعذيب الهنود لأنفسهم بأنواع العذاب واعتقادهم أن ما ينالونه من النعيم في المستقبل مؤجلاً مرهون بما أسلفوه من تعذيب أنفسهم في الدنيا، ولذلك كانوا يلجئون إلى إحراق أنفسهم بالنيران^(٢)، وإلى أنواع أخرى من العذاب^(٣).

وما هو ملاحظ أيضاً من وصفه لبعض شرائع الصين التي رسمها ملوكهم العظام^(٤)، وما أحدثوه من الديانات المنحرفة وعبادة الأصنام والتمثيل والصور^(٥)، وغير ذلك من الآراء والنحل.

وكذلك وصفه لديانات وعقائد الأمم الكثيرة القاطنة حول جبل القبيخ (القوقاز) ومما يوضح حرص المسعودي على معرفة وتتبع أديان تلك الأمم والممالك أنه إذا لم يجد ما يذكره في هذا الجانب قال: "لا أعلم ملتها ولا نمي إلي خبرها في دينها"^(٦).

(١)- المسعودي، المروج، ٣٩٧/٢، ٣٩١، ٣٨٩، ٣٧٩، ٣٠٨، ٢٥٣.

(٢)- المسعودي، المروج، ٢٤٧/١-٢٤٨.

(٣)- من ذلك مثلاً اجتماعهم حول النهر المعروف بالهرمند" وهناك جبال عالية وأشجار عادية ورجال جلوس وحدائق وسيوف منصوبة على تلك الأشجار وقطع من الخشب، فتأتيهم الهند من الممالك النائية والبلدان القاصية فيسمعون كلام أولئك الرجال المرثيين على هذا النهر وما يقولونه من تزيدهم في هذا العالم والترغيب فيما سواه، فيطرحون أنفسهم من أعالي تلك الجبال العالية على تلك الأشجار العادية والسيوف الحاددة المنصوبة فيقطعون قطعاً ويصيرون إلى هذا النهر أجزاء"، المسعودي، المروج، ٢٤٦/١.

(٤)- المسعودي، المروج، ١٥٩/١-١٦٠.

(٥)- المسعودي، المروج، ١٦١/١-١٦٢.

(٦)- المسعودي، المروج، ٢٣١/١.

ومما يلاحظه الدارس بصورة واضحة حديث المسعودي عن الديانة النصرانية في مواضع كثيرة من كتبه، وعن كنائس النصارى وأديرتهم، وفرقهم، وغير ذلك مما يتعلق بمعتقداتهم^(١).

ومن الجوانب الهامة التي كان لها صدى في تاريخ المسعودي وتطرق لها بوضوح حديثه عن النواحي الاجتماعية، وهو بذلك يتفوق على سلفه اليعقوبي الذي لم يهتم كثيراً بإبرازها خاصة فيما يتعلق بالتاريخ الإسلامي والأحداث التي عاصرها، وتكاد كتاباته تخلو خلواً تاماً منها^(٢).

وقد كان تركيز المسعودي على بيان النواحي الاجتماعية في سائر تاريخه للأهم القديمة والحديثة ملحوظاً وواضحاً، فهو يلتفت إلى كل أمر غريب من العادات والتقاليد والطبائع ويصفه وصفاً بديعاً شيقاً، ويتحدث عن كيفية تنصيب وتنويع الملوك، وعن الآثار والقبور، والأهرامات والبرابي^(٣)، والمغامرات التي قام بها سراق ونباشوا القبور لاستخراج ما فيها من نفائس وكنوز^(٤)، ووصف الأعياد والاحتفالات التي كانت تقام في المناسبات المختلفة^(٥).

وفي أخباره عن الهند وممالكها كثيراً من الإشارات المنبهة إلى الصور والقضايا الاجتماعية، كتقسيماتهم الطبقيّة من البراهمة وغيرهم، وما يتخذونه من العلامات المميزة لهم عن سائر أجناس الهند^(٦)، وعاداتهم في دفن موتاهم^(٧)، إلى غير ذلك من أخلاقهم وشيمهم في المآكل والمشارب والمناكب والملابس والعلاج والأدوية، كالكي بالنار وغيره، وعدم احتشامهم في إخراج الريح من أجوافهم في مجالسهم^(٨).

ومن النماذج التي يلاحظها الناظر في مؤلفات المسعودي وتتعلق بالجوانب الاجتماعية ما ذكره عن الزنج من طرقهم في الوعظ والإرشاد، ومأكولاتهم والأنواع المنتشرة بينهم من الأقوات والأرزاق، وطرائقهم في اختيار معبوداتهم^(٩).

(١)- انظر: المسعودي، التنبيه، ص ١٣٨ وما بعدها إلى ص ١٧٦. المروج، ٤٢/٢. وما بعدها.
(٢)- انظر: مال الله، علي محسن: أدب الرحلات عند العرب في المشرق، رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية الآداب في جامعة عين شمس، القاهرة ٩٧٣م، ص ٢٦١.
(٣)- أي مقابر قدماء المصريين.
(٤)- انظر علي، موارد تاريخ المسعودي، ص ٢.
(٥)- المسعودي، المروج، ١٦٠/١، ٧٠/٢.
(٦)- المسعودي، المروج، ٨٦/١-٨٧.
(٧)- المسعودي، المروج، ٩٣/١.
(٨)- المسعودي، المروج، ٢٠٧/١.
(٩)- المسعودي، المروج، ١٢٥/٢-١٢٦.

وفي العصر الإسلامي تحدث المسعودي عن بعض العادات والتقاليد الشائعة بين الناس في اللباس^(١)، والشراب والطعام^(٢)، كما تحدث عن وجود بعض العادات السيئة المنتشرة بين الناس في عصره مثل تقشي ظاهرة الحسد^(٣)، وانعدام الصديق الوفي الذي يتعامل بصدق وإخلاص^(٤). وملاحظ في تاريخ المسعودي أنه عند ذكر كل خليفة أو ملك من الملوك يصف أحواله الاجتماعية وصفاً دقيقاً، فيذكر طرفاً من أخباره الخاصة، وأخلاقه، وملامحه وتقاطيع وجهه، وعدد أولاده وبناته وغير ذلك مما يبين عن كثير من جوانب حياته الاجتماعية^(٥).

وقد حظيت الجوانب الاقتصادية من أحوال الأمم التي تناولها المسعودي باهتمام واضح، فمن الأمثلة التي تدل على ذلك أنه في تاريخه لبلاد الصين مثلاً ذكر أنواع العملات الموجودة، وبين الفئات الأكثر تداولاً منها، وأشار إلى المواد التي تصنع منها^(٦)، وما كان يقوم به الصينيون من العمليات الإحصائية للسكان وغيرهم^(٧)، ما في بلادهم من المهن والصنائع والحرف اليدوية، فهم "من أحق خلق الله كفاً بنقش وصناعة، وكل عمل لا يتقدمهم فيه أحد من سائر الأمم، والرجل منهم يصنع بيده ما يقدر أن غيره يعجز عنه فيقصد به باب الملك يلتمس الجزاء على لطيف ما ابتدع، فيأمر الملك بنصبه على بابه من وقته ذلك إلى سنة: فإن لم يخرج فيه أحد عيباً أجازته وأدخله في جملة صناعه، وإن أخرج فيه عيب إطرحة ولم يجزه عليه"^(٨).

وتحدث المسعودي عن جزائر كثيرة تعرف بجزائر الديبجات^(٩)، وذكر ما فيها من الموارد الاقتصادية الثمينة كالعنبر ومعادن الذهب ونخل النارجيل، وما فيها من الصناعات اللطيفة و"سائر المهن والصنائع في الثياب والآلات وغير ذلك"، وتحدث أيضاً عن بعض الممالك الصغيرة وما تشتهر به من المعادن النفيسة كالودع والذهب والفضة. وما يحمل منها من أنواع البضائع والصادرات النادرة، غالية الأثمان كجلود الثعالب، وأنواع الثياب الكتانية الرقيقة^(١٠) وغير ذلك من الأصناف^(١١).

(١)- المسعودي، المروج، ١٤٣/٤.

(٢)- المسعودي، المروج، ١٨٨/٤-١٩١.

(٣)- المسعودي، التنبيه، ص ٧٧.

(٤)- المسعودي، المروج، ١٧٧/٤-١٧٨.

(٥)- المسعودي، المروج، انظر، ٧٥-٧٦، ٢٢٠ وما بعدها، ٢٦٠، ١٦٦/٤، ١٦٧.

(٦)- المسعودي، المروج، ١٦٠/١.

(٧)- المسعودي، المروج، ١٦٤/١.

(٨)- المسعودي، المروج، ١٧٢/١-١٧٣.

(٩)- هذه الجزر هي جزر المالديف الواقعة قرب السواحل الغربية للهند.

(١٠)- المسعودي، المروج، ٢٣٠/١، ٢١٥، ٢٠٤.

(١١)- المسعودي، المروج، انظر مثلاً: ٢٠٤/١.

وأشار إلى ما كان يقوم به ملوك الفرس من الإصلاحات الزراعية، كاحتقار الأنهار وتعمير البلدان والضياح^(١)، وما سنوه في ممالكهم من نظم الخراج الدقيقة^(٢)، وما أحدثوه من الصنائع والمهن والأبنية في بلادهم.

كما أن إشارات المسعودي إلى دور صناعة المراكب والسفن^(٣)، وما كانت تطلى أو تشحم به هذه المراكب من أنواع الشحوم والنورة^(٤).

وقد ذكر ما تشتهر به بلاد الأندلس من معادن الفضة والزئبق، وما يصدر منها إلى بلاد الإسلام وبلاد الكفر من الزعفران وعروق الزنجبيل وغيرهما^(٥).

وتحدث المسعودي حديث خبير عن أصول الطيب وأصنافه ومصادره والبلاد المشهورة بإنتاجه، وأوضح أنه قد أتى على وصف جميع المعادن من الذهب والفضة والزئبق وعلى سائر أنواع الطيب والآفاوية في كتبه المتقدمة في تصنيفها^(٦).

ومن الأمور الملفتة للنظر اهتمام المسعودي وحرصه على التعليل لبعض المظاهر الاقتصادية، مثل بحثه عن الأسباب التي كانت وراء ندرة وغلاء العاج الأفريقي في البلاد الإسلامية على الرغم من وجوده بكثرة في أفريقية، وقد لاحظ المسعودي أن استيراد الصينيين والهنود لهذه الثروة النفيسة وإقبالهم الشديد عليها كان من العوامل الرئيسية التي جعلته نادراً وغالي الثمن وباهظ التكاليف في البلاد الإسلامية^(٧).

ويوجد لدى المسعودي كثيراً من التحليلات والإشارات القيمة لبعض المظاهر والآثار التي تخلفها الحروب الأهلية، وما تجره على البلاد من الويلات والنكبات في تدمير اقتصادها، من هدم المنازل وإحراق الديار وانتهاب الأموال وغلاء الأسعار وتدمير الآثار^(٨)، ويُسمع صدى قوياً لهذه الأمور في تاريخ المسعودي للحروب التي جرت بين جيوش الأميين وجيوش المأمون في بغداد وما أصابها من الأهوال والأمور المنكرة التي لم تر لها مثيلاً منذ أن ابتناها أبو جعفر المنصور^(٩).

(١)- المسعودي، المروج، ٢٧٣/١.

(٢)- المسعودي، المروج، ٣٠٩/١-٣١٠.

(٣)- المسعودي، المروج، ١٤٦/٢.

(٤)- المسعودي، المروج، ١٤٣/٤.

(٥)- المسعودي، المروج، ١٩٤/١.

(٦)- المسعودي، المروج، ١٩٥/١.

(٧)- المسعودي، المروج، ١١٣/٢.

(٨)- المسعودي، المروج، ٢٧٦/٤، ٢٨٠، ٢٨٢، ٢٨٥، وانظر قصيدة الشاعر الأعمى التي أوردها المسعودي مصوراً بها ما آل إليه حال بغداد من جراء الحروب التي دارت فيها بين جيوش المأمون والأميين، ٢٧٦/٤-٢٧٨.

(٩)- المسعودي، المروج، ٢٨١/٤.

وعن الجوانب الثقافية يكفي دليلاً على اهتمام المسعودي بها من نظرة فاحصة تلقيها على جملة المؤلفات التي ذكرها سواء أكانت من ضمن مصادره أم لا، ونظراته التحليلية وأحكامه النقدية على محتوياتها أو على مؤلفيها، فكل ذلك يوضح جانباً كبيراً من اهتمام المسعودي ووعيه بالحركة الثقافية الجارية في عصره.

وعدا عن ذلك توجد بعض الإشارات المتناثرة في مؤلفيه والتي يمكن أن تعطي وميضاً يشعر باهتمامه في هذا الجانب، فمثلاً يلاحظ تركيزه على إيراد الحكم والأقوال المشهورة ذات المعاني السامية الصادرة عن الأنبياء أو الملوك أو العقلاء أو الحكماء منذ أقدم العصور حتى عصره، فيضع المسعودي بذلك بين يدي قارئ كتبه تجارب الأمم السالفة وخلاصة عصارة أفكارها التي لم تصدر إلا عن روية وفطنة ودراسة، فيأخذ الإنسان العاقل العبرة، ويبدأ من حيث انتهى من قبله^(١).

وُجد لدى المسعودي أحياناً تعليقات في بعض المناسبات يمكن أن تعد رصيذاً ثقافياً جيداً، مثل تعليقه بعد أن ذكر طرفاً من تفاخر بعض الأمم بأنسابها بقوله: "فالواجب على ذي النسب الشريف والمجد الرفيع أن لا يجعل ذلك سلماً إلى التراخي عن الأعمال الموافقة لنسبه والالتكال على آبائه، فإن شرف الأنساب يحض على شرف الأعمال، والشريف بهذا أولى إذ كان الشرف يدعو إلى الشرف ولا يثبط عنه كما إن الحسن يدعو إلى الحسن ويحرك عليه، وأكثر الممدوحين إنما مدحوا بأعمالهم دون أنسابهم"^(٢)، ثم أورد نماذج من أعمال أرجال الذين حازوا شرف الأعمال إلى جانب شرف الأنساب.

ومن ولع المسعودي بالحديث عن الحياة الثقافية أخباره الكثيرة عن العلماء، وأقطاب الحركات الفكرية والثقافية عبر العصور المختلفة، كحديثه عن اجتماع حكماء الهند وعلمائها للنظر في قصة العالم وأسراره^(٣)، وحديثه عن الفلاسفة اليونانيين وأقوالهم وآرائهم، وانصراف همهم إلى تقييد علوم الأشياء الطبيعية والنفسية وغير ذلك من علوم الفلسفة^(٤)، وإشاراته إلى الاجتماعات السبعة المشهورة لحكماء الأمم السبع في سالف الدهر، حيث "اجتمع في كل مجمع منها سبعة حكماء في أعصار مختلفة وأوقات متباينة عند حوادث وأحوال أوجبت اجتماعهم، فجرى لهم فنون من البحث والنظر وضروب من الحكم والعبر بما يحدث في الدر من الغير بتثقل الدول وتغير الملل، والكلام في العالم

(١)- المسعودي، المروج، ١٠/٢ - ١٢، ٣٨-٣٣/٣.

(٢)- المسعودي، المروج، ١٧٢/٢.

(٣)- المسعودي، المروج، ٨٧/١.

(٤)- المسعودي، التنبيه، ص ١١٦، ١٢١. المروج، ٩/٢.

ما هو وكيف هو ولما هو وما علتة ومعلوله وظاهره وباطنه وحقائقه واختراع الأجسام وإنشائها وإلى ماذا يؤو هو وبعد فنائها، وغير ذلك من فنون الفحص وضروب البحث^(١)، وأخباره كذلك عن المؤلفات والكتب العلمية الهندية^(٢)، والفارسية^(٣)، واليونانية^(٤)، والإسلامية وغيرها، وتتبعه كذلك لأخبار العلماء المسلمين وذكر وفياتهم وما أضافوه إلى العلم من جلائل الأعمال^(٥).

ويمكن أن يضاف إلى ذلك أيضاً ما يلحظ من شغف المسعودي بقيامه بإجراء المناظرات والمحاورات مع علماء آخرين من ديانات مناهضة للإسلام كاليهودية^(٦)، والنصرانية^(٧)، أو من فرق ضالة منحرفة^(٨)، وإيراده كذلك لأخبار الندوات والمناظرات والمفاخرات التي كانت تعقد في مجالس الخلفاء والملوك والأمراء^(٩).

وهكذا من خلال الإشارات الموجزة لبعض النماذج من اهتمامات المسعودي الحضارية أن مؤلفاته يمكن أن تكون مرآة لأعظم جوانب النهضة الإسلامية في العصر العباسي^(١٠).
وأن كتابي المروج والتنبيه بصفة خاصة يحتويان من بين المؤلفات الإسلامية على أفضل تصوير لجوانب الحياة الاجتماعية والثقافية في عصر الخلافة الإسلامية^(١١).

ثالثاً- التمهيد لبعض العلوم الاجتماعية:

في عصر متأخر عن العصر الذي ظهر فيه المسعودي استتبعت وظهرت علوم جديدة لم تكن معروفة بأسمائها من قبل مثل علم الاجتماع وعلم النفس وغيرهما، ولكن مع ذلك كانت جذور هذه العلوم قد ترسخت في العصور الإسلامية، الأولى على أيدي بعض البارزين من العلماء المسلمين، ونوقشت بعض القضايا الهامة والأساسية فيها من قبل أولئك العلماء، ومع ذلك لم تتبلور تلك العلوم وتتحدد سماتها الأساسية إلا في عصور متأخرة.

(١)- المسعودي، التنبيه، ص ٨٤-٨٥.

(٢)- المسعودي، المروج، ٨٩/١.

(٣)- المسعودي، المروج، ٢٦٧/١، ٢٧٠، ٢٧٢، ٢٨٩، ٣١٨.

(٤)- المسعودي، التنبيه، ص ١٦٢-١٦٣. المروج، ١١٠/١، ١١١، ٤٥/٢.

(٥)- المسعودي، المروج، ٣٧/٤، ٣٩، ١٥٩، ١٩٩، ٢٠٣، ٣١٠، ٣٢٠، ٢٠/٥، ٢٣، ٤٤-٤٥، ٧٩-٨٠، ١١٨، ١٦٣، ٢٠٧.

(٦)- المسعودي، التنبيه، ص ١١٣.

(٧)- المسعودي، التنبيه، ص ١٥٥.

(٨)- المسعودي، التنبيه، ص ٣٥٣-٣٥٤.

(٩)- المسعودي، المروج، ٣٠٣/٤-٣٠٤، ٣٠٩-٣١٠، ٣١٤-٣١٦، ٣١٩.

(١٠)- روزنثال: علم التاريخ عند المسلمين، ص ٢٦٧.

(١١)- كراتشوفسكي: تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ١/٨١.

وقد كان المسعودي من أولئك العلماء الذين قدموا دراسات سالفة في مجال تلك العلوم، وخاصة في علمي الاجتماع والنفس، وكانت دراساته أساساً ومنطقاً لبعض المفكرين المسلمين الذين قطعوا شوطاً كبيراً في تطوير علم الاجتماع مثلاً كابن حزم (ت ٤٥٦هـ / ١٠٦٣م) وابن خلدون (ت ٨٠٨هـ / ١٤٠٥م).

هذا وقد أشير في معرض الحديث عن الجوانب الحضارية في تاريخ المسعودي إلى تركيزه على بيان النواحي الاجتماعية للأمم القديمة والحديثة التي تعرض لبحث تاريخها، وقدم أمثلة ونماذج على ذلك، ويكفي هنا للتدليل على إثبات أن المسعودي كان من الرواد الأوائل الذين لفتوا الأنظار إلى علم الاجتماع وطرق أبوابه قبل ابن خلدون وغيره من العلماء أن ثبت النص الآتي الذي أورده المسعودي وهو يسرد مجمل الموضوعات والأبواب التي طرقها في سلسلة كتبه التاريخية السالفة تأليفها، فمن ضمن أبحاثه في تلك الكتب الإخبار عن "آداب الرئاسة وضروب أقسام السياسة المدنية، الملوكية منها والعامية، مما يلزم الملك في سياسة نفسه ورعيته، ووجوه أقسام السياسة الدينية، وعدد أجزائها، ولأية علة لا بد للملك من دين، كما لا بد للدين من ملك، ولا قوام لأحدهما إلا بصاحبه، ولم يجب ذلك، وما سببه؟ وكيف تدخل الآفات على الملك، وتزول الدول، وتبديد الشرائع والملل والآفات التي تحدث في نفس الملك والدين، والآفات الخارجة المعترضة لذلك وتحصين الدين والملك، وكيف يعالج كل واحد منهما بصاحبه إذا اعتل من نفسه أو من عارض يعرض له، وماهية ذلك العلاج، وكيفيته، وأمارات لإقبال الدول، وسياسة البلدان والأديان والجيوش على طبقاتهم ووجوه الحيل والمكايد في الحروب ظاهراً وباطناً وغير ذلك"^(١).

ومن هذا النص وغيره مما كتبه المسعودي يفهم أنه كان مدركاً لعلاقة الدعم المتبادل بين الدين والدولة، ولأهمية الدين في بناء وقيام الدول، وكيف تدب الآفات إليها ويطرأ الهرم عليها، وأن لها أعماراً كأعمار البشر من الطفولة حتى الشيخوخة كما هو الحال في بعض المظاهر الطبيعية كالأنهار، وأنها إذا لم تحصن من الآفات وتعالج من العلل العارضة يسرع إليها الخراب والفساد ثم تقول إلى الزوال.

ومما يؤسف له أن كتب المسعودي المطولة ككتاب أخبار الزمان والأوسط التي يظهر أنه تطرق فيها لبحث هذه الموضوعات بالتفصيل غير موجودة الآن، ولكن هذا النص على أي حال يعطي صورة عن نوعية بعض الموضوعات الاجتماعية التي تناولها المسعودي، والتي لها صدى قوياً

(١) - المسعودي، التنبيه، ص ٣-٤.

وواضحاً في مقدمة ابن خلدون التي أعلن فيها عن استنباط هذا العلم، وشرح كثيراً من مسائله، ومهد الطريق لمن يأتي بعده لاستكمال أبوابه وفصوله^(١).

ومن هنا يظهر أن الفكر الاجتماعي الذي تنطوي عليه كتابات المسعودي التاريخية ليس عملاً ثانوياً لا قيمة له، بل هو عمل على جانب من الأهمية، فمفهوم (الأمة)^(٢) مثلاً أحد المفاهيم الاجتماعية الرئيسة في كتابة المسعودي التاريخية إن لم يكن أهمها على الإطلاق، وقد تناوله بالشرح والتحليل، فذكر كثيراً من الأمم البائدة في أكناف الزمان وتحدث عن مقوماتها وقوانينها ونظمها من اللسان، والشريعة، والاقتصاد، والشيم الطبيعية وغيرها^(٣)، ثم ذكر ما عرض لها من صروف الدهر بسبب اختلال مقوماتها وانهايار نظمها وفساد شرائعها.

وهكذا يمكن وضع المسعودي بدون شك أو تردد في عداد منشئي ذلك النوع من التحليل التاريخي الاجتماعي الذي بلغ ذروته في مقدمة ابن خلدون، وأن يعد من مهدي علم الاجتماع القانوني^(٤) وغيره من فروع علم الاجتماع، وذلك قبل أن يظهر ابن خلدون بحوالي خمسة قرون.

أما في مجال علم النفس فقد قدم المسعودي دراسات نفسية مهمة في كتاب مروج الذهب وما سبقه من الكتب ككتاب سر الحياة وكتاب الزلف، فتحدث عن طبقات النفوس وأن "منها الصافي وهي النفس الناطقة، ومنها الكدر وهي النفس الحسية والنفس النزاعية والنفس المتخلية، ومنها ما قوته أزيد في الإنسان من قوة الجسم، ومنها ما قوة الجسم أزيد منه"^(٥)، كما ذكر أنه تناول في الكتابين الأخيرين مباحث عن "النفس الناطقة والنفس الغضبية والنفس الحسية والنفس الشهوانية، وما قال الناس في ذلك ممن تقدم وتأخر من الفلاسفة وغيرهم"^(٦).

وتناول المسعودي في مؤلفاته الرؤيا والأحلام وما يعرض للنائم في نومه من المشاهد المختلفة، فذكر أسبابها الموقعة لها وماهيتها وكيفية وقوعها وذكر آراء العلماء فيها^(٧)، وكان قد فصل القول فيها

(١) ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، ص ٥٨٨، ١٥٧، ١٧٠-١٧١، ٢٩٢-٢٩٧.

(٢) نصار، مفهوم الأمة بين الدين والتاريخ، ص ٥٥-٨٦.

(٣) المسعودي، التنبيه، ص ٨٤.

(٤) نصار، مفهوم الأمة بين الدين والتاريخ، ص ٧٩.

(٥) المسعودي، المروج، ٣١٠/٢.

(٦) المسعودي، المروج، ٢٦٢/١.

(٧) المسعودي، المروج، ٣١٢/٢-٣١٦.

من قبل في كتابين سابقين من كتبه هما كتاب النهى والكمال وكتاب طب النفوس^(١)، ولا بد أن هذه الكتب قد احتوت على مباحث كثيرة عن النفس وما يعرض لها.

وفي حديث المسعودي عن الكهانة والتكهن عند الأمم يقرر أن أصلها نفسي لأنها لطيفة ثابتة، وترجع بعض الآراء التي قبلت فيها إلى أنها من علل نفسية، وأن التكهن سبب نفساني لطيف يتولد من صفاء مزاج الطباع وقوة النفس ولطافة الحس، ولا يغفل المسعودي الآراء التي تقول: إن الكهانة تكون من قبل شيطان يكون مع الكاهن يخبره بما غاب عنه، وأن الشياطين كانوا يسترقون السمع ويلقونه على ألسنة الكهان^(٢).

وقد ساق المسعودي آراء الفلاسفة اليونانيين والهنود عن تحديد النفس وطبيعتها، فذكر ما قال أفلاطون في عدد من كتبه، وما قاله صاحب المنطق أرسطاطاليس، وفيثاغورس وغيرهم من الفلاسفة ممن تقدم وتأخر^(٣)، ولم يفته ما "تلكم به الناس في طبقات النفوس وصفاتها من أصحاب الاثنين وغيرهم من الفلاسفة. ثم تنازع أهل الإسلام في ماهية الإنسان الحساس المأمور المنهي، وما قالتها المتصوفة وأصحاب المعارف والدعاوى في طبقات النفوس من النفس المطمئنة والنفس اللوامة والنفس الأمار بالسوء، وغير ذلك مما ذهب إليه اليهود والنصارى والمجوس والصابئة"^(٤). مما أوضحه المسعودي في كتاب سر الحياة.

ونذكر ما تحدث به بعض ملوك الفرس الأول من آثار الغذاء والحالة التي يكون عليها الشخص عند تناوله إياه على النفس والبدن^(٥).

وقدم المسعودي حديثاً طويلاً عن الموسيقى والغناء والرقص والطرب والإيقاع وما تحدثه هذه الأمور في النفس الإنسانية من السرور والفرح وإزالة الغم والحزن وما تدخله على القلب من الخفة والأريحية والطرارة^(٦) فحكى عز ابن خرداذبة أن " الغناء يرق الذهن ويلين العريكة ويهيج النفس ويسرها ويشجع القلب ويسخى البخيل، وقد كانت الملوك تنام على الغناء ليسري في عروقه السرور، وكانت ملوك الأعاجم لا تنام إلا على غناء مصرّب أو سهر لذيق، والعربية لا تنوم ولدها وهو يبكي

(١)- المسعودي، المروج، ٣١٦/٢.

(٢)- المسعودي، المروج، ٣١١/٢، ٣١٠، ٣٠٩.

(٣)- المسعودي، المروج، ٣١٢/٢، ٣١٦-٣١٧، ٣٩٣-٣٩٤.

(٤)- المسعودي، المروج، ٣١٧/٢.

(٥)- المسعودي، المروج، ٢٦٢/١.

(٦)- انظر الأجرى، أبو بكر محمد بن الحسين: (ت ٣٦٠هـ/ ٩٧٠م): تحريم النرد والشطرنج والملاهي، طبع رئاسة إدارات البحوث العلمية والاقتناء والدعوة والإرشاد، الرياض ١٤٠٢هـ. ويبدو أن المسعودي كان متأثراً بآراء الفلاسفة والحكماء السابقين وخاصة الهنود واليونانيين. انظر: المسعودي، المروج، ٩٤/١، ٤٥/٢-٤٦.

خوف أن يسري الهم في جسده ويدب في عروقه، ولكنها تتنازع وتضاحكه حتى ينام وهو فرح مسرور، فينمو جسده وصفّر لونه ودمه ويشف عقله"^(١).

هذا وأورد أيضا أقوال ومناضرات تدور حول العشق والهيام وما يصاحب الجسد والنفس منها من تأثيرات^(٢)، وعلى أي حال فإنه يلاحظ أن المسعودي قد قدم في كتبه كثيرا من الصور للنفس البشرية وأوضح تأثيرها بالعوامل المختلفة^(٣)، وذكر ما قاله بعض العلماء فيها فلذلك يعد من المفكرين القلائل الذين اهتموا بعلم النفس وكانت دراسته وآراؤه النفسية والاجتماعية نبعا قويا استقى منه الكثير من الباحثين والرواد الذين واصلوا البحث والتتقيب حتى قامت هذه العلوم واتضحت معالمها.

(١)- المسعودي، المروج، ١٢٩/٤ - ١٣٠.

(٢) المسعودي، المروج، ٣٤٥/٤، ٢٣٦.

(٣)- الخربوطلي، الاتجاهات العالمية والإنسانية في فكر المسعودي، ص ٢٩.

الخاتمة:

من خلال ما سلف توصل اليه البحث إلى النتائج التالية:

- ١- كان المسعودي مؤرخاً وعالمًا كبيراً استطاع تطوير فن كتابة التاريخ من خلال المنهج والأسلوب الذي اتبعه، وإضافة لأنه يعد مؤسساً لبعض العلوم الإجتماعية التي ظهرت فيما بعد واعتمدت مؤلفات المسعودي في مقدمة مصادرها.
- ٢- كان للنزاع السياسي والقومي والديني الذي حمله العصر العباسي الثاني الأثر الكبير في نهضة الأمة العربية والإسلامية فكرياً وعلمياً فغدت بغداد مقصد العلماء وحوت أكبر مكتبات العالم في ذلك الوقت، وقدم إليها طالبي العلم من كل أنحاء العالم.
- ٣- ساعدت أسرة المسعودي في تنشئته على حب العلم وطلبه، وقد يجد الباحث أن أهم موارد المسعودي في كتابه التنبيه والإشراف هي رحلاته، ومع أنه قضى زهرة شبابه في بغداد ولكنه غادر إقليم العراق بمحض إرادته وإرضاء لميوله وأذواقه ورغبة منه في التجول، فخرج من بغداد سنة ٣٠١هـ/٩١٣م ليقوم برحلة قيل أنها استمرت ثلاثة أعوام قضاها متنقلاً بين ربوع فارس وكرمان، وبعد أن جاب بلاد الهند وصيمور قطن أخيراً في مدينة بومباي حتى سنة ٣٠٤هـ/٩١٦م، ومن ثم وصل إلى مدينة عمان، وخلال هذه الرحلة تعمق في دراسات الحدود الإسلامية، واستعان على ذلك بالآلات العلمية التي كانت معروفة إبان عصره.
- ٤- من المصادر المهمة التي أخذ منها المسعودي أيضاً كتبه ومؤلفاته السالفة والتي عاد إليها في أكثر فقرات الكتاب، فمثلاً يرجع إلى كتابه مروج الذهب واحد وعشرون مرة وكذلك مؤلفاته الأخرى، وكان المسعودي ملماً بالأدب يأخذ من الشعر العربي في كل صفحة من صفحات الكتاب بشكل مختصر أنيق حيث جعل من الشعر العربي تأكيداً للمعلومات التي يوردها، وإضافة لذلك استخدم المسعودي في موارده مجموعة كبيرة من الكتب التاريخية والجغرافية والفلكية والأدبية وغيرها موثقاً معلوماته بدقة لا تترك للقارئ مجالاً للشك فيما أورد.
- ٥- ومن يطالع كتابه التنبيه والإشراف لا بد أن يتساءل عن فضل هذا الرجل وعلمه الواسع وإحاطته التي لا حد لها، مع فقهه وأمانته فيما ينقل من أخبار، وباستعراض كتابه هذا يستنتج الباحث أن أقل ما يقال عن المسعودي أنه: عالم، فلكي، حاسب، جغرافي، فقيه، محدث، جدلي، نظار، ديان، مؤرخ،

ناسب، أخباري، فيلسوف، أديب، راوية. وأنه كان ملماً بعدة لغات كالفارسية والهندية واليونانية والرومية والسريانية .

٦- وقد شكل المسعودي في منهجه وكتاباتة نقلة نوعية حيث تطورت الكتابة التاريخية على يديه فإذا ما قارن الباحث بين كتاب التنبيه وأي كتاب آخر معاصر للمسعودي لوجد فرقا شاسعا بين الاثنين والتي أهمها ابتعاد المسعودي عن الأسانيد التي تجعل القارئ يصاب بالملل، ومقارنة المسعودي للأحداث وعدم الأخذ بها والتسليم المطلق وإنما وقف عند معظم الوقائع وحللها ونقدتها وقدم رؤيته لها .

٧- دمج المسعودي بين الكتابات التاريخية والجغرافية في مصنف واحد وكان له الأسبقية في هذا الميدان. ٨- يجد الباحث أن المسعودي كثير التنقل بالقارئ من تاريخ إلى علم إلى فقه إلى أدب وشعر إلى فلسفة وفقه، إلى غير ذلك مما يدل على أنه ذو ثروة علمية فذة. وهو غريب فيما ينقل، بديع فيما يصف، قصاص بارع ذو أسلوب جذاب، وعبرة ممتعة، وقد تتلمذ له كثير من العلماء والمؤرخين وأكثروا من النقل عنه والتوثيق له.

٩- وإن ما يؤخذ على المسعودي أنه كان في بعض الفقرات في كتابه التنبيه ينتقل من موضوع إلى آخر دون أي ربط بين الموضوعين.

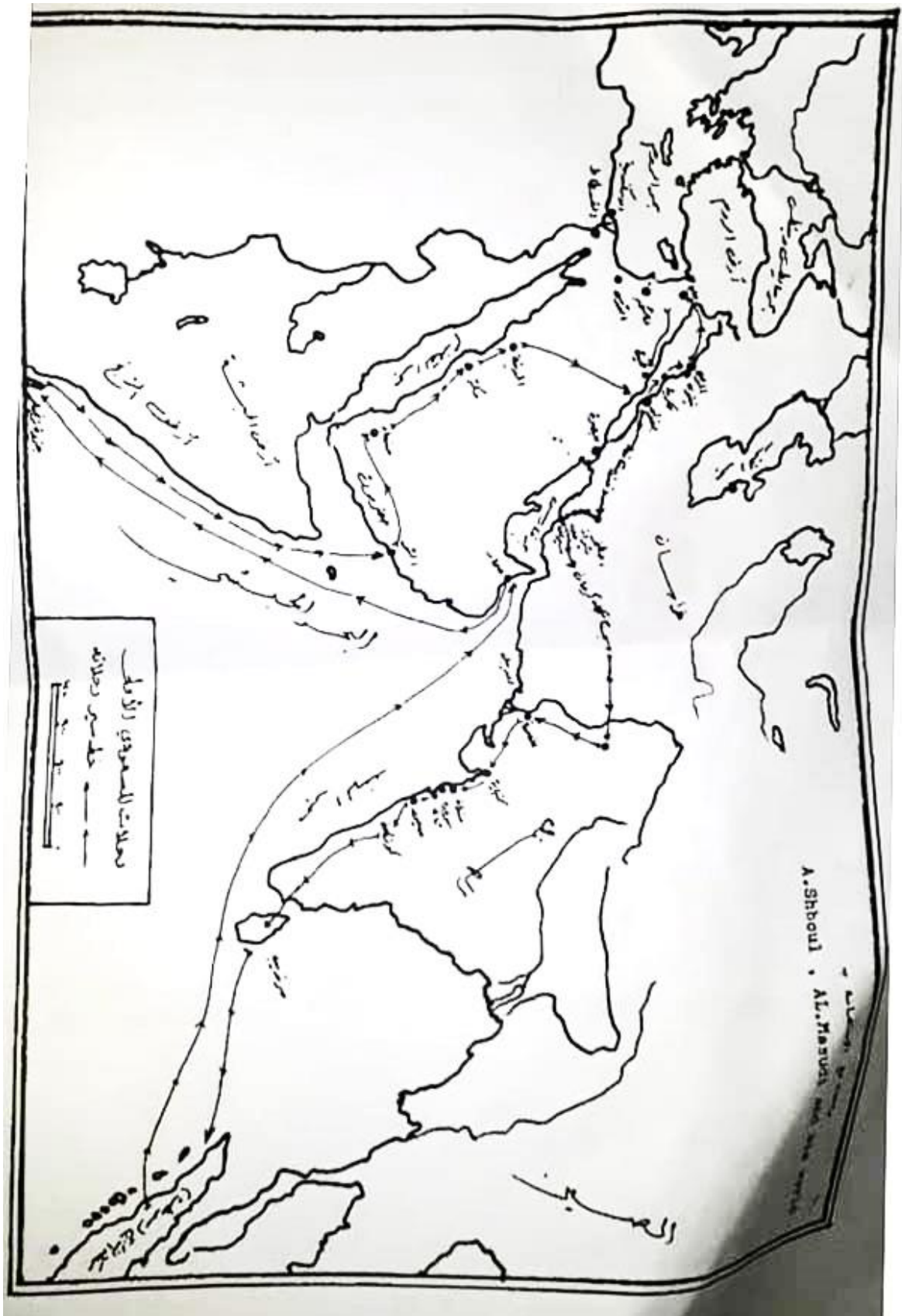
١٠- ويمكن للباحث استنتاج ميول المسعودي الشيعية من خلال كتاباته عن الأمويين وعن الخلفاء الراشدين وأيضا من خلال القصائد الشعرية التي استعان بها وكانت ترثي أتباع الإمام علي بن أبي طاب رضي الله عنه.

١١- ويظهر أن الثروة العلمية التي امتاز بها المسعودي لم يدونها كلها في كتابه التنبيه والإشراف، فحسب بل بعثها في كتبه، وفرقها بين مصنفاته، تفرقة عادلة وقسمة راعى بها أن يكون في كل مؤلف منها ما يحببه إلى القراء، ويرفع قدره ومنزلته بين العلماء.

١٢- أدراك المسعودي أثر البيئة على الإنسان وإن كل ما على سطح الأرض من إنسان وحيوان وجماد يتفاعل مع الظروف المحيطة التي تسيطر عليه.

١٣- أخذ المسعودي الكثير عن فلاسفة وعلماء اليونان والذي يدل على معرفته الغزيرة وقراءاته الواسعة للكتب اليونانية.

١٤- وتبين أن معظم العلماء المسلمين كانوا غير راضين عن المسعودي وعن ما كتبه وذلك لأنه ابتعد عن الحياد والموضوعية حسب قولهم، وفي تتبع آراء العلماء الأجانب يظهر أنهم اهتموا بالمسعودي وذلك لأنه كان ناقدا ومحللا للكتابات التاريخية وكتب في التاريخ العالمي وخاصة النصرانية. وفي النهاية كان المسعودي قريبا للاتزان والواقعية في كتابه التنبيه والإشراف أكثر من معظم علماء عصره وقدم دراسة مختصرة اتسمت بالأصالة والدقة ، وكانت متطورة عن كل مؤرخي عصره متقدماً بمنهج التاريخ العربي خطوات كبيرة إلى الأمام جعلت منه اسما لامعا يتردد بين العلماء والمؤرخين حتى يومنا هذا.



المصادر:

❖ القرآن الكريم.

❖ ابن الأثير، أبو الحسن عز الدين بن أبي الكرم (ت: ٦٣٠ هـ / ١٢٣٢ م):

١- الكامل في التاريخ، دار صادر، د. ط، بيروت / ١٩٦٦ م.

❖ الآجري، أبو بكر محمد بن الحسين (ت: ٣٦٠ هـ / ٩٧٠ م):

٢- تحريم النرد والشطرنج والملاهي، طبع رئاسة إدارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والإرشاد، الرياض ١٤٠٢ هـ.

❖ ابن اسحق، محمد بن اسحق المظلي (ت: ١٥١ هـ):

٣- سيرة ابن اسحق، تح: سهيل زكار، دار الفكر، ط١، بيروت، ١٩٧٨ م.

❖ الإشبيلي، أبو بكر محمد بن خير:

٤- فهرسة ما رواه عن شيوخه، تح قرنشه قدادة زيدان، ط٢، المكتب التجاري، بيروت، ومكتبة المثنى، بغداد، ومؤسسة الخانجي، القاهرة، ١٣٨٢ هـ، ١٩٦٣ م

❖ ابن أبي أصيبعة، أحمد بن القاسم موفق الدين:

٥- عيون الأنباء في طبقات الأطباء، دار الحياة، ط١، بيروت، د. ت.

❖ الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين (ت: ٣٥٦ هـ / ٩٦٦ م):

٦- مقاتل الطالبين، المكتبة الحيدرية، ط٢، النجف، ١٩٦٥ م.

❖ البسوي، أبو يوسف يعقوب بن سفيان:

٧- المعرفة والتاريخ، تح د. أكرم ضياء العمري، مطبعة الإرشاد، بغداد: ١٣٩٤ هـ / ١٩٧٤ م.

❖ البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي الخطيب (ت: ٤١٠ هـ / ٩٩١ م):

٨- تاريخ بغداد، دار الكتاب العربي، بيروت، د. ت، ج ١٢.

❖ البغدادي، اسماعيل بن محمد بن أمين (ت: ١٣٩٩ هـ):

٩- إيضاح المكنون في الذيل عن كشف الظنون، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د. ت.

١٠- هدية العارفين، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٥١ م

❖ البلاذري، أحمد بن يحيى (ت: ٢٧٩ هـ / ٨٩٢ م):

١١- أنساب الأشراف، تح: سهيل زكار، دار الفكر، ط١، بيروت، ١٩٩٣ م. ج ١٣.

❖ ابن تغري بردي، أبو المحاسن جمال الدين يوسف الأتابكي (ت: ٨٧٤ هـ / ١٤٦٩م):

١٢- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، تح: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، ط ١، بيروت، ١٩٩٢، ج ١٦.

❖ التلمساني، أحمد محمد المقرئ:

١٣- نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب، تح: احسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٦٨م

❖ ابن تيمية، أبو العباس تقي الدين احمد بن عبد الحلیم، (ت: ٧٢٨ هـ / ١٣٢٧ م):

١٤- الخلافة والملك، تح: حمادة سلامة، مكتبة المنار، ط ١، الزرقاء، ١٩٨٨.

١٥- السياسة التشريعية في إصلاح الراعي والرعية، دار الكتاب العربي، ط ٢، مصر، ١٩٦٩ م.

❖ الجاحظ، أبو عثمان عمر بن بحر (ت: ٢٥٥ هـ / ٨٦٨ م):

١٦- البيان والتبيين، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الكتب العلمية، ط ١، بيروت، د.ت، ج ٤.

١٧- العثمانية، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، مصر، ١٩٥٥م.

❖ ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت: ٥٩٧ هـ / ١٢٠٠ م):

١٨- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تح: عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ط ١، بيروت،

١٩٩٢ م، ج ١٨.

❖ حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله:

١٩- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، تح: محمد شرف الدين، دار إحياء التراث

العربي، بيروت، ١٩٤١م.

❖ الحائري، أبو علي محمد بن اسماعيل:

٢٠- منتهى المقال في أحوال الرجال، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، بيروت، ١٩٩٨م.

❖ ابن حجر العسقلاني، أبو الفضل شهاب الدين احمد بن علي (ت: ٨٥٢ هـ / ١٤٤٨م):

٢١- لسان الميزان، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ط ٢، بيروت، ١٩٧١ م، ج ٧.

❖ الحميدي، محمد بن أبي نصر:

٢٢- جذوة المقتبس، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، ١٩٦٦م،

❖ الحميري، أبو سعيد نشوان بن سعيد (ت: ٥٧٣ هـ / ١١٧٨ م):

٢٣- شمس العلوم ودواء كلام العرب في الكلوم، تح: حسين عبد الله العمري، دار الفكر، بيروت، ط

١٩٥٥، ج ١٣.

❖ الحنبلي، ابن العماد عبد الحي أحمد بن محمد العسكري (ت: ١٠٨٩ هـ / ١٩٧٨):

٢٤- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، منشورات دار الآفاق، د.ط، بيروت، د.ت.

❖ ابن حزم، أبو محمود علي بن احمد بن سعيد الظاهري الأندلسي (ت: ٤٥٦ هـ / ١٠٦٣ م):

٢٥- جوامع السير، دار المعرفة، ط ٢، بيروت، ١٩٧٥، ج ٥.

٢٦- جمهرة أنساب العرب، تح: عبد السلام محمد هارون، دار المعارف، ط ٥، القاهرة، د.ت.

❖ ابن خلدون، أبو زيد عبد الرحمن ولي الدين (ت: ٨٠٨ هـ / ١٤٠٥ م):

٢٧- مقدمة ابن خلدون، دار الكتاب العربي، ط ٥، بيروت، ١٩٨٤ م.

٢٨- كتابه العبر، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت: ١٣٩١هـ / ١٩٧١م.

❖ ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين احمد بن محمد بن أبي بكر (ت: ٦٨١ هـ / ١٢٨٢ م):

٢٩- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح: حسان عباس، دار صادر، ط ١، بيروت، ١٩٧٨

م، ج ٨.

❖ الخوانساري، محمد باقر الموسوي:

٣٠- روضات الجنات، الدار الإسلامية، بغداد، ط ١٩٩١، م، ص ٣٧٣.

❖ ابن خياط، أبو عمرو خليفة بن خياط الشيباني البصري (ت: ٢٤٠ هـ / ٨٥٤ م):

٣١- تاريخ خليفة ابن خياط، تح: سهيل زكار، د.ط، بيروت، ١٩٩٣ م.

❖ الدينوري، أبو خليفة أحمد بن داود (ت: ٢٨٢ هـ / ٨٩٢ م):

٣٢- الأخبار الطوال، تح: عبد المنعم عامر، دار إحياء الكتاب العربي، ط ١، القاهرة، ١٩٦٠.

❖ الذهبي، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان الشافعي (ت: ٧٤٨ هـ / ١٣١٤

م):

٣٣- سير أعلام النبلاء، تح: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط ٧، بيروت، ١٩٩٠ م، ج ٢٥.

٣٤- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تح: عمر عبد السلام التدمري، دار الكتاب العربي،

ط ٢، بيروت، ١٩٩٤ م، ج ٣٧.

٣٥- تذكرة الحفاظ، دار إحياء التراث العربي، ط ٤، بيروت، د. ت، ج ٤.

❖ الرازي، أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم محمد بن إدريس (ت: ٣٢٧ هـ / ٩٣٨ م):

٣٦- الجرح والتعديل، دار إحياء التراث العربي، ط ١، بيروت، ١٩٥٣ م، ج ٩.

❖ الزبيري، المصعب بن عبد الله:

٣٧- نسب قریش، تح إلفي بروفسال، دار المعارف، ط٢، القاهرة، ١٩٧٦م.

❖ السبكي، أبو نصر تاج الدين عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي (ت: ٧٧١هـ / ١٣٦٩م):

٣٨- طبقات الشافعية الكبرى، دار المعرفة، ط٢، بيروت، د.ت، ج٦.

❖ ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع البصري (ت: ٢٣٠هـ / ٨٤٤م):

٣٩- الطبقات الكبرى، دار صادر، ط٢، بيروت، د.ت، ج٨.

❖ السهيلي، أبو القاسم بن عبد الله بن أحمد بن أبي الحسن الخثعمي:

٤٠- الروض الأنف، مكتبة الكليات الأزهرية، ط١، القاهرة، د.ت.

❖ ابن سيد الناس، محمد بن محمد اليعمری (ت: ٧٣٤هـ / ١٣٣٤م):

٤١- عيون الأثر في فنون المغازي والشمال والسير، دار الجيل، ط٢، بيروت، ١٩٧٤م.

❖ السيوطي، أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت: ٩١١هـ / ١٥٠٥م):

٤٢- تاريخ الخلفاء، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار النهضة، ط١، القاهرة، ١٩٧٥م.

❖ الشهرستاني، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أحمد (ت: ٥٤٨هـ / ١١٥٣م):

٤٣- الملل والنحل، تح: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، ط١، بيروت، د.ت.

٤٤- الملل والنحل، تح: أحمد فهمي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٢م.

❖ الصابي، أبو الحسن الهلال بن محسن (ت: ٤٤٨هـ / ١٠٥٦م):

٤٥- تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء، دار الأفاق العربية، ط١، القاهرة، ٢٠٠٣م.

❖ الصفدي، أبو الصفا خليل بن أيبك بن عبد الله الأديب صلاح الدين:

٤٦- الوافي والوفيات، دار صادر، ط٢، بيروت، ١٩٩١م.

❖ الضبي، أحمد بن يحيى بن أحمد (ت: ٥٩٩هـ):

٤٧- بغية الملتبس في تاريخ رجال أهل الأندلس، تح: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، ط٢،

القاهرة، ١٩٦٧م

❖ الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت: ٣١٠هـ / ٩٢٢م):

٤٨- تاريخ الأمم والملوك، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، ط٢، بيروت، د.ت، ج١١

٤٩- جامع البيان عن تأويل القرآن، دار الفكر، ط١، بيروت، ١٩٨٨م.

❖ ابن العماد، عبد الحي بن أحمد:

٥٠- شذرات الذهب، تح عبد القادر ارناؤوط، دار ابن كثير، دمشق، ١٩٨٦م.

❖ الفيروز أبادي، أبو طاهر مجيد الدين محمد بن يعقوب:

٥١- القاموس المحيط، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة: د.ت.

❖ القفطي، جمال الدين علي بن يوسف:

٥٢- أخبار العلماء بأخبار الحكماء، الدار المصرية للتأليف، القاهرة، ١٣٢٦هـ

❖ القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي (ت ٨٢١هـ / ١٤١٨م):

٥٣- صبح الأعشى في صناعة الانشاء، المطبعة الأميرية، ط ١، القاهرة، ١٩٩٤م، ج ١٤.

❖ الكتبي، صلاح الدين محمد بن شاكر بن أحمد:

٥٤- فوات الوفيات، تح: احسان عباس، دار صادر، بيروت، ط ١٩٧٣، ١م.

❖ ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر (ت ٧٧٤هـ / ١٣٧٢م):

٥٥- البداية والنهاية، مكتبة المعارف، ط ١، بيروت، ١٩٦٦م. ج ١٤.

❖ المحبي محمد أمين بن فضل الله:

٥٦- خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، دار صادر، بيروت، د.ت، ج ٢

❖ محمد بن عبد الله أبو بكر:

٥٧- العواصم من القواصم، تح: محب الدين الخطيب، مكتبة السنة الاسلامية، ط ٦، المملكة العربية السعودية، ١٩٩٢م.

❖ المسعودي، أبو الحسن علي ابن الحسين بن علي المسعودي (ت ٣٤٦هـ / ٩٥٧م):

٥٨- مروج الذهب ومعادن الجوهر، دار الكتب العلمية، ط ١، بيروت، د.ت، ج ٢.

٥٩- التنبيه والإشراف، دار التراث، ط ١، بيروت، ١٩٦٨م.

٦٠- إثبات الوصية، المطبعة الحيدرية، النجف، ١٩٥٥م،

٦١- أخبار الزمان وما أباده الحدثان وعجائب البلدان والغامر بالماء والعمران المطبوع، دار الأندلس

للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٩٦م.

❖ المغربي: أبو الحسن علي بن موسى:

٦٢- كتاب الجغرافيا، تح وتقديم إسماعيل العربي، منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع،

ط ١، بيروت، ١٩٧٠م.

- ❖ مسكويه، أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب:
٦٣- تجارب الأمم وتعاقب الهمم، مطبعة التمدن، د.ط، القاهرة، ١٩١٤، ج ٦
- ❖ المقرئزي، أحمد بن علي:
٦٤- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، دار صادر، بيروت، د.ت، ج ١.
- ❖ النديم، محمد بن اسحق ابن أبي يعقوب:
٦٥- الفهرست، دار المعرفة، ط ٢، بيروت، د.ت.
- ❖ نفطويه: إبراهيم بن محمد بن عرفة الواسطي:
٦٦- عالم اللغة والنحو. أنظر عنه الذهبي، سير، ج ٥.
- ❖ ابن الوردي، عمر:
٦٧- تنمة المختصر في أخبار البشر (تاريخ ابن الوردي) تح رفعت البدرائي، دار المعرفة، ط ١، بيروت، ١٣٨٩هـ، ١٩٧٠م.
- ❖ ياقوت الحموي: أبو عبد الله شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الحموي (ت: ٦٢٦ هـ / ١٢٢٨ م):
٦٨- معجم الأدباء، مطبعة دار المأمون، ط الأخيرة، بيروت، د.ت، ج ١٣.
٦٩- معجم البلدان، دار الفكر، ط ٢، بيروت، د.ت.
- ❖ اليعقوبي، أحمد بن يعقوب (٢٨٤هـ/٨٩٧م):
٧٠- البلدان، دار الكتب العلمية، ط ١، بيروت، ١٩٩٧م.
٧١- تاريخ اليعقوبي، مطبعة بريل، ط ١، ليدن، ١٨٨٣.
- ❖ أبي يعلي، محمد بن الحسين:
٧٢- طبقات الحنابلة، مؤسسة الرسالة، ط ١، بيروت، ١٩٨٣، ج ٢.

المراجع:

- إعداد قسم الجغرافيا بكلية العلوم الاجتماعية بالرياض.
- ١- (أطلس خرائط إسلامية):
* إبراهيم، عدنان:
 - ٢- تاريخ الإسلام، دار المعرفة، بيروت، د.ط، ٢٠٠٤م، ج ٣
* ادفو، كار:
 - ٣- مفكرو الإسلام، ترجمة عادل زعيتر، الدار المتحدة للنشر، ط١، بيروت: ١٩٧٩م.
* أدهم، علي:
 - ٤- بعض مؤرخي الإسلام، مكتبة نهضة مصر، القاهرة، د.ت.
* اسماعيل، سيدة:
 - ٥- مصادر التاريخ الإسلامي ومناهج البحث فيه، دار الرائد العربي، بيروت، ١٩٨٣.
* أمين، أحمد، الزين، أحمد :
 - ٦- الامتاع والمؤانسة، دار مكتبة الحياة، بيروت، د.ت، ج ٢
* أوليري، دي لاس:
 - ٧- الفكر العربي ومركزه في التاريخ، ترجمة: إسماعيل بيطار، دار الكتاب اللبناني
الجديد، بيروت، ط١، ١٩٧٢،
* بامات، حيدر:
 - ٨- مجالي الإسلام، نقله إلى العربية عادل زعيتر، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٥٦م.
* توماس آرنولد:
 - ٩- كتاب تراث الإسلام ، عربيه وعلق حواشيه جرجيس فتح الله، دار الطليعة، ط٣، بيروت،
١٩٧٨م.
 - * حسن، ابراهيم حسن:
 - ١٠- تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والإجتماعي، دار الجيل، مصر، ط١٩٨٣، ١م.
* حسن، زكي:
 - ١١- الرحالة المسلمون، دار المعارف، القاهرة، ١٩٤٥م، ص ٣٩.
* حمود، هادي :
 - ١٢- منهج المسعودي، دار المورد، بغداد، د.ت.
* الخربوطلي، علي:
 - ١٣- المسعودي سلسلة نوابغ الفكر العربي، دار المعارف، القاهرة، ط٢،
* الدوري، عبد العزيز:
 - ١٤- العصر العباسي الاول، د.م، د.ن، ١٩٤٥م، ص ٢٢.
* روزنثال، فرانز:
 - ١٥- علم التاريخ عند المسلمين، مؤسسة الرسالة، ط٢، بيروت، ١٩٨٣.
* الزركلي، خير الدين:
 - ١٦- الاعلام، دار العلم للملايين، ط١٤، بيروت، ١٩٩٩، ج ١، ص ١٢٥.
* الزهراني، ضيف الله:

دراسة لموارد ومنهج المسعودي (٢٨٧-٣٤٦هـ/٩٠٠-٩٥٧م) في كتابه الشيم والإشراف

- ١٧- الوزير العباسي (علي بن عيسى بن داود الجراح)، مركز بحوث الدراسات الإسلامية، د. ط، مكة المكرمة، ١٩٩٤
- * زيادة، نقولاً:
- ١٨- الجغرافية والرحلات عند العرب، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨٠م
- * زيدان، جرجي:
- ١٩- تاريخ آداب اللغة العربية، مطبعة الهلال، د. ط، القاهرة، د. ت، ج ٢
- * سالم، عبد العزيز:
- ٢٠- التاريخ والمؤرخون العرب، مؤسسة شباب الجامعة، د. ط، الاسكندرية، ١٩٩٩،
- * السامرائي، حسام الدين:
- ٢١- المؤسسات الإدارية في الدولة العباسية، دار الفكر العربي، بيروت، د. ط، ٢٠١٤م،
- * سزكين، فؤاد:
- ٢٢- تاريخ التراث العربي، نقله إلى العربية د. محمود فهمي حجازي ود. فهمي أبو الفضل، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٧، ج ١.
- * سوفاجيه، جان:
- ٢٣- رائد التراث العربي، اقتبسه صلاح الدين المنجد، دار العلم للملايين، بيروت: ١٩٤٧م.
- * الصدر، حسن :
- ٢٤- تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام، بغداد، ١٣٧٠هـ.
- * الشرقاوي، عفت محمد:
- ٢٥- أدب التاريخ عند العرب، دار العودة، بيروت، د. ت.
- * الطنطاوي، محمد:
- ٢٦- نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة، دار المعارف، ط ٢، بيروت، ١٩٩٥م.
- * عاصي، حسن :
- ٢٧- موارد تاريخ المسعودي، دار الكتب العلمية، ط ١، بيروت، ١٩٩٣،
- * عاقل، نبيه:
- ٢٨- المسعودي المؤرخ العربي صاحب مروج الذهب، مقال في مجلة العربي، الكويت العدد (٤٨)، المجلد الثامن، ١٣٨٢هـ.
- * العاملي، الأمين:
- ٢٩- أعيان الشيعة، دار التعارف، ط ١، بيروت، ١٩٨٦م،
- * عبد الحميد، سعد زغلول :
- ٣٠- ابن خلدون مؤرخاً، وزارة الإعلام، مجلة عالم الفكر، العدد الثاني من المجلد الرابع عشر، الكويت: ١٩٨٣م
- * العزاوي، عبد الرحمن حسين:
- ٣١- المسعودي مؤرخاً، اتحاد المؤرخين العرب، القاهرة، ط ٢، ١٩٨٢م،
- * علي، محمد كرد:
- ٣٢- كنوز الأجداد، مقال في مجلة المجمع العلمي العربي، المجلد الثاني والعشرين، الجزء التاسع والعاشر، دمشق ١٣٦٦هـ
- * علي، جواد:

- ٣٣- موارد تاريخ الطبري، المجمع العلمي العراقي، د.م، د.ط، ١٩٦١م
- ٣٤- منهج المسعودي في بحث العقائد والفرق الدينية
*العمري، بريك بن محمد بريك:
- ٣٥- السرايا والبعوث النبوية حول المدينة ومكة، تحقيق أكرم ضياء العمري، دار ابن الجوزي للنشر، المدينة المنورة، ١٩٩٦م.
- * الغنيم، عبدالله يوسف:
- ٣٦- المخطوطات الجغرافية العربية في المتحف البريطاني، مطابع كويت تايمز، الكويت، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م.
- *فازلييف:
- ٣٧- العرب والروم، ترجمة عبد الهادي شعيرة ، دار المنظومة، القاهرة، د.ت.
*الفليوبي، سميحة:
- ٣٨- موجز القانون البحري، مكتبة القاهرة الحديثة، ط١، القاهرة ، ١٩٦٩م.
*فوزي، حسين :
- ٣٩- حديث السندباد القديم، دار الكتاب اللبناني، بيروت: ، ١٩٧٧، ص٤٣.
*كارادفو :
- ٤٠- مادة إنجيل، دائرة المعارف الإسلامية، الترجمة العربية ٣/ ١٣-١٤
*كارل بروكلمان:
- ٤١- تاريخ الأدب العربي، نقله إلى العربية عبد الحليم النجار، الطبعة الثانية، القاهرة: دار المعارف، (١٩٦٩م)، ج٣.
- *كحالة، عمر رضا:
- ٤٢- معجم المؤلفين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١٩٩٣، ١،
*كراتشكوفسكي، غناطيوس:
- ٤٣- تاريخ الأدب الجغرافي، ترجمة: صلاح الدين هاشم، الإدارة الثقافية في جامعة الدول العربية، القاهرة، ١٩٦٣م.
- *لوبون، غوستاف:
- ٤٤- حضارة العرب، ترجمة: عبد القادر عطواني، مؤسسة الهنداوي، بيروت، د.ت،
*مال الله، علي محسن:
- ٤٥- أدب الرحلات عند العرب في المشرق، رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية الآداب في جامعة عين شمس، القاهرة ١٩٧٣م.
- *متز، آدم:
- ٤٦- الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، تر: عبد الهادي أبو ريده، دار الكتاب العربي، ط١٩٦٧، ٤، ج١،
*محمد فريد وجدي:
- ٤٧- دائرة معارف القرن العشرين، دار المعرفة، ط٣، بيروت . ١٩٧١م
*مرغوليوث:
- ٤٨- دراسات عن المؤرخين العرب، ترجمة: حسين نصار، دار الثقافة، بيروت، د.ت.
*مصطفى، شاكر :

- ٤٩- التاريخ العربي والمؤرخون، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٣م. ج ١.
*المعجم الوسيط المعجم الوسيط،
٥٠- من إعداد مجمع اللغة العربية بمصر، مطابع دار المعارف، ط٢، القاهرة، ١٣٩٢ هـ / ١٩٧٢م.
*الموسوعة العربية،
٥١- سوريا، ١٩٩٨م، مجلد ٣
*نصار، ناصيف:
٥٢- مفهوم الأمة بين الدين والتاريخ، دار الطليعة، بيروت، ١٩٧٨م.
* نور الدين حاطوم وزملائه:
٥٣- المدخل إلى التاريخ، دار الفكر الحديث، بيروت، ١٩٦٧م، ص ٢٩٦.
* هوروفتس، يوسف:
٥٤- مادة تورا، دائرة المعارف الإسلامية، الترجمة العربية ٥/٦.
٥٥- المغازي الأولى ومؤلفوها، ترجمة حسين نصار، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ط١، القاهرة، ١٣٦٩هـ / ١٩٤٩م

Summary of the topic

The historical thought witnessed a great qualitative leap with Al-Masudi, where he combined historical and geographical studies and opened up new horizons in social and religious studies. He had his own style in dealing with issues of society and the historical issues in general.

Despite the political conflicts that were taking place in the Second Abbasid Period, it is considered to be the period of the Arab and Islamic Renaissance. There emerged in the fourth century A.H. /the tenth century A.D. many scientists and geniuses who enriched the history of the nation with their qualitative writings, which reached the level of innovation in their methodology and the ability of their authors to develop the previous sciences and innovation.

These books had been considered to be a main resource for many scientists and thinkers, as well as a basis of new sciences appeared later. Among these books was the book of "Al-Tanbih wal Ishraf ", the focus of this study and the last work of Al-Masudi, which was a summary of all his previous works.

This study has been divided into four chapters, preceded by a prologue and a study of the most important resources and references. The first chapter deals with the Second Abbasid Period, its political, intellectual, economic and social sides. The second chapter deals with the life of the author, his descent, travels, writings and the opinions of some Arab and foreign historians about him. The third chapter is for talking about the book of "Al-Tanbih wal Ishraf ", explaining and analyzing its content, as well as the method and the style of Al-Masudi in his writing, the one applied on all his writings. The last chapter of this study deals with the resources from which Al-Masudi had derived his writings in the composition of the book "Al-Tanbih wal Ishraf ", and the civilizational aspects in the author's writing of history and what he had added to science again.

Al-Masudi left a great imprint in the Arab and Islamic history with an impact still valid today. This fact had to be highlighted, which is the main objective of the study.